سلام مع الله

بيلي غراهام

All Rights Reserved

جميع الحقوق محفوظة

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف ولا يجوز نشر أو إعادة نشر أو طبع هذا الكتاب بأي طريقة طباعية أو الكترونية بهدف بيعها أو المتاجرة بها أو وضعها على شبكة الإنترنت إلا بإذن من الخدمة العربية للكرازة بالإنجيل. يمكنك أن تحتفظ بالكتب والمقالات للإستخدام الشخصي، كما يمكنك أن تنسخها لأجل توزيعها مجاناً لتعم الفائدة.

محتويات الكتاب

مقدمة
الفصل الأول: المطلب
الفصل الثاني: الكتاب المقدس
الفصل الثالث: الله
الفصل الرابع: الخطيئة
الفصل الخامس: إبليس
الفصل السادس: ماذا بعد الموت؟
الفصل السابع: لماذا جاء يسوع؟
الفصل الثامن: كيف ومن اين نبدأ
الفصل التاسع: توبوا
الفصل العاشر: الإيمان
الفصل الحادي عشر: الولادة الجديدة
الفصل الثاني عشر: اليقين
الفصل الثالث عشر: أعداء المسيحي
الفصل الرابع عشر: قواعد الحياة المسيحية
الفصل الخامس عشر: المسيحي والكنيسة
الفصل السادس عشر: واجبات المسيحي الاجتماعية
الفصل السابع عشر: مستقبل المسيحي
الفصل الثامن عشر: وأخيراً...السلام

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

مقدمة

لم يكن هدفي - وأنا أضع كتاب "سلام مع الله"- أن أخص به فئة "علماء" الفلسفة واللاهوت؛ وإنما أردتُ به الوصول إلى أذهان "عامة" الناس رجالاً ونساءً.

رغبة قلبي هي أن أوضح لهم الطريقة الجديدة للحياة، تلك الطريقة التي وضعها وأوضح معالمها، منذ ألفي سنة تقريباً، المعلم الحبيب وهو القائل: "أنا هو الطريق والحق والحياة". وسعيت إلى ذلك بأسلوب بسيط سهل المنال "حتى إذا سلك فيه الجهال لا يضلون".

حاولتُ جهد المستطاع تجنب المسائل التي لا يجدي الجدال فيها نفعاً. وأردت فوق كل شيء وقبل كل شيء أن تكون هذه المقالات - بل كل كلمة فيها- مشفوعة بالصلاة.

إلى عرش النعمة أرفع آيات الحمد راجياً من الله أن يجعل هذا الكتاب سبب بركة للكثيرين.

وصلاتي اليومية هي أن يأتي هذا الكتاب بعدد كبير من النفوس إلى "سلام مع الله".

المؤلف

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

الفصل الأول

المطلب

"تطلبونني فتجدونني إذ تطلبونني بكل قلبكم"

(أرميا ٢٩: ١٣)

ما إن ولدتَ في هذه الحياة حتى بدأتَ سعيكَ وراء "المطلب العظيم". ربما قضيتَ عدة سنوات قبل أن تتحقق أنك كنت تجدّ باحثاً ساعياً في أثر شيء لا تملكه مع أنه أهم شيء في الحياة. حاولتَ أحياناً أن تنساه، وحاولت أحياناً أخرى أن تنغمس في أعمالك وأشغالك بحيث تستغرق جل وقتك وتفكيرك. كما أنك شعرت أحياناً وكأنك تحررت من السعي وراء ذلك الشيء الغامض غير المسمى؛ بل كنت توشك أحياناً أن تنسى المطلب من أساسه. لكنك كنت ترى نفسك المرة تلو المرة مرغماً على الرجوع إليه وإلى مواصلة البحث عنه من جديد.

وربما تطلعت في ساعات الضيق والوحشة إلى الناس من حولك وتساءلت فيما إذا كانوا مثلك يبحثون عن شيء لا يدركون كنهه غير أنهم يحسون بأنهم في أمس الحاجة إليه. قد يبدون لك أسعد حالاً منك وأقل أعباء وهموماً. فمنهم من أدرك مطلبه بالزواج والحياة العائلية. ومنهم من ذهب في بحثه إلى بلاد أخرى ينشد الغنى والنجاح؛ وآخرون منهم بقوا في الوطن وآلت أمورهم إلى التوفيق.

وتنظر أنت إلى هؤلاء وأولئك وتقول: هؤلاء الناس ليسوا ممن يبحثون عن المطلب العظيم. إنهم أدركوا السبيل الذي يسيرون عليه وعرفوا ما هي حاجتهم؛ أما أنا فأسير على غير هدى، وسبيلي لا يؤدي إلى أية غاية. إنني الإنسان الوحيد الذي يسأل ويبحث ويتعثر هنا وهناك في سيره في هذا الطريق الموحش الذي ضاعت معالمه.

لكنك لست الإنسان الوحيد، فالجنس البشري بأسره يشاركك سيرك في هذا الطريق، باحثاً عن نفس المطلب. إن الإنسانية بأسرها تطلب الحل لما يسود العالم من اضطراب وضعف أخلاقي وفراغ روحي؛ وتصرخ طالبة الإرشاد والتعزية والسلام.

يقال أننا نعيش في عصر القلق. ويؤكد المؤرخون أنه لم يحدث خلال التاريخ، سوى مرات قلائل، إن عانى الإنسان مثلما يعانيه اليوم من خوف وحيرة واضطراب حتى يبدو أن جميع الدعائم المألوفة قد زالت: نتحدث عن السلام لكننا غارقون في الحروب والاضطرابات.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

ونرسم الخطط للأمن والاستقرار لكننا نعرف أنه لا سلام ولا استقرار وأصبحنا نتعلق بأوهى من خيوط العنكبوت.

ما زلنا منذ عدة أجيال نتراكض هنا وهناك كأولاد مذعورين. وفي كل مرة نزعم لأنفسنا قائلين: هذا هو الطريق الصالح، ولا شك أنه سيقودنا إلى الغاية المنشودة. ثم نتبين في كل مرة أننا على خطأ فيما نزعم من قول.

وأول الطرق التي زعمناها طريق "الحرية السياسية". لقد طالبنا بها وقلنا: أعطوا لكل إنسان حريته السياسية وسيصبح العالم مليئاً بالسعادة. دعونا ننتخب أعضاء حكومتنا ونوابنا البرلمانيين وسترون كيف تصبح الحياة جديرة بأن نحياها! ... وهكذا حصلنا على الحرية السياسية لكننا لم نحصل على عالم أفضل حسبما كنا نرجو. وما تزال الصحف تنقل إلينا كل يوم صوراً عن الظلم والمحاباة والاستغلال والرياء والمداهنة بصورة تضاهي- بل تفوق أحياناً- ما كان يجري في أيام الملوك المستبدين. إن الحرية السياسية أمر له أهميته لكنه لا يستطيع منحنا عالماً أفضل.

ثم سلكنا طريق "الثقافة" وآمن به كثيرون، واعتقدوا أننا إذا جمعنا الثقافة إلى الحرية السياسية فسوف نصل إلى غايتنا. اندفعنا بجنون في هذا السبيل وبدا أمامنا مشرقاً لامعاً معقولاً.. وسرنا فيه بأقدام تحفزها الرغبة والرجاء. ولكن إلى أين أدى بنا ذلك الطريق؟ أليس أن الرؤوس قد "تخمت" بالعلوم وما زالت القلوب جائعة فارغة!

أردنا الفرح والسعادة عن سبيل الاختراعات و"الكماليات"

وأسباب الرفاهية وقد حصلنا على هذه أما السعادة فما أحوجنا إليها وأبعدنا عنها!

دعنا ننظر إلى بعض ما حققناه من تقدم ونتائج رائعة: ها نحن نقطع المحيطات خلال الساعات بدلاً من الشهور، ونصنع العقاقير التي تزيل أفظع الأمراض المستعصية، ونرفع الأبنية التي تناطح السحاب ويتضاءل عندها برج بابل حتى لا يكاد يظهر لضآلته، ونستجلي المزيد من أسرار الأغوار السحيقة في المحيطات ونتطلع إلى الفضاء الخارجي لدراسة ظواهره وخوافيه.

ولكن هل ينقص ذلك مثقال ذرة من الشعور بالفراغ الذي يملأ نفوسنا؟ وهل تستطيع كل تلك المعجزات الحديثة أن تمنحنا القناعة والرضى؟ وهل تستطيع أن تفسر سبب وجودنا أو أن تشير إلى ما ينبغي لنا أن نتعلمه؟ أم أننا ما نزال فريسة الشعور بالفراغ؟ وهل يعزينا هذا الفيض المتزايد من الاكتشافات في الكون الواسع، أم أنه يجعلنا نشعر، بصورة متزايدة، بأننا أكثر عجزاً ووحدة؟ وهل يمكن أن يوجد علاج الخوف الإنساني والبغضاء والفساد في مختبر الكيميائي وفي منظار الفلكي؟

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

ليس بوسعنا أن ننكر الخدمات الجلى والمنافع التي قدمها لنا العلم والتي كنا نحتاجها بالتأكيد. ولكنه قدم لنا أيضاً أفظع هدية تلقتها الإنسانية في تاريخها الطويل. وهذه الهدية التي قدمها لنا العلم ترتبط وتتأثر حياة ومستقبل كل كائن حي في كوكبنا الأرضي. إنها تبسط ظلها الأسود المخيف على بنات أفكارنا المضطربة، ويراها أطفالنا كشبح مرعب يعكر صفو أحلامهم الهنيئة. شبح القنابل الذرية المروّعة!..

لقد كان "العلم" أحد السبل التي سلكناها. وسرنا فيه بجد ونشاط وما يزال هو السبيل الذي يختار الكثيرون السير فيه بالرغم من الحقيقة التي لا يمكن نكرانها وهي أن العلم ربما كان السبب في تدميرنا وزوالنا نهائياً.

وتوجد بالطبع طرق أخرى يسلكها الناس. فثمة طريق الشهرة وطريق الغنى وطريق اللذة وطريق القوة. لكنها جميعاً أشبه بالصحارى الرملية التي تبتلع المسافرين فيها. لقد وقعنا أسرى أفكارنا الخاصة مقتنعين بكمالها وصحتها حتى لم يعد ممكناً أن نرى سبب مرضنا وعلاجه.

وإذا صح ما يقال لكل داء دواء فيجب أن نسارع لإيجاد الدواء لمرضنا العضال. إن حضارتنا تسير بسرعة هائلة مقتربة من نهايتها ويجب أن نبادر إلى العثور على منفذ إلى النور، وطريق يفضي بنا إلى الصحة الروحية.

وتسألني: أين إذن نحن الآن؟ إلى أين سنمضي؟- دعني أخبرك أين نحن وماهيتنا (ماذا نحن). إننا أناس فارغون، رؤوسنا محشوة بالمعرفة لكن نفوسنا فارغة وأرواحنا هزيلة.

كثيراً ما نشكو من أن الشباب اليوم قد فقد حماسته وأهدافه ورغبته في العمل والتقدم. وكل يوم أسمع الوالدين يتحدثون عن أولادهم ويقولون أنهم يستغربون وضعيتهم، فهؤلاء لا يريدون أن يبذلوا أي جهد بل يريدون أن يقدم إليهم كل شيء جاهزاً بلا تعب أو عناء. ومشكلة أولئك الآباء والأمهات أنهم يجهلون حقيقة هامة عن أولادهم المثقفين الذين اعتنوا بتربيتهم وهي أن نفوسهم خالية من الروح الذي يكسب العمل بهجة وفرحاً، ومن التصميم الذي يجعل التقدم لذة. وما سبب الفراغ في نفوسهم؟ ولماذا يأبون الخروج إلى العالم والإسهام بقسطهم في الحياة؟ إن سبب ذلك كله هو أنهم لا يعرفون ماهيتهم ولا إلى أين يذهبون.

إنهم يشبهون صفاً طويلاً من السيارات الحديثة الأنيقة. هذه السيارات كاملة لا ينقصها شيء سوى زيت الوقود. فظاهرها ينال الإعجاب والرضى لكنها تفتقر في داخلها إلى القوة التي لا بد منها للمسير. لذلك فهي تجثم في مكانها ليأكلها الصدأ - صدأ الضجر والملل.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

يتفرد الإنسان من بين سائر مخلوقات الله بأنه المخلوق الوحيد الذي يمكن أن يدركه الضجر والملل. فليس ثمة مخلوق آخر يمكن أن يضجر من نفسه أو يضجر مما يحيط به. وهذا ولا شك، أمر له دلالته؛ لأن الخالق الحكيم لم يبدع شيئاً بلا هدف أو قصد. وإذا كان قد منح الإنسان إمكانية الإصابة بالضجر، فلا بد أنه هدف من وراء ذلك إلى غرض معين.

ويعتبر الضجر أحد الوسائل الدقيقة لمقياس الفراغ في النفس. وهو يتصف بالدقة التي يتصف بها مقياس الحرارة، حين يُشعِرنا كم هو مقدار الفراغ في نفوسنا. وأعماق نفسه لا تحوي سوى الفراغ. ولا شيء تكرهه الطبيعة قدر ما تكره الفراغ وهي تسير وفق قاعدة معينة لا تحيد عنها: إنها تبادر إلى إشغال كل فراغ في هذا العالم.

إن النظريات الخداعة والآراء الغريبة لا تجد لنفسها مكاناً في قلب عامر بروح الله، ولكنها استطاعت التسرب بسهولة فائقة إلى عقول وقلوب فارغة. إن الطبيعة تكره الفراغ ولكنه يتوقف على إرادتنا - نحن الأفراد- أن نحدد بماذا ينبغي أن يملأ فراغ قلوبنا. لقد حاولنا أن نملأ هذا الفراغ بالحرية والثقافة والعلم ومستوى معيشة أفضل وأشياء أخرى كثيرة ولكننا ما نزال نشعر بالفراغ لأن أشياء الروح وحدها هي التي تستطيع أن تملأنا. وروح الله وحده هو الذي يستطيع أن يمنحنا الشعور بالكمال والسلام الذي ننشدهما.

ومنذ عهد بعيد قال يسوع: "ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان[1]" إلا أننا لم نسمع له ومضينا نطعم أنفسنا بكل نوع من أنواع الخبز حتى أدركنا المرض. إننا نريد أن نتخلص من هذه الأنواع المؤذية لكننا نبدو عاجزين ن فعل شيء. وهكذا نستمر في ازدراد هذا الخبز الممرض، نأخذه نحن ونعطيه للآخرين أيضاً.

إننا لا نستطيع أن نتحمل فراغ نفوسنا المخيف ولا نستطيع أن نتطلع إلى الطريق الموحش الممتد أماماً. إننا قلقون أشد القلق لسبب البغضاء والطمع والشهوة، غير أننا عاجزون عن التخلص من سيطرة تلك العلل الشرسة، والامتلاء بما هو أفضل.

ولكن الزمن يمضي، وسائل التدمير الشامل أصبحت بحوزتنا، ولم يعد أمامنا متسع لسلوك طريق الأضاليل، ولا يجوز لنا ان نوقع أنفسنا في الأحابيل. إذ أن الوقت لا يسمح لنا بذلك. لأن جيلنا قد انجز ما حاولت الأجيال السابقة أن تعمله أو حلمت به وهي في أشد قوتها وإمكانياتها. لقد أحرزنا سلاحاً يستطيع أن يحقق الدمار الشامل. وبلغنا قمة الجنون البشري وهو تحطيم الذرة.

ولا بد أن الشياطين قد قهقهت ضاحكة من أولئك العلماء النابغين الذين قضوا عدة سنوات يشتغلون بكل طاقتهم حتى توصلوا إلى هذا الشيء المرعب، تحطيم الذرة. ويا له من نجاح

[1]- لوقا ٤: ٤.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

فظيع يعني بالنسبة للإنسانية الدمار والتحطيم والسحق والخراب. قد أنجز الشيطان عمله وكان البشر بشوق زائد لمساعدته. إن القنبلة الذرية أفظع عمل ابتكره الشيطان! إذا لاحظنا انفجار القنبلة الذرية وجدنا أنه يبدو بشكل ألسنة من نار تحاكي في مظهرها الألسنة النارية التي ظهرت يوم الخمسين. فكأن الشيطان يريد أن "يقلد" الروح القدس. وكلا النارين تهبط من عل، وتنشر ضوءاً يفوق نور الشمس، وتغير كل شيء تمسه. والفرق بين التغيير الذي تحدثه هذه والتغيير الذي تحدثه تلك كالفرق بين السماء والجحيم. هذا هو المصير الذي قادنا إليه طريق العلم الذي لم يرافقه الإرشاد الإلهي.

إننا نعيش اليوم في عالم قلبته الفوضى رأساً على عقب. لكنها فضى مدبرة وفق خطة صممها الشيطان. ويصف الكتاب المقدس الشيطان بأنه المضل العظيم الذي وقف نفسه على التضليل والتفريق بين الناس. فهو يفرق بين الإنسان ونفسه، بين الإنسان وأخيه، بين شعب وشعب. وتبعاً لذلك استطاع أن يخدعنا ويقنعنا بأن أمور العالم في تحسن بينما يسير كل ما حولنا من سيء إلى أسوأ.

يقول هنري بت اللاهوتي البريطاني: " إن التفاؤل الذي ساد في أواخر القرن التاسع عشر وحمل الناس على الزعم أن العالم يسير نحو التقدم بصورة آلية، إن ذلك التفاؤل لم يعد ممكناً اليوم. وقد أثبتت حوادث السنوات الخمس والعشرين الأخيرة بطلان الزعم القائل بأن النزعة الإنسانية والثقافية و" التطور التقدمي" تتضافر مجتمعة لتحقيق الفردوس الأرضي الذي ننشده. فالأمور ليست بمثل السهولة التي تخيلناها، والشيطان لم يمت، والسلطات الشريرة وقوات الظلمة لا تزال حية، والعالم لا يزال في قبضة الشرير.

نقرّ جميعنا بأن العالم قد تغير تغيراً جذرياً منذ مطلع هذا القرن. فنحن نحس بالإيقاع السريع في مجرى الأحداث كما أننا ندرك تمام الإدراك روح التطور التي تكنس في طريقها المعالم القديمة والتقاليد، كذلك ندرك السرعة التي بها تتبدل اللغة والطراز والعادات وبناء البيوت وإنماء المعيشة، ليحل محلها ما هو أحدث وأكثر جدة.

بالأمس القريب كان الأولاد يجدون متعة في مشاهدة السفن داخلة إلى المرفأ. أما اليوم فلم يعد يحركهم حتى منظر الطائرات العمودية والطائرات النفاثة. أما نحن الذين كنا جد معجبين بالبرق السلكي فقد غدا التلفزيون في نظرنا مسألة بديهية وكثير من الأمراض كانت تسمى إلى عهد قريب أمراضاً مستعصية غير قابلة للشفاء، أما اليوم فقد أصبحنا نمتلك من العقاقير أنواعاً متعددة جعلت الأمراض التي عجز الإنسان عن علاجها أمراضاً نادرة الوقوع.

ينتج مما سبق أننا حققنا تقدماً عظيماً، ومع ذلك فإن الإنسان لم يتوصل حتى الآن إلى حل أعظم مشكلة واجهها الجنس البشري. نستطيع أن نبني ناطحات السحاب والمراكب

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

الضخمة والجسور الطويلة، لكننا لا نزال عاجزين أن نحكم أنفسنا بالعدل والمساواة، وما نزال عاجزين عن العيش مع بعضنا في سلام.

نستطيع أن نبني مدارس جديدة للرسم أو للموسيقى، ونستطيع أن نقوم بتركيب أنواع جديدة من الفيتامينات، لكننا لا نستطيع فعل شيء بالنسبة لمشاكلنا. فما تزال هي هي منذ القديم، وإذا كان قد حصل فيها أي تغيير فهو يتمثل في أنها تضخمت وأصبحت سائدة في كل مكان. فقد تجابهنا تلك المشاكل بطرق جديدة فتسبب لنا من الألم والقلق أكثر مما كانت تسبب من قبل، لكننا لا نزال نواجه نفس المشاكل، نفس المحن، نفس التجارب التي واجهها الجنس البشري دائماً.

ما زال الإنسان يعاني نفس المشاكل منذ تلك اللحظة المفجعة التي فضل فيها إرادته على إرادة الله. الإصحاح الأول من سفر التكوين يبين لنا سببها، والاصحاح الأول من الرسالة إلى أهل رومية يصف لنا حالة الإنسان في الخطية، والإنجيل المقدس يقدم لنا العلاج.

إن طبيعة الإنسان الساقطة هي التي تملأه بالحقد والطمع والحسد. إن لعنة الخطية قد حلت على جسده فجعلته فريسة الخوف من الموت. عبقريته مكنته من تغيير كل شيء إلا ذاته. فالإنسان هو هو- كما كان في البداية- بالرغم مما يدّعيه وينادي به من "تقدم".

والخطية ما زالت هي هي- كما كانت- مع أن الإنسان حاول جهده أن يغيرها فألبسها أسماء جديدة. دعونا الخطية "غلطة" أو "خطأ" أو "جهلاً" أو حماقة أو... أما هي فلم تتغير. ومهما حاولنا أن نسكت ضمائرنا فإننا نعلم أن الناس ما يزالون جميعاً خطاة، وما تزال نتائج الخطية هي المرض والفشل والأمل الكاذب واليأس والموت.

ولا الحزن تبدل. لقد بدأ الحزن عندما تطلّع آدم وحواء بقلبين منكسرين إلى جثة هابيل ولدهما، وعرفا بعدئذ أثر الحزن الذي يحطم النفس. فلا مهرب ولا مرد منه، وكل امرئ يعاني وطأته إذ كما قال أيوب: "الإنسان مولود للمشقة[٢]".

كذلك الموت لم يتغير. مع أن البشر حاولوا أن يحسنوا مظهره، فاستعملوا التوابيت الأنيقة والأطياب والعطور، ونظموا الجنازات الحافلة والمقابر الواسعة، لكن حقيقة الموت القاسية ظلت ثقيلة الوطء على قلب الإنسان كما كانت خلال الأحقاب المتعاقبة.

ونلخص قصة حياة الإنسان بحقائق ثلاث: ماضٍ مليء بالخطيئة وحاضر مليء بالحزن ومستقبل يحمل في ثناياه الموت الذي لا بد منه.

ويقول الكتاب المقدس: "وُضع للناس أن يموتوا مرة"[٣].

---

[٢]- أيوب ٥: ٧

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

يخيل لكثير من الناس أن ذلك يعني جرهم إلى موقف يائس لا رجاء فيه. لقد أوجد الناس كثيراً من الفلسفات والديانات بغية أن تحل محل كلمة الله. كما أن كثيرين من الفلاسفة وعلماء النفس في عصرنا قد زعموا أن ثمة طريقاً آخر غير يسوع المسيح. وجرب الناس جميع تلك الطرق المزعومة لكنها كانت تقودهم إلى الدمار.

وتبقى الحقيقة الساطعة التي لا نستطيع نكرانها وهي أن يسوع وحده هو الذي أتى ليوجد الحل المقنع الوحيد لمشاكلنا الثلاث: الخطيئة والحزن والموت. كما أنه وحده" هو هو أمساً واليوم وإلى الأبد" (عب١٣: ٨).

كل شيء يتغير ويتبدل أما يسوع المسيح فيبقى هو هو. وسط الإنسانية المتألمة المضطربة كأمواج البحر، يقف يسوع ثابتاً هادئاً متأهباً ليرحب بكل من يلجؤون إليه ويقبلون منه نعمة السلام والطمأنينة. إننا نعيش في عهد نعمة، عهد يمكننا فيه- حسب وعد الله- أن نأتي إلى يسوع المسيح ونقبله. ولكن هذا العهد (العصر) لن يدوم إلى الأبد كما أننا نحن لن نعيش سوى فترة عمرنا القصيرة!

[٣]- عبرانيين ٩: ٢٧

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

الفصل الثاني

الكتاب المقدس

"السماء والأرض تزولان ولكن كلامي لا يزول"

(متى٢٤:٣٥)

عقارب الزمن تسرع مقتربة من النهاية، والجنس البشري يتهيأ لمصيره المحتوم. فأي سبيل نختار؟ هل من مرجع ذي سلطة يمكننا الرجوع إليه والاعتماد عليه؟ هل ثمة ضوء ينير لنا السبيل؟ هل ثمة "دستور" نجد فيه الحل لمشاكلنا؟ هل وُضعنا في هذا العالم بقوة خلاّقة مجهولة أم بقوة خالقٍ مجهول؟ هل نملك مفتاح الحل لهذه الأسئلة: من أين جئنا وما سبب وجودنا وإلى أين نمضي؟

بلى. لنا "دستور"، لنا مفتاح الحلّ، لنا مرجع ثقة وذو سلطة. لنا في الكتاب المقدس كل ذلك. والكتاب المقدس هو ذلك الكتاب التاريخي القديم العهد الذي نؤمن أنه كلمة الله. تناقلته العصور الغابرة حتى وصل إلينا. وتناولته الأيادي الكثيرة وظهر في أشكال متعددة. صمد في وجه الأعداء الذين بغوا تخريبه وتدميره والنيل منه. صمد رغماً عن همجية البرابرة ونيران المتوحشين وهزء الملحدين. وبقيت وعوده المجيدة، يسطع نورها حتى في أشد عصور الإنسان ظلاماً. إن عالمنا اليوم يقترب من اللحظة الحاسمة في تاريخه؛ وما أحوجنا في هذا الوقت إلى الرجوع إلى الكتاب المقدس لنفحص ما فيه من حكمة ونبوة. دعنا نستقصي كيف استطاع هذا الكتاب، دون غيره، أن يبقى رغم عوامل الحدثان، ولماذا استطاع أن يبقى الينبوع الذي يستقي منه الإنسان الإيمان والقوة الروحية.

هناك من يرى ان الكتاب المقدس هو خاصة تاريخ بني إسرائيل ويقول البعض الآخر أنه الكتاب الذي قدم للإنسانية أعظم مبادئ أخلاقية. صحيح هذا وذاك ولكن غرض الكتاب المقدس الأساسي هو أن يخبرنا عن قصة الفداء الذي أعده الله في شخص يسوع المسيح. أما أولئك الذين يغفلون حقيقة الخلاص وينظرون إلى الكتاب المقدس نظرتهم إلى مؤلف تاريخي قيّم أو إلى مجموعة من روائع الشعر والأدب فإنهم يغفلون رسالة الكتاب الأساسية وغايته.

نحن نؤمن أن الله قد أوحى بالكتاب المقدس لكي يوضح خطته لفداء الإنسان. لقد أوحى به ليجعل شرائعه الأبدية واضحة لأولاده، ولكي ينالوا حكمته التي تقودهم ومحبته التي تسعدهم وتشجعهم في طريق حياتهم. ولولا الكتاب المقدس لغدت دنيانا مكاناً مظلماً مرعباً خلواً من المعالم.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

إن الكتاب المقدس هو الكتاب الفريد الوحيد الذي نجد فيه الإعلان المكتوب لإرادة الله نحو الإنسان، وهو الكتاب الوحيد الذي يقدم للإنسان فداءً ويعطيه الحل لجميع مشاكله.

أنجزت كتابة الكتاب المقدس خلال ألف وستمائة سنة. وساهم فيه ثلاثون كاتباً تفصل بينهم فترات قد تبلغ أجيالاً بكاملها، وكان كل منهم يعمل بوحي من الله. لم يدون أولئك الكتبة ما أرادوا أو اعتقدوا بل كانوا مجرد أقلام بشرية استخدمها الوحي الإلهي، فكتبوا كما شاء لهم أن يكتبوا، واستطاعوا بتأثيره الكريم أن يروا الحقائق الباقية لكي يستطيع الآخرون أن يروها ويعرفوها.

لقد كتبت أسفار الكتاب المقدس، الستة والستون، بأقلام أناس اختلفت لغاتهم وتباينت عصورهم وتنوعت بلدانهم؛ لكنهم جميعاً اشتركوا في أداء رسالة واحدة. لقد كلم الله كلاً منهم بمفرده بلغته الخاصة وفي وقت معين لكنه أوحى للكل رسالة واحدة. وعندما اجتمع الثقات من العلماء والباحثين لينقلوا المخطوطات الآرامية واليونانية والعبرانية إلى لغة معاصرة واحدة، وجدوا أن وعود الله لم تتغير ورسالته العظمى إلى الإنسان لم تتبدل. وإننا لنلمس بكل وضوح حين نقرأ قواعد السلوك التي نزلت على موسى ودونها الكتبة منذ آلاف السنين، نلمس أنها ما تزال جديدة كما لو أنها هبطت من عند الله لساعتها.

فليس عجيباً إذن أن يكون الكتاب المقدس أكثر الكتب في العالم انتشاراً. ما من كتاب آخر يستطيع أن يحاكي ما فيه من سمو الحكمة وجمال الشعر ودقة التاريخ والنبوات. أما النقاد الذين أخذوا عليه أنه حافل بالأخطاء والأوهام والوعود الكاذبة فقد بدأوا يقتنعون بأن ما لاحظوه من تناقضات ظاهرية إنما يرجع مردها إلى الضعف في الترجمة لا إلى ضعف الوحي الإلهي.

ومع ذلك، نرى مع الأسف الشديد أنه يتندر على الكتاب المقدس في كثير من البيوت التي تدعي أنها مثقفة، وينظر إليه كشيء يدعو للسخرية وينسون بل يتناسون أنه كلمة الله الحية.

عندما سأل أحد القسس طفلة صغيرة إذا كانت تعرف ما في الكتاب المقدس، ردت عليه بزهو قائلة:" إنني أعرف ذلك بكل تأكيد يا سيدي. ففيه صورة صديق شقيقتي واسم العطر الذي تستخدمه أمي، وخصلة شعر صغيرة وورقة التأمين على ساعة أبي". وقد كانت صادقة في إجابتها لأن هذه هي الأشياء التي كانت في كتابهم المقدس. وما أكثر العائلات التي تستخدم الكتاب المقدس لحفظ الرسائل القديمة أو لتجفيف الأزهار أو غير ذلك وتغفل عن قصد الله الأساسي من ذلك الكتاب الثمين وهو تقديم المعونة والطمأنينة للنفوس البشرية المتألمة المحتاجة!

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

أما اليوم فقد بدأ ذلك الموقف يتغير، ويتغير بسرعة، إذ أن الحياة في تغير مستمر ينزع إلى التجرد من التكلف والزركشة. وظهر بطلان وعود الإنسان لأخيه الإنسان. وبينما تتلفت عيوننا المرتعبة تبحث عن شيء حقيقي دائم، ترى من جديد في الكتاب المقدس ضالتها المنشودة لأنه الكتاب الوحيد الذي انتصر دائماً على آلام الجنس البشري.

وما أصدق أن يقال أن الناس "يكتشفون" الكتاب المقدس مرة ثانية، وهاهم ينفضون الغبار عن نسخهم القديمة أو يبادرون إلى اقتناء نسخ جديدة. وها هي العبارات المألوفة التي نسيناها ترن في أسماعنا بجرس جديد كأنها كتبت بالأمس فقط. وما ذلك كله إلا لأن الكتاب المقدس يحتوي كل ما يحتاج إليه الإنسان لسد فراغ نفسه وحل جميع مشاكله.

وكما أن البلاد تنمو وتزدهر بفضل دستورها- شرط أن تتقيد به وتعمل بموجبه- هكذا المسيحية انتشرت وازدهرت بفضل دستورها الذي هو الكتاب المقدس.

وكما أن الدستور يجب أن ينطبق بروح المساواة على جميع المواطنين دون أن يكون ثمة مجال للمحاباة أو لاختلاف التأويل كذلك الكتاب المقدس، باعتباره أعظم دستور للجنس البشري بأسره، يجب أن تطبق قوانينه على كل بني الإنسان بلا تحيز وبلا تغرض في التأويل.

وكما أن الدستور يعتبر القانون الأسمى في كل بلد كذلك يعتبر الكتاب المقدس قانون الله الأسمى لأن فيه يعلن الله قوانينه الروحية. وبين صفحاته أيضاً نطالع المواعيد السخية الصادقة التي قدمها لنا. ولا نجد تلك المواعيد بنفس الصحة واليقين في أي كتاب آخر.

وإذا ما تأملنا عجائب الطبيعة رأينا أن الطبيعة تسير دوماً وفق قوانين الله وحسب تخطيطه. من منا لا تتملكه الدهشة ويشعر بعظمة الله الخالق حين يحدق في السماء في ليلة صافية الأديم وتتراءى لناظريه ملايين النجوم المتلألئة أو حين يقبل الربيع فتتجدد الحياة وتكتسي الطبيعة بحللها الزاهية؟ الطبيعة تظهر لنا عظمة الله وقوته وحكمة تخطيطه ولكنها لا تخبرنا شيئاً عن محبة الله أو عن نعمته، كما أننا لا نجد فيها الخلاص الذي يعدنا به الله، لكننا نجده بسهولة ووضوح في الكتاب المقدس.

في صميم كياننا يخبرنا الضمير بوجود الله ووجود فارقٍ بين الشر والخير. لكن تلك الرسالة التي يؤديها الضمير رسالة مبتورة؛ أما الرسالة التي يؤديها الكتاب المقدس فهي كاملة واضحة. وليس إلا بين صفحاته نستطيع أن نجد الرسالة الواضحة التي لا يمكن أن نخطئها، الرسالة التي ترتكز عليها المسيحية بأكملها.

إن المسيحية كافة تستمد تعاليمها من الكتاب المقدس. وإن المسيحي الحقيقي ليأبى أن يرفض أي جزء من كلمة الله أو أن يضيف شيئاً إليها. ويعتقد كل مسيحي أن الرجال الذين

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

كتبوا الكتاب المقدس كانوا يكتبون تحت قيادة الروح القدس الذي كان يوحي إليهم بالأفكار وبالكلمات التي دونوها. وذلك ما يؤكده قول بطرس "لأنه لم تأتِ نبوة قط بمشيئة إنسان. بل تكلم أناس الله القديسون مسوقين من الروح القدس[٤].

وقال الرسول بولس "كلُّ الكتاب هو موحى به من الله ونافع للتعليم والتوبيخ، للتقويم والتأديب الذي في البر لكي يكون إنسان الله كاملاً متأهباً لكل عمل صالح"[٥].

ولقد دون أولئك الرجال الكتبة ما أرادهم الروح القدس أن يدونوه دون أن يحاولوا تزيين الحقائق أو تحسينها. فذكروا الخطيئات بغضّ النظر عن مرتكبيها صغاراً كانوا أم كباراً. وذكروا نقاط الضعف البشري، وسجلوا وقائع الحياة كما كانت تجري تحت سمعهم وبصرهم. وحين نطلع على تلك الوقائع، التي عاش أصحابها في عهود عريقة، ندهش إذ نجد أن حياتهم ودوافعهم ومؤثراتهم لا تختلف كثيراً عما نجده ونلمسه في عصرنا اليوم. وتبدو الصفحات التي دونوها بمثابة مرايا يرى فيها كل منا نفسه وما تزخر به من كبرياء وتحيز وفشل ونقاط ضعيفة، كما يرى فيها كل منا خطيئاته وأحزانه وآلامه.

إن الحقيقة هي هي في جميع أحقاب الزمن، وهي لا تختلف من عصر إلى عصر أو من شعب إلى آخر أو من بلد إلى آخر. أفكار البشر تختلف، وتتبدل عاداتهم، وتتنوع أخلاقهم ونواميسهم، أما الحقيقة العظمى الشاملة فتبقى كما هي إلى الأبد.

ولكن ما هو فحوى الكتاب المقدس وما هو مضمونه؟ إن فحوى الكتاب هو رسالة مخلصنا الرب يسوع المسيح، رسالة الخلاص. وقد استطاع البحّاثة المتعمقون أن يتتبعوا شخصية يسوع المسيح سواء بالشكل الظاهري أو باللقب الرمزي في أسفار الكتاب المقدس كافة- لا في العهد الجديد فحسب بل في العهد القديم أيضاً- إن يسوع المسيح هو موضوع الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد.

وإذا تصفحنا أسفار الكتاب جميعها فإننا نرى يسوع فيها جميعها.

فهو في سفر التكوين: نسل المرأة

وهو في سفر الخروج: حمل الفصح

وهو في سفر اللويين: الذبيحة الكفارية

وهو في سفر العدد: الصخرة المضروبة

---

[٤]- ٢ بطرس ١: ٢١

[٥]- ٢ تيموثاوس ٣: ١٦- ١٧

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

وهو في سفر يشوع: رئيس جند الرب

وهو في سفر القضاة: المنقذ

وهو في سفر راعوث: النسيب السماوي

وهو في أسفار الملوك الستة: الملك السماوي الموعود به

وهو في سفر نحميا: مجدد الأمة

وهو في سفر استير: المحامي

وهو في سفر أيوب: فادي المؤمن

وهو في سفر المزامير: الكل وفي الكل بالنسبة للمؤمن

وهو في سفر الأمثال: قدوتنا

وهو في سفر الجامعة: هدفنا

وهو في نشيد الإنشاد: مسرّتنا

وهو في كتب الأنبياء: رئيس السلام

وهو في الأناجيل: المسيح الذي جاء لكي يطلب ويخلص

وهو في أعمال الرسل: المسيح المقام

وهو في الرسائل: المسيح الجالس عن يمين الله الآب

وهو في سفر الرؤيا: المسيح عائداً ثانيةً ومالكاً إلى الأبد

تلك هي رسالة الإنجيل العظيمة: رسالة الحياة والسلام والسماء الأبدية. إن الكتاب المقدس لا يخفي غرضه، وهو لا يحتاج إلى تفسيرات خاصة لكنه يقدم رسالته الواضحة السهلة لكل إنسان. يقدم رسالته الوحيدة وهي رسالة المسيح الرائعة التي فحواها: سلام مع الله.

في عصارى أحد الأيام جلس يسوع مع تلاميذه على سفح جبل قرب كفرناحوم. والتفّ التلاميذ حول معلمهم في نصف دائرة وربما كان بطرس في أولها وكان يوحنا في آخرها. وتطلع إليهم يسوع واحداً فواحداً بعينيه الطافحتين حباً وحناناً. نظر يسوع إلى أولئك التلاميذ الذين وقفوا نفوسهم عليه كما ينظر الأب العطوف إلى أفراد عائلته الكبيرة فيمنح

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

كلاً منهم قسطه السخي من الحب ليخال لكل واحد أنه تفرّد بكل ما في قلب والده الكبير من محبة وحنو. وتلك كانت الطريقة التي يغدق بها يسوع محبته على التلاميذ: كان يحبهم كأفراد ويحبهم كجماعة. كما أنه كان يشعر في الوقت نفسه بحاجات كل منهم ويعرف نقاط الضعف فيهم.

ونفذت نظرته العميقة الملأى بالحب إلى أعماق نفوسهم، فخيم عليهم الهدوء. وشعروا بأن هذه اللحظة الفريدة لا بد أن تحمل إليهم رسالة عظيمة، رسالة جديرة بأن تنقش في قلوبهم بل أن تنقل إلى كل من لم ينل حظوى الاستماع إليها من فم المعلم الحبيب.

في تلك الجلسة الفريدة من تاريخ الإنسانية نطق يسوع بأعظم عظة سمعتها الإنسانية. هناك أعلن يسوع أسس الحياة المسيحية.

ولم لا تتناول كتابك المقدس الآن؟ هيا تناوله وافتحه! وانظر الأصحاح الخامس من إنجيل متى واقرأ كلماته الافتتاحية "طوبى للمساكين بالروح لأن لهم ملكوت السموات" وتابع القراءة حتى الفصلين السادس والسابع. فقد تكون هذه الفصول مألوفة لديك. أليست في الواقع عماد الحياة وحجر الزاوية فيها. " فلما أكمل يسوع هذه الأقوال بهتت الجموع من تعليمه لأنه كان يعلمهم كمن له سلطان وليس كالكتبة"[٦].

لقد كان السلطان الذي علم به هو سلطان الله نفسه. وبنفس هذا السلطان وضع القواعد والأحكام التي هي أحكام الله وقواعده التي يجب أن يتبعها كل مسيحي يحمل في قلبه رجاء الخلاص.

إن كنت لا تقتني كتاباً مقدساً في منزلك فبادر إلى أقرب مكتبة للكتاب المقدس، اشتر النسخة التي تروقك. ثم ارجع إلى بيتك وادرس هذا الكتاب، لتتبين سبب دوامه وبقائه، وسبب قدرته على تلبية كل حاجة إنسانية، وتتبين أخيراً لماذا يوفّر هذا الكتاب للإنسانية ما تحتاج إليه من إيمان وقوة في سيرها نحو الأمام.

أما إذا كان قد طال بينكما عهد الفراق فأنصحك بأن تجدد معه عهد الألفة مبتدئاً من إنجيل يوحنا. ومع أن هذا الإنجيل يعتبر في طليعة الكتب البعيدة الغور لكنه في الوقت نفسه من أوضح الأسفار المقدسة وأسهلها للفهم. كُتب لإظهار حاجة الإنسان إلى الخلاص وإيضاح طريقة الحصول عليه. فهو يعطيك الحل لما يخالج عقلك من أسئلة، ويبدد ما في القلب من حيرة وريب.

[٦]- متى ٧: ٢٨- ٢٩

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

وبعد أن تنتهي من قراءة بشارة يوحنا يمكنك أن تمر بالبشائر حسبما دونها متى ومرقس ولوقا، ملاحظاً كيف أن هؤلاء الرجال- مع اختلاف شخصياتهم وتنوع نمط كتابتهم- تمكنوا من إظهار حقيقة الفداء الأبدية المنجزة في شخص يسوع. وستتعرف آنذاك بتلك الحقيقة الشاملة العظمى التي تنبثق منها كل التعاليم الإنجيلية. ولا شك أن قول بولس عن المسيح سيجد أثراً عميقاً في نفسك" يسوع المسيح هو هو أمساً واليوم وإلى الأبد"[٧].

وخير ما تفعله بعد أن تنتهي من قراءة البشائر وبمفردها، هو أن تعود فتقرأ جميع كتب العهد الجديد حسب ترتيبها. وسترى في النهاية أنك أصبحت تتذوق الكتاب المقدس وأنك تجد لذة في قراءته، وترى فيه ينبوعاً للوحي لا ينضب ومرشداً أميناً لا يخطئ وخزينة ملأى بالنصائح الثمينة فلا تعود تقوى على مفارقته بل تجعل قراءة الكتاب المقدس جزءاً من حياتك اليومية.

إن معرفة الكتاب المقدس تكسب الحياة معناها وجمالها وغناها. فكلمات الكتاب المقدس تملأ فراغ نفوسنا وتسد الثغرات في بناء حياتنا، وتحول الأيام القاتمة القاحلة إلى أيام مشرقة مثمرة.

تعوّدْ أن تتسلط أشعة الكتاب المقدس الكشافة على كلٍّ من مشاكل حياتك فتجد فيه دوماً الجواب الشافي والحل الصحيح.

[٧]- عبرانيين ١٣: ٨

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

الفصل الثالث

الله

"أإلى عمق الله تتصل أم إلى نهاية القدير تنتهي"؟

(أيوب ١١: ٧)

من هو الله؟ كيف نستطيع أن نتأكد وجوده؟ وهل له بداءة؟ وكيف السبيل إلى معرفته؟

تراود هذه الأسئلة ذهن كل إنسان. وهو إما أن يهمس بها لنفسه أو أن يصرح بها جهراً، لأننا جميعاً نستوي من حيث موقف الدهشة والإعجاب الذي نقفه من خَلْق العالم. وفي كل يوم تتكرر معجزة تكوّن حياة جديدة، وتتكرر أمامنا قصة الموت الغامضة. وفي كل يوم أيضاً نشهد جمال الأزهار وهي تتفتح ونرى أمام ناظرينا السماء المرصعة بملايين النجوم المتلألئة، وتمتد أمام أعيننا الجبال الشاهقة والسهول الفسيحة والبحار الواسعة...

فمن صنع تلك الروائع كلها؟ ومن سنَّ قانون الجاذبية الذي ينتظم بفضله كل شيء في مكانه المحدد؟ ومن الذي أمر فكان الليل والنهار وكان تعاقب الفصول واحداً فواحداً بلا تزاحم ولا تجاوز؟!

ثمة جواب واحد ممكن وهو أن هذه الأشياء وجميع الأشياء هي عمل المبدع الأسمى والأوحد. كما أن للساعة مصمماً هكذا ينبغي أن يكون لعاملنا الدقيق مصمم عظيم ونحن ندعوه الله. اسم معروف لدينا تعودنا أن نردده على شفاهنا منذ نعومة أظفارنا. والكتاب المقدس يعلن أن الله- الذي نتحدث عنه، ونسبّحه، وتنسكب من يده كل البركات- هو الإله الذي أبدع هذا الكون ووضعنا فيه.

وكأني بك تلجّ سائلاً: " من هو الله؟ أين هو الله"؟ جميعنا نعرف اسمه ونستغيث به عند حلول الشدائد والصعاب الجسام. البعض منا يحاولون إدمان ذكر الله واللهج به باستمرار، والبعض الآخر يعلنون جهراً أنهم لا يؤمنون به. وإلى جانب هؤلاء وأولئك فريق يقول: أَقِم لنا البرهان على وجود الله فنؤمن به.

إذا كنت ممن يسمعون عن الله ويتحدثون عنه ولكنهم بانتظار من يثبت لهم وجوده قبل أن يؤمنوا به فدعنا نرى معاً ما أورده الكتاب المقدس في كلامه عن الله.

في هذه الفترة الحاسمة من تاريخ العالم ينبغي لكل إنسان أن يبحث عن هذا السؤال الخطير: " من هو الله"، ويتوصل إلى جواب صحيح عن ذلك. ومن واجب كل إنسان أيضاً أن

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

يعرف، بما لا يدع مجالاً للشك، من هو الله وما يستطيع الله إنجازه. جهلنا بالله وعدم رغبتنا في إطاعة شرائعه هما مصدر ما نقاسيه من مشاكل، وما تنوء به نفوسنا من أثقال، وما يعانيه عالمنا من فوضى واضطراب. فلنحاول إذاً أن نتزود بكل ما يمكن أن نعرفه عن الله.

أين نجد هذه المعرفة؟ ومن الذي يستطيع من بني الإنسان أن يزودنا بالحقيقة؟ ألسنا جميعنا مخلوقات محدودة؟ وهل عيّن الله على أرضنا شخصاً ما يستطيع أن يخبرنا عن الله بصورة موثوقة لا ترقى إليها الريب؟ كلا! فإن الإنسان الوحيد الذي باستطاعته ذلك قد عاش على أرضنا منذ ألفي سنة، وقد صلبناه! فكيف نجد الآن المعرفة التي نبحث عنها؟

سل كبار العلماء فيجيبوك أن الله ليس إلا تعبيراً عن كل شيء نصادفه في الحياة وفي الطبيعة، وإن الكائنات الحية تشكل مع الله وحدة منسجمة، وإن الحياة نفسها تعبير عن كيان الله الإلهي. ثم يَخْلُصون إلى القول: إننا نستطيع أن نرى الله في ذرة الماء المتناهية في الصغر وفي قبة السماء المتناهية الأرجاء.

أما الفيلسوف فيعتبر أن الله هو القوة الأصلية الثابتة والحافظة العوالم في حركة دائمة، وهو القوة التي لا بدء لها ولا نهاية.

ثم يمضي إلى القول إن كل ذرة حياة وجمال أن هي إلا مظهر لتلك القوة التي تتدفق في تيار مستمر مستديم من المولد الكهربائي ثم تعود إليه.

ويقول لنا آخرون: إن الله هو الكائن المطلق وهو الكل في الكل. لا يستطيع أحد أن يعرف عنه أكثر من ذلك. هناك تعاريف كثيرة لله، فقد بذلت المحاولات لتفسير الكائن الأسمى المهيمن على هذا العالم- من قبل البلدان والأجناس والأفراد- وحاول كل امرئ أن يكتشف خالقه العظيم الذي لا يراه.

ونقف نحن موقف الحيرة ونتساءل ما هي الفكرة الصائبة؟ وأية نظرية نقبل؟ بمن نثق من أصحاب التفاسير؟

أما أنا فأقول: لا بد لنا من أن نقبل ما يأتي به الله نفسه. ولا شك أننا إذا آمنا بأن الله يعلن نفسه في الكتاب المقدس فسوف ترتاح نفوسنا وترتوي عقولنا، ويصبح بوسعنا أن نتأكد أننا قد حصلنا على الجواب الصحيح وأننا في طريقنا إلى فهم ومعرفة طبيعة الله.

ونستطيع أن نجد هذا الإعلان في الكتاب المقدس مراراً عديدة قد تبلغ المئات. فإذا واظبنا على درس الكتاب المقدس بعناية وانتظام فسوف نتمكن من معرفة الله بصورة وثيقة ومرضية.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

وكما أن لحجر الماس جوانب عديدة هكذا فإن مظاهر إعلان الله عن نفسه عديدة جداً؛ وأقتصر منها على ذكر أربعة أعتقد أنها أقوى دلالة، وكم يجدر بنا أن نحملها دائماً في قلوبنا.

أولاً: يعلن الكتاب المقدس أن الله روح. وذلك ما بينه يسوع بكل جلاء في حديثه مع المرأة السامرية عند بئر سوخار " الله روح[٨]".

ولكن ماذا نفهم بكلمة روح؟ وما هي الصورة الذهنية التي ترتسم أمامنا؟ هل نظن أنه سحابة من بخار تسوقها الريح في الجو؟ أم أنه أمر مخيف مثل "البعبع" بالنسبة للأولاد؟ أهذا ما عناه يسوع حين قال " الله روح"؟

لكي نعرف ما هو الروح بالحقيقة أو ماذا عنى يسوع حين استعمل هذه الكلمة المحددة، يجدر بنا أن نرجع إلى الكتاب المقدس مرة أخرى لنسمع يسوع يقول لتلاميذه: " جُسُّوني وانظروا فإن الروح ليس له لحم وعظام كما ترون لي"[٩]. من هذا نرى أن الروح لا جسد له ومع ذلك فإن له كياناً وقوة. وكم يبدو عسيراً علينا أن نفهم ذلك بعقولنا البشرية المحددة!

بسبب أننا بشر، محرومون من النظرة غير المحدودة التي صمم الله بالأصل أن نتحلى بها، فمن العسير عليها أن ندرك مجد الروح وروعته- لا سيما وأن الروح بالأصل بعيد عنا خارج عن نطاق ذواتنا.

ونحن حين نسمع كلمة "روح" نحاول مباشرة أن نرسم في أذهاننا صورةً أو معنىً يخضع للمقياس الذي تعتمده عقولنا القاصرة المحدودة. وما أشبه محاولتنا هذه بمحاولة إفهام معنى المحيط لإنسان لم يشاهد طوال حياته سوى بركة صغيرة من الماء الملوث بالأوحال. كيف يتسنى لمثل هذا الإنسان أن يدرك حقيقة المحيط بأطرافه التي لا نهاية لها، بأعماقه البعيدة الغور؟ أم كيف يستطيع أن يتمثل في ذهنه جبروت المحيط بأمواجه المزمجرة المزبدة أو جماله الرائع العجيب في لحظات سكونه وهدوئه؟ وبأية كلمات نستطيع أن نرسم تلك الصور المتعددة التي تحاكي حقيقته الغنية الرائعة؟ أم كيف نستطيع أن نقوده إلى الإيمان بأن مثل هذا الشيء العجيب يمكن أن يوجد في الواقع؟

ولكَم يبدو الأمر أشد صعوبة لنا ونحن نحاول أن ندرك ونفهم ما عناه يسوع حين قال" الله روح"! أما يسوع نفسه فقد عرف ذلك جيداً لأن ذهنه لم يكن محدوداً كأذهاننا ولأن عينيه لم تكونا مركزتين على بركة الحياة الموحلة. فقد كان يعرف جيداً غنى الروح الذي لا حدود

[٨]- يوحنا ٤: ٢٤
[٩]- لوقا ٢٤: ٣٩

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

له. لذلك جاء لكي يؤهلنا لنفهم، ولو بصورة جزئية، هذا الغنى وما يتضمنه من سلام وتعزية وأشياء جميلة رائعة.

إننا نعرف أن الروح لا تحصره قيود الجسد المحدود؛ وهو ليس عرضة للقلق والهم أو التغير والتبدل. وعندما يعرّف الكتاب المقدس الله بأنه روح فهو يعني أن له تلك الصفقات؛ فهو غير محدد بجسد معين ولا بهيئة خاصة، ولا بحدود أو قيود البتة. وهو منزه بصورة مطلقة عن القياس ولا يمكن أن تراه الأعين التي تقتصر قوة أبصارها على الأشياء الجسدية.

لهذا كله فإن الله- كما يبين ذلك الكتاب المقدس- يستطيع في آن واحد أن يكون في كل مكان، ويستطيع في آن واحد أيضاً أن يسمع كل شيء ويرى كل شيء ويعرف كل شيء.

أما نحن فلا نستطيع! ولذلك نحاول أن نصغّر الله- إذا صح التعبير- حتى يصبح ضمن حدودنا البشرية ونحاول أن ننكر على الله قوته وقدرته على فعل أشياء يستحيل علينا أن نفعلها. وما أشبهنا في ذلك برجل طالما سمع عن المحيط، وذات يوم جعل طريقه إلى الشاطئ وحين بلغ الماء غرف منه ملء يده ثم أغلقها على بضع قطرات ثم صاح قائلاً: آه! وأخيراً امتلكت المحيط. وها أنا أمسكه بيدي. لقد أصبح كله لي!

صحيح أنه يمسك بجزء من المحيط ولكن في نفس اللحظة يمكن لعشرات الألوف من الأشخاص الآخرين أن يقفوا على شواطئ أخرى لنفس المحيط ويمسك كل منهم بيده بضع قطرات ويقول مثلما قال صاحبنا. وبوسع كل إنسان أن يأتي إلى شاطئ من شطآن المحيط ويمسك ملء يده ماء، بل قدر ما يريد، لكن المحيط يبقى بالرغم من ذلك كما كان بلا تغير ولا تبدل. وتبقى قدرته ومظاهر الحياة في أعماقه دون أي تبدل رغم أنه قد استطاع أن يلبي حاجة كل واحد من أولئك الواقفين على شطآنه.

كذلك الأمر بالنسبة لله، فهو يستطيع في آن واحد أن يكون في كل مكان، ويسمع صلوات جميع الذين يصرخون إليه باسم المسيح، كما يستطيع أن يستمر في إنجاز معجزاته العظيمة: فتظل الكواكب في مواضعها وتظل الأسماك تسبح في مواطنها في النهر والبحر، وتظل النباتات تنبثق من قلب التربة لتنمو وتزدهر وتثمر. فلا حدود لله سبحانه وتعالى، فحكمته وقدرته ومحبته ورحمته وجميع كمالاته لا تعرف حدوداً.

وإذا كنت تحاول أن تحد الله فكفّ عن ذلك ولا تحاول أن تقيد شخصه أو أعماله بمكان أو جو معينين، لأنك لن تستطيع أن تحدّ المحيط! ولن تجد في نفسك من الجرأة ما يكفي لأن تغير الفلك الذي يدور فيه القمر أو ما يكفي لتوقف الأرض عن دورانها، فأي حماقة مفرطة

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

ترتكب إذا ما حاولت أن تحدّ الله الذي أبدع تلك العوالم بما فيها وهو ما يزال يهيمن عليها ويحفظها!

إني أشعر بامتنان كبير نحو والدتي لأجل البركات الكثيرة التي أدخلتها في حياتي. ومن أروع ما علمتني قولها لي وأنا في العاشرة من العمر "إن الله روح غير محدود أبدي لا يتغير". ورسخت كلماتها في ذهني طوال حياتي، وكم ردعتني عن الميل إلى جعل الله ضمن حدود. إن هذه المعرفة من شأنها أن تعينك على التغلب على كل شك في مقدرة الله على إنجاز ما تعجز أنت عن إنجازه.

والذين يشكون في كون الكتاب المقدس هو كلمة الله فإنما يفعلون ذلك لأنهم لا يريدون أن ينسبوا لله شيئاً يعجزون هم أنفسهم عنه. فإذا كان يخامرك أي شك في وحي الكتاب المقدس فخذ الكتاب واقرأه من جديد وتذكر أن موقفك يحاكي موقف ذلك الإنسان الذي اعتاد النظر إلى البركة الصغيرة الموحلة ثم وقف أمام المحيط! قد يستبعد أن تكون نظرتك الآن هي أول لمحة عن قدرة الله وعظمته غير المحدودة، كما لا يستبعد أن تكون الآن قد بدأت تفهم ماهية الله. لأنه إذا كان الله هو الروح الذي أعلنه يسوع المسيح فإن جميع المشاكل ستحل: مشكلة العناية الإلهية، ومشكلة السلطان الإلهي في التاريخ، ومشكلة الوحي الذي أوحى به الله إلى الرجال الذين كتبوا الكتاب المقدس.

ثانياً: يعلن الكتاب المقدس أن الله شخص. ونقرأ في صفحاته مثل هذه العبارات: "يفعل اللهوهو في يقول اللهوهو في يحب الله". ننسب إليه كل ما ننسبه إلى الشخص من صفات. فالشخص يشعر ويفكر ويرغب ويريد ويمتلك جميع الصفات المعبرة عن شخصيته.

والشخصية كما نراها نحن لا بد أن تكون مقترنة بالجسد؛ لأن عقولنا المحدودة لا تستطيع أن ترى الشخصية إذا لم تظهر هذه الشخصية في جسد من لحم ودم وعظام. نعلم أن شخصيتنا لن تندثر إلى الأبد بالأجساد التي تندثر بها الآن، ونعلم أنها عند الموت سوف تنطلق إلى مصيرها الذي ينتظرها- ومع ذلك فإنه يعسر علينا أن نقبل تلك الحقيقة.

هلاّ نتأمل النصوص الكتابية فنفهم أن الشخصية ليست كائناً" جسدياً". فإن الله مع كونه مجرداً عن الجسد فهو شخص. وهو يشعر ويفكر ويحب ويغفر، وهو يشاركنا ما نواجهه من مشاكل وما نقاسيه من أحزان.

ثالثاً: يعلن الكتاب المقدس أن الله ليس روحاً وشخصاً فحسب بل هو قدوس وبار. يظهر الله نفسه كإله قدوس في جميع أسفار الكتاب المقدس من سفر التكوين حتى سفر الرؤيا. فهو يمثل أسمى درجات الكمال المطلق بكل معنى الكلمة. وهو أقدس من أن يمس الإنسان الخاطئ، كما أنه أقدس من أن يحتمل الخطأة في حضرته؛ فهو إله كامل قدوس.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

وكم تتبدل حياتنا، أفراداً وشعوباً، لو استطعنا أن ندرك الصورة الحقيقية التي تمثل بره الجليل! وكم سيتغير العالم بسرعة مدهشة لو استطعنا أن ندرك الهوة الواسعة الهائلة التي تفصل بين الإنسان الفاجر الخاطئ وبين الله البار الكامل. وتعلن الأسفار المقدسة أن الله نور ليس فيه ظلمة البتة. فهو الكائن الأسمى الذي لا يتطرق إليه لوم أو نقص.

وهنا أيضاً يجد الإنسان نفسه عاجزاً عن إدراك هذا المفهوم العسير. حيثما سرنا نرى أنفسنا غارقين في الخطأ والقصور. ولذلك يصعب علينا أن ندرك قداسة الله الشاملة الفائقة. ولكن لا بد لنا- إذا أردنا أن نفهم الكتاب المقدس ونحصل على الفائدة المرجوة منه- لا بد لنا من أن نقر بتلك القداسة.

وتؤكد جميع الأسفار المقدسة وجود ذلك الغور الهائل الذي يقف الإنسان العاجز عن الكمال في طرفه الأول بينما يقف الله الكلي القداسة والكمال في طرفه الآخر. فنراه (أي الغور) متمثلاً في تقسيم خيمة الاجتماع، وفي تقسيم الهيكل إلى قدس وقدس أقداس، وفي التقدمات التي كان لا بد منها لكل خاطئ يريد الاقتراب من الله، وفي تأسيس كهنوت خاص ليقوم بالتوسط بين الله والشعب. كذلك أكدته الشرائع التي أوردها سفر اللاويين وتدور كلها حول موضوع الخطيئة والإثم. فقداسة الله واضحة بجلاء في جميع ما سنه من فرائض وسنن.

ويبين الكتاب المقدس أن عرش الله مرتكز على أسس من القداسة. ويرجع سبب وجود البون الشاسع بين الله القدوس والإنسان غير التائب إلى أن الله قدوس لكن الإنسان بعيد كل البعد عن القداسة. كما يخبرنا الكتاب المقدس بأن الكتاب المقدس بأن آثامنا قد فصلتنا عن الله وسترت وجهه عنا حتى لم يعد بإمكانه أن يستمع إلينا.

إن طهارة الله ونقاءه لا يسمحان له بأن ينظر إلى الشر والخطيئة. وقد كانت بين الله والإنسان شركة وألفة قبل أن تدخل الخطيئة إلى الجنس البشري، غير أن هذه الشركة قد انفصمت عراها ولن يستطيع الإنسان أن يعيد تأسيس تلك الشركة وإقامتها إلا بوسيلة واحدة وهي: شخص يسوع المسيح.

والإنسان الخاطئ هو بذاته عاجز عن تغيير موقفه وعن إيصال الكلمات الآثمة- التي ينطق بها لسانه الآثم- إلى أذني الله الطاهرتين. ولولا أن الله برحمته اللامتناهية قد أرسل ابنه يسوع ليكون، فوق ذلك الغور الهائل، جسراً يصل بين الإنسان والله، لولا ذلك لبقي الإنسان هالكاً إلى الأبد.

لن نستطيع أن ندرك السبب الحقيقي لموت المسيح إلا حينما ننظر إلى قداسة الله. فتلك القداسة تتطلب أن تلقى الخطيئة جزاءها المناسب. ولكن محبة الله هي التي هيأت ودبرت أن يقوم يسوع المسيح بدفع ذلك الجزاء العظيم، ومنح الإنسان الخلاص.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

لقد أرسل الله ابنه الوحيد ليمكننا من القدوم إليه، يدفعه إلى ذلك ما يتصف به من طهارة وقداسة وعدالة وبر. لكننا إذا تجاهلنا محبته ومعونته التي قدمها لنا، وأبَينا الخضوع لشرائعه، فلن نستطيع أن نسأله الرحمة يوم يحل علينا العقاب الذي نستحقه.

رابعاً: الله محبة. الذين لا " يقرأون" الكتاب المقدس يتعذر عليهم فهم هذه العبارة: "الله محبة" وأمثالها. ونحن أنفسنا كثيراً ما نجهل ما نعنيه تماماً بكلمة "محبة". ولذلك أصبحت هذه الكلمة من أكثر الكلمات تعرضاً للخطأ والتشويه وإساءة الاستعمال. نلفظ كلمة محبة حين نتحدث عن شؤوننا وعلاقاتنا، سامية أو منحطة فنقول: " نحب" أن نسافر و"نحب" أن نأكل كعكة. و" نحب" سيارتنا الجديدة، و"نحب" لون الستائر التي شاهدناها في منزل أحد الأصدقاء. و" نحب" جيراننا مع أننا لا نحبهم. فلا عجب- والحالة هذه- أن تكون فكرتنا غير واضحة حين نقرأ أن الله محبة.

"الله محبة" لا تعني أن الأمور ستسير بسهولة وعذوبة وهناء وإن عقاب الخطيئة سيُزال. وهل ننسى أن قداسة الله تتطلب معاقبة الخطيئة؟ ولكن محبة الله هي التي دبرت خطة فداء الإنسان الخاطئ وهي التي أرسلت يسوع المسيح إلى الصليب.

إن الله يحبك. ولولا تلك المحبة لما كان لأحد منا أقل رجاء في الحياة الأبدية. ولكن نحمد الله لأنه محبة ولأن محبته لنا دائمة وأبدية.

لقد فصلتنا خطايانا عنه ولكن كما أنه بسبب قداسته لا يستطيع أن ينظر إلى الخطيئة، كذلك فإنه بسبب محبته قد دبر لنا طريقاً للرجوع إليه بواسطة يسوع. "ولكن الله بيّن محبته لنا لأنه ونحن بعد خطاة مات المسيح لأجلنا[١٠]".

صحيح أن يسوع قد هيأ لك طريقاً للرجوع إلى الله ولكنه يرغمك على اتباعه. لأن الله لا يفرض نفسه على أي إنسان؛ وذلك ما يؤكده قول الكتاب "لأنه هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد لكي لا يهلك كل من يؤمن به، بل تكون له الحياة الأبدية[١١]".

لقد قدم الله لنا محبته اللانهائية ورحمته. لكن يتوقف على كل منا أن نؤمن ونقبل تلك المحبة فننال الخلاص بها. ولا أحد غير الله يستطيع أن يفعل ذلك من أجلنا.

كما أننا لا نستطيع أن نصف المحيط أو نفهم جماله العظيم ما لم نره فعلاً، كذلك لا نستطيع أن نفهم محبة الله ما لم نقبلها ونختبرها بصورة فعلية ونحصل على سلام مع الله.

---

[١٠]- رومية٥: ٨

[١١]- يوحنا ٣: ١٦

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

إن العقل البشري غير كفء لإدراك محبة الله غير المتناهية. قد يعجب عقلك كيف تستطيع البقرة السوداء أن تتغذى بعشب أخضر ثم تعطينا لبناً أبيض اللون- ومع ذلك فأنت تشرب اللبن وتتغذى به. كذلك لا يستطيع ذهنك أن يتتبع المراحل الدقيقة التي تمر بها بذرة البطيخ المسطحة منذ غرسها حتى نموّها وتحوّلها إلى نبتة مزدانة بالثمار الخضراء ذات اللب الأحمر اللذيذ الطعم، ومع ذلك فأنت تأكلها وتستلذ مذاقها. ولا يستطيع ذهنك أن يفسر الكهرباء التي تبعث الضوء في مصابيحنا، ولكنك تعرف أن الكهرباء موجودة.

يجب أن تقبل الله بالإيمان- الإيمان بابنه يسوع المسيح، فتتلاشى من ذهنك كل الشكوك. فلا ضرورة عندئذ أن تتساءل أو تسأل عما إذا كان الله في قلبك أم لا لأنك تعرف ذلك معرفة اليقين وعن اختبار شخصي.

كلما سُئلت عن سر اليقين الذي يعمر به قلبي أتذكر قصة الصبي الذي كان ذات يوم يلهو ويطيّر " طيارته". كان اليوم غائماً وكانت الريح سريعة وهي تسوق أمامها السحب المتموجة في الفضاء الفسيح. وحلقت الطيارة وارتفعت في طيرانها حتى حجبتها الغيوم عن الأنظار. ومر رجل بالصبي فسأله

: "ماذا تفعل هنا يا بني؟" أجابه الغلام:

" إني أطيّر طيارة". فصاح الرجل متعجباً:

"تطيّر طيارة ولكن ما الذي يجعلك تتأكد مما تفعل؟ فأنت لا تستطيع أن ترى طيارتك".

فرد عليه الصبي:

صحيح! ولكني بين فترة وأخرى أشعر أنها تجذبني بقوة فأتأكد أنها ما زالت هناك.

وهكذا أيضاً لا نحتاج أن نتساءل أو نسأل عما إذا كان الله موجوداً أم لا، إذ أننا نعرف ذلك معرفة اليقين، بالإيمان، وعن اختبار شخصي وعلاقة شخصية بيننا وبين الله.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

الفصل الرابع

الخطيئة

"الجميع أخطأوا وأعوزهم مجد الله"

(رومية٣: ٢٣)

نعيش اليوم في عالم مشحون بالخطيئة. تؤكد لنا الرسالة إلى أهل رومية (٣: ١٠) أنه "ليس بار ولا واحد". لكن الكتاب المقدس يؤكد لنا من ناحية أخرى أن الله الذي خلق هذا العالم هو إله خيّر صالح أيضاً. فلماذا إذن نرى الخطيئة منتشرة والشر مسيطراً والأحزان والآلام منتشرة في كل مكان وبهذا القدر الهائل؟ ومن أين جاءت كل هذه البغضاء؟ ولماذا صنعنا لأنفسنا أصناماً نعبدها؟ ولماذا نتعبد في هياكل الأنانية والطمع والحروب؟ ولماذا غرق الجنس البشري، الذي خلق على صورة الله، لماذا غرق في الفساد والفجور حتى لزم أن يُتبع الله الوصايا العشر بأمر يحض على تنفيذها؟ كيف امتلأ البشر بالشهوة والشر؟ ولماذا وجب أن يرسل الله ابنه الوحيد ليخلصنا؟

إذا أردنا أن نفهم لماذا تتآمر أمة على أمة ولماذا تنقسم العائلة على نفسها ولماذا تمتلئ صحفنا بأنباء العنف والإجرام والبغضاء فلا بد لنا من الرجوع إلى البداءة لنرى القصة التي يرويها الفصل الأول من سفر التكوين عن آدم حينما كان في جنة عدن.

يظن بعض الناس أن قصة الخلق كما يرويها الكتاب المقدس ليست سوى خرافة قد يصدقها الأطفال! لكنهم مخطئون فيما زعموا، إذ أن ما يرويه الكتاب المقدس هو صادق كل الصدق. فهو يروي لنا بأمانة ودقة ما حدث بالفعل في أول الأمر ثم يروي لنا كيف ولماذا مضى الإنسان في سيره، منذ تلك اللحظة، في طريق الدمار والخراب. لا خلق الله هذا الكون كاملاً لا نقص فيه ولا علة. خلقه كامل الجمال والانسجام... ونحن اليوم نتوق إلى ذلك العالم.

في هذا العالم الكامل وُضع الإنسان كاملاً: كان آدم كاملاً لا نقص فيه ولا علة. وهل يُعقل أن يصنع الله شيئاً إلا كاملاً؟ ثم سكب الله في آدم أعظم الهبات وأثمنها وهي الحرية: حرية الاختيار. كان آدم كامل النضوج في جسمه وعقله، سائراً مع الله ومتمتعاً بالشركة المباركة معه. وكان من المقرر أن يكون ملكاً على الأرض يحكم وفق إرادة الله.

في جنة عدن نرى سموّ حالة الإنسان الكامل، الإنسان الأول الذي تفرّد بين سائر مخلوقات الله بهبة الحرية. حرية كاملة: فله أن يختار وله أن يرفض، له أن يطيع وصايا الله وله أن

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

يعصيها، له أن يسعد نفسه أو يشقيها. ولكن مجرد امتلاك الحرية لا يكفي لإسعادنا وإنما ما نختار فعله بحريتنا هو الذي يقرر ما إذا كنا سنجد أم لا السلام مع أنفسنا ومع الله.

هذا هو جوهر المشكلة لأنه حالما توهب الحرية للإنسان يجد نفسه مخيراً بين طريقين اثنين. إذ لا معنى للحرية إذا كان هناك طريق واحد لاتباعه. الحرية تتطلب أن يمتلك المرء حق الاختيار وحق تقرير ما ينوي أن يفعله.

نعرف رجالاً ونساءً ذوي استقامة وأمانة ولكن ليس ذلك منهم عن اختيار حرّ بل لأن لم تتح لهم الفرصة ليكونوا غير ما هم عليه. وكثيراً ما يفتخر الناس بأنهم طيبون، بينما هم في الواقع مدينون في صلاحهم إلى البيئة المحيطة بهم وإلى نمط الحياة التي يحبونها. وكيف نفاخر بمقاومة التجربة إذا لم نواجه أية تجربة؟

وقد أعطى الله آدم تمام الحرية ليختار ما يشاء، كما هيأ له أفضل فرصة ليمارس تلك الحرية. في جنة عدن كان آدم مجرداً من الخطية مزداناً بالبرارة التامة. العالم كافة كان خاضعاً له رهنَ إشارته، وتاريخ البشرية كان في قبضة يديه، أشبه بالقرطاس الناصع البياض، ينتظر أن يخط عليه آدم مجرداً الفصل الأول... لقد أنجز الله عمله فخلق جنة أرضية، غنية بكل ما يمكن أن يحتاج إليه الإنسان. وأبدع إنساناً كاملاً على شبهه وجهزه بعقل وروح. ومنحه حرية كاملة ليستخدم عقله ويتصرف بروحه كما يشاء. ثم انتظر، كما ينتظر الوالد، ليرى أي سبيل يختار ولده.

وجاءت التجربة العظيمة التي كانت بمثابة اختبار لآدم الذي كان له ملء الخيار والحرية في اختيار السبيل السوي أو السبيل الخطأ. ولم يكن أمامه سبيل واحد لا بد من اتباعه بل كان أمامه سبيلان؛ وقد اختار أحدهما بمحض إرادته.

لقد أجرى اختياره فتحمل نتائج ذلك الاختيار ووضع النموذج الذي كان لا بد للإنسانية من اتباعه. "بخطيةٍ واحدة صار الحكم إلى جميع الناس للدينونة[١٢]".

وما أشبه آدم بالينبوع الذي انبثقت منه الإنسانية بأسرها. وقد كان بإمكان ذلك الينبوع الصافي الرقراق أن يختار مصيره بين أن يصبح نهراً صافياً يجري في المراعي الخضراء المخصبة ليرويها وينعشها، أو أن يصبح نهراً موحلاً قذراً يتسرب بين الصخور القاسية منحدراً في الفجوات والكهوف المظلمة- فيصبح هو نفسه شقياً كما يصبح عاجزاً عن حمل الفرح والقدرة على الإخصاب لما يمر به من الأماكن والأراضي.

[١٢]- رومية ٥: ١٨

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

لا يجوز لنا من أن نلوم الله بسبب ما نراه في العالم من فوضى واضطراب مُستعصِيَين لأن الغلطة ترجع في أصولها على آدم وحده. فقد منح حق الاختيار في أن يصغي إلى أكاذيب الشيطان، أو يصدق قول الله. ويتلخص تاريخ الجنس البشري منذ ذلك اليوم حتى الآن في محاولاته لاستعادة الوضع الذي خسره بسبب سقطة آدم.

قد تقول في نفسك: "إن هذا ليس من الانصاف في شيء! فما جنينا نحن حتى نتألم؟ وهل ينبغي أن نتألم اليوم لمجرد أن الإنسان الأول قد أخطأ منذ عهد بعيد؟ ولماذا لم يتمكن الإنسان من التخلص من تلك الحالة واستعادة وضعه الذي كان فيه؟ ولماذا نستمر نحن في تحمل الجزاء يوماً بعد يوم؟

لنعد ثانية إلى قصة النهر البارد المظلم الذي يجري في أسفل الممر العميق بين الفجوات والكهوف. لماذا لا يستطيع ذلك النهر أن يرجع ويصعد إلى الحقول المبهجة الممتدة فوقه؟ ولماذا لا يترك طريقه المحزن وينقلب إلى جدول خرار سعيد كما كان عندما انبثق من الأرض لأول مرة؟

إنه لا يفعل ذلك لأنه لا يستطيع. وهو لا يمتلك بذاته القدرة على أن يفعل خلاف ما اعتاد أن يفعله دائماً. فما إن انحدر إلى ممره المظلم مرة حتى لم يعد بوسعه الارتفاع إلى الأراضي المشرقة الممتدة فوقه. فالوسيلة للارتقاء متوفرة وكذلك الطريق لكن النهر لا يعرف كيف يستفيد منهما. ولا شك أن ذلك يتطلب معجزة. إن تلك المعجزة اللازمة مهيأة دائماً وهي كفيلة بتحويل نهر الإنسانية من الشقاء الذي تسير فيه لتجعله يسير مرة أخرى في مجرى السلام الدافئ المتألق، لكن النهر لا يرى ولا يسمع. وهو يظن أنه لا يستطيع سوى الاستمرار في طريقه الملتوي إلى أن يتلاشى أخيراً في بحر الدمار.

وقصة النهر هي قصة الإنسان منذ عهد آدم. فما زال يتمادى في مسيره بين الفجوات والكهوف مستمراً في انحداره نحو الظلمة المرعبة. ونحن أنفسنا بالرغم من أصواتنا التي تصرخ طالبة النجدة، ما نزال نختار، بمحض حريتنا، الطريق الخطأ كما فعل آدم. وحين يدركنا اليأس والقنوط، نلتفت إلى الله وننحي باللائمة عليه بسبب مشكلتنا المستعصية، ونشك في حكمته وقضائه، وننتقص من رحمته ومحبته.

إننا ننسى أن آدم بالنسبة إلى الجنس البشري هو بمثابة الرأس. فشل آدم فانخذلنا نحن معه وفشلنا، وليس ذلك فحسب بل أن هذا الفشل والخذلان يمتدان إلى الأجيال التي لم تولد بعد. لأن الكتاب المقدس يبين وضوح أن جميع الذين سينحدرون من صلب آدم سوف تشملهم نتائج خطيئته. وجميعنا ندرك مرارة الحقيقة المعلنة في سفر التكوين (٣: ١٧، ١٨، ١٩): "ملعونة الأرض بسببك. بالتعب تأكل منها كل أيام حياتك. وشوكاً وحسكاً تنبت لك وتأكل

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

عشب الحقل. بعرق وجهك تأكل خبزاً حتى تعود إلى الأرض التي أخذت منها. لأنك تراب وإلى تراب تعود".

أما حواء فقد قال لها الله: " تكثيراً أكثر أتعاب حبلك. بالوجع تلدين أولاداً. وإلى رجلك يكون اشتياقك وهو يسود عليك"[١٣].

لقد تبدلت الأرض، بسبب خطيئة آدم الأصلية، من أرض لا تحمل سوى النباتات الجميلة المغذية، إلى أرض تحمل من النباتات الجيد والرديء على السواء. وبعد أن كان الإنسان في الجنة يكتفي بأن يمد يده ليحصل على أي طعام يشاء ولم يكن في حاجة إلى الملبس والمأوى، أصبح الآن يكدح كل أيام حياته ليؤمن هذه الضروريات لحياته وحياة عائلته. وبعد أن كانت المرأة خالية البال أصبحت مثقلة بالأوجاع والأحزان. وأصبح كلا الرجل والمرأة واقعين تحت جزاء الموت الجسدي ثم الموت الروحي.

لقد دخلت الخطيئة إلى الجنس البشري بواسطة آدم، وما يزال الجنس البشري يجاهد بلا انقطاع للتخلص منها. يخبرنا الكتاب المقدس بأن الله حذر آدم منذ البداية بأنه موتاً سيموت إذا أكل من شجرة المعرفة. كما يخبرنا أن الله أوصى آدم وحواء "أثمروا واملؤوا الأرض". لذلك انتقل مرض الخطيئة المميت إلى قايين وهابيل بالعدوى وانتقل منهما بالوراثة إلى كل ما أعقبهما من أجيال. فجميعنا إذن خطأة بالوراثة. ومهما حاولنا فلن نستطيع أن نتهرب من حق الإرث الطبيعي.

وجميع الوسائل التي لجأنا إليها لتغيير واقعنا قد باءت بالفشل. لقد عجزنا عن استعادة الوضع الذي فقده آدم. حاولنا أن نطرح عن أعناقنا نير الفجور والخطيئة، مستعينين بالثقافة والفلسفة والدين والحكومات، كما حاولنا أن ننجز، بعقولنا التي تحدها الخطيئة، الأشياء التي صمم الله أن ينجزها الإنسان بالبصيرة التي لا يمكن أن تأتي إلا من العلاء. كانت دوافعنا صالحة وكانت المحاولات حميدة، لكننا في كل ذلك أخطأنا الهدف.

وكل ما نتمتع به من معرفة واستنباط وخطط طموحة متطورة لم تستطع أن تدفعنا إلى الأمام إلا بمقدار ضئيل لنعود من جديد إلى النقطة التي بدأنا منها. لأننا ما نزال نرتكب الخطيئة التي ارتكبها آدم وهي محاولة الحكم والسيطرة بوسائلنا بدلاً من أن نحكم الأرض وفق شرائع الله.

ويحسن بنا- بدلاً من نعت الله بالجور أو ضعف المنطق بسبب سماحه للخطيئة في العالم- أن ننظر إلى الموقف نظرة أكثر دقة وانتباهاً. لقد أرسل الله ابنه، مدفوعاً في ذلك برأفته العظيمة، ليرينا الطريق التي تؤدي بنا إلى الخلاص من مصاعبنا. لقد أرسله الله ليختبر

[١٣]-تكوين٣: ١٦

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

نفس التجارب التي تعرض لها آدم، ولينتصر عليها. وجرب إبليس يسوع كما جرب آدم من قبل، وأغراه بالقوة والمجد كما أغرى آدم عن طريق حواء. ولكن الفرق العظيم بين الموقفين هو أن يسوع قاوم التجربة: فعندما أراه الشيطان كل ممالك العالم ووعده بها وبأمجادها انتهره يسوع بقوله: " اذهب يا شيطان لأنه مكتوب للرب إلهك تسجد وإياه وحده تعبد[١٤]". أحرز على الشيطان انتصاراً كاملاً معلناً بذلك للبشرية عن طبيعته الخالية من الخطيئة. بضعفنا وطبيعتنا الفاسدة أثبتنا أننا أبناء آدم، واتبعنا خطواته بأمانة ودقة. نلعن آدم غاضبين، ومع ذلك فنحن نتشبه به! ولا يمر يوم واحد إلا ونواجه نفس الاختبار الذي تعرض له آدم ويسوع. كذلك لا يمر يوم واحد إلا ونمنح فيه فرصة الاختيار بين وعود الشيطان الملفقة وبين كلمة الله الأمينة الصادقة. ولن يزول القنوط والمرض والموت من هذه الأرض إلا حينما يرجع بنو آدم إلى الله الذي رفضه آدم منذ آلاف السنين. عندئذٍ فقط ننال حريتنا التي طالما نشدناها، حريتنا التي تعني التحرر من العوز والبغضاء والخوف والعذاب.

إن طلب الإنسان للقوة، مجردةً من خوف الله، وتصميمه على استعمال هبة الحرية في الاختيار لأغراضه الخاصة الأنانية منذ خلق حتى اليوم، قد أوصله إلى حافة الهلاك. تشهد على ذلك ما خلقته الحضارات البائدة من الأنقاض والأطلال المتناثرة في شتى أنحاء الأرض. وما ذلك إلا شهادة على أن الإنسان لا يستطيع أن يشيد بناء عالم دائم بدون الله. وفي كل يوم جديد تتكرر المآسي ويحلّ الدمار والإنسان ماضٍ في طريقه بتصلب وعناد.

لكن الله في رحمته وحكمته اللانهائيتين ينتظر بأناة ورأفة يفوقان العقول، أن يعود إليه الإنسان بمحض إرادته. وما زال الطريقان اللذان وضعهما الله أمام آدم موضوعين أمامنا، ومازالت لنا حرية الاختيار. صحيح أننا نعيش في عصر النعمة الذي يمسك فيه الله عن فرض جزائه الذي نستحقه بصورة عادلة. لكن يوم الدينونة- يوم يجري الحساب الذي وعد به الكتاب المقدس- سيأتي، وقد لا ينتظر الإنسان الذي أعمته حماقته، قد لا ينتظر كثيراً مجيء ذلك اليوم.

أليس وجود الخطيئة هو الذي يحول بين الإنسان والسعادة؟! بلى وما عجز الإنسان عن إدراك الفردوس الأرضي الذي يحلم به إلا لسبب الخطيئة. وهكذا نجد أن كل ما يخططه من مشاريع وكل ما يحرزه من تقدم في مجال الحضارة، سرعان ما يفشل ويتداعى ويغدو في حيز النسيان. لأن تلك الأعمال التي يعملها الإنسان، إنما يعملها مجردة من تقوى الله. وما يحيط بنا من أطلال في هذه الساعة في شتى أنحاء العالم هو خير شاهد على الخطيئة التي تملأه.

---

[١٤]- متى ٤: ١٠

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

يبدو أن الإنسان قد فقد معرفته بقانون السبب والنتيجة الذي ما زال ساري المفعول في عالمنا. فالنتائج من حولنا واضحة كل الوضوح. لكن أسبابها العميقة الأساسية تبدو أقل تميزاً ووضوحاً وربما كان سبب ذلك مزاعم الفلسفة التطورية التي أعمت بصائر الكثيرين، أو تعلق البشر وتسلحهم بذلك الاعتقاد المرتكز على نظريتهم الحمقاء التي ابتدعوها- ذلك الاعتقاد الذي يزعم بأن الجنس البشري يتقدم، رغم سرعته البطيئة، تقدماً مضموناً نحو الكمال الأسمى النهائي.

من الفلاسفة من يدّعون أن مأساة عالمنا اليوم أن هي إلا مصادفة عرضت له في سيره الصاعد، ثم يشيرون إلى أحقاب أخرى من تاريخ الإنسانية كان يبدو فيها المستقبل حالكاً كما يبدو الآن. ويزعمون أيضاً أن الظروف السيئة التي نعيش فيها اليوم هي كآلام المخاض التي سينبثق عنها مستقبل سعيد. يزعمون أن البشر اليوم يحيون كالأطفال ويتعثرون في طريقهم الذي سيؤدي بهم إلى النضج والتعقل- وإن اقتضى ذلك عدة قرون.

لكن الكتاب المقدس يوضح لنا أن الطبيعة تعلن وجود الخالق ووجود المفسد الكبر. إن عالمنا لم يبق كما صنعه الله بل أُفسد وخُرب. خلقه الله جيداً لكن الخطيئة أفسدته. خلق الله الإنسان باراً ولكن الخطيئة أفسدته وجعلته شريراً.

وكل مظهر من مظاهر الشر إنما هو نتيجة للخطيئة الأصلية التي ما زالت هي هي. ربما تنوعت مظاهرها، لكن الخطيئة نفسها لا تتغير؛ سواء ارتكبها أحد سكان الغاب المتوحشين، أو طيار مثقف متدرب يُغيرُ في طائرته النفاثة على نفس الغابة ليرميها بقنابله المدمرة. فبين ذينك الرجلين تفصل قرون من المعرفة ويقال عن أحدهما أنه أكثر" تطوراً" من الآخر. كما أن أحدهما يتمتع بجميع مزايا الحضارة البشرية، بينما لا يزال الآخر في الحالة" الابتدائية". ومع ذلك فهل ثمة فرق حقيقي بينهما؟ ألا تحرك كلاهما نفس الدوافع، وهي الخوف وعدم الثقة بأقرانه. ألا يندفع كل منهما بأنانية وقسوة إلى هدفه مهما غلا الثمن الذي يدفعه أخوته في سبيل ذلك؟ وهل القنبلة أقل توحشاً وهمجية من الرمح البسيط؟ وبعد هذا كله هل يبقى ثمة أمل في إيجاد حل لمشاكلنا طالما يستوي "الابتدائي" و"المتطور" رغبةً في قتل القريب أكثر مما يرغبان في محبته؟!

فجميع آلام الإنسانية وأحزانها ومرارتها ومآسيها وعارها يمكن أن تلخص بكلمة واحدة: الخطيئة. كلمة لا نحب سماعها وهي في الواقع كلمة حقيقية مخيفة.

ولا يرغب الناس أن يُدعوا خطأة كما كان آباؤهم وأجدادهم يدعون من قبل. غير أن الكتاب المقدس يقول: "أنه لا فرق بين إذ الجميع أخطأوا وأعوزهم مجد الله[١٥]". ويعلن أيضاً أن كل إنسان على هذه البسيطة هو خاطئ في نظر الله. وكلما سمعت امرأ يدعي أنه غير

[١٥]-رومية ٣: ٢٢، ٢٣

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

خاطئ أتذكر القصة التالية: جاء رجل يوماً إلى راعي كنيسته وقال له: إن "الرعية" ترجو منك ألا تتكلم عن الخطيئة بمثل هذه الصراحة لأننا نشعر أنه إذا استمر شبابنا في سماع خطبك الطويلة حول هذا الموضوع فسوف يسهل عليهم أن يصبحوا خطأة. ولماذا لا تدعوها "غلطة"؟ لماذا لا تقول في عظاتك أن شبابنا تعوزهم حكمة وينقصهم روح التمييز. أرجوك ثم أرجوك لا تتكلم في موضوع الخطيئة بعبارات شنيعة. إذ ذاك مد الراعي يده إلى رفٍ قريب وتناول قنينة كتب عليها بأحرف كبيرة" ممنوع اللمس مادة سامة". ثم سأل الراعي الرجل: ماذا تريدني أن أفعل بالقنينة؟ هل تظن أنني أكون أكثر حكمة إذا نزعت هذه الكتابة الواضحة ووضعت بدلاً منها " روح النعنع"؟ ألا ترى معي أنه كلما أغرقنا في الخداع كلما زاد السم خطورة؟

إن الخطيئة- الخطيئة القديمة التي سببت سقوط آدم- هي مصدر آلامنا ومصائبنا الحالية. وكلما ازدادت رغبتنا في تغطية الخطيئة بقناع ازدادت الخطيئة ضراوة وضرراً. لا نحتاج إلى تسميتها بأسماء جميلة لكننا نحتاج إلى فهم دلالة هذه الكلمة التي طالما استعملناها. ومع أن الخطيئة تسود العالم اليوم أكثر من كل شيء آخر، فإن عدداً كبيراً من الناس يجهلون معناها الحقيقي جهلاً تاماً. كثير من الرجال والنساء لا يعدلون عن سلبهم الملتوية الأثيمة لأنهم لم يعرفوا الخطيئة إلا معرفة زائفة؛ كذلك فإن افتقار كثير من المسيحيين إلى تفهم حقيقي للخطيئة هو الذي يمنعهم من العيش عيشة المسيح الحقيقية.

صدق من قال "ما كل من يتحدث عن السماء يدخلها". وهكذا أيضاً يمكن القول: ما كل من يتحدث عن الخطيئة يفهم بجلاء ما تعني. لذلك فإنه من المهم أن نفهم جيداً تعليم الكتاب المقدس عن الخطيئة.

قد ننظر إلى الخطيئة نظرة استخفاف وندعوها بكلمة "ضعف بشري"، ولكنها مأساة في نظر الله! قد نستهين بها باعتبارها حادثاً عَرضياً، أما الله فيعتبرها أمراً منكراً دنساً. يحاول الإنسان أن يخلق لنفسه الأعذار في ارتكاب الخطيئة، أما الله فيسعى إلى توبيخه وتحذيره منها وتخليصه. ليست الخطيئة لعبة نلهو بها لكنها أمر مرعب يجب أن نرهبه ونتحاشاه.

أولاً: الخطيئة عصيان وتمرد. أي أنها تعدٍ على شرائع الله[١٦].لقد خط الله الحد الفاصل بين الخير والشر؛ فكلما تخطينا ذلك الحد الفاصل وكلما اقتحمنا منطقة الشر المحرمة علينا، فإننا نكسر شريعة الله. وكلما فشلنا في العيش وفق وصايا الله العشر، وسلكنا بخلاف مضمون العظة على الجبل فإننا نتعدى شريعة الله ونرتكب الخطيئة. وقد أوضح يعقوب أننا جميعاً خطأة حين قال: " كل واحد يجرَّب إذا انجذب وانخدع من شهوته. ثم الشهوة إذا

[١٦]- ١ يوحنا٣ :٤

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

حبلت تلد خطيَّة. والخطية إذا كملت تنتج موتاً[١٧]." لقد دعينا جميعاً خطأة لأننا كسرنا شرائع الله وتعدينا وصاياه.

ثانياً: الخطيئة إثم. يدعوها الكتاب المقدس إثماً لأنها انحراف عن الحق بغض النظر عما إذا كان هناك نص صريح بمنع الفعل المقصود أو لم يكن. فالإثم شيء يتعلق بدوافعنا الداخلية وبالأشياء التي نحاول غالباً أن نكتمها عن نظر الله والناس. ونعني بهذه الأشياء الشرور التي تنبثق من طبيعتنا الفاسدة، ولا نعني بها الأفعال الشريرة التي ترغمنا الظروف على ارتكابها. وقد وصف يسوع هذا الفساد الداخلي بقوله" من الداخل من قلوب الناس تخرج الأفكار الشريرة زنى فسق قتل سرقة طمع خبث مكر عهارة عين شريرة تجديف كبرياء جهل. جميع هذه الشرور تخرج من الداخل وتنجس الإنسان[١٨]".

ثالثاً: يعتبر الكتاب المقدس أن الخطيئة تقصير عن بلوغ الهدف المعين. والهدف من وجود كل إنسان هو أن يحيا حياة المسيح الذي جاء ليرينا ما يستطيع الإنسان أن يحققه على الأرض. فحينما نفشل عن الاقتداء به فإننا نقصر عن بلوغ الهدف ويفوتنا إدراك المستوى الإلهي المعين لنا.

رابعاً: الخطيئة نوع من التعدي. أي إنها إقحام الإرادة الذاتية البشرية في دائرة سلطة الله. فليس للخطيئة فقط وجه سلبي، يتمثل في عدم المحبة لله، بل لها وجه إيجابي أيضاً يتمثل في اختيار وتفضيل الذات على الله. إنها تعني أن يركز المرء محبته وتعلقه وعاطفته في كيانه الذاتي بدلاً من أن يسمو ويرتقي بقلبه إلى الله. فالأنانية ومحبة الذات لا يقلان شراً عن السرقة والقتل.

وربما كان هذا الشكل من أشد أشكال الخطيئة تدميراً وملقاً، لأنه يغدو من السهل في هذه الحالة أن نتغاضى عن الرقعة الملصقة على زجاجة السم. ولا يقل أولئك المنكمشون على أنفسهم - الذين لا يهتمون إلا بمصالحهم الشخصية وينصب كل اهتمامهم على ذواتهم ولا يحسنون سوى الجهاد في سبيل حقوقهم الخاصة- لا يقل هؤلاء خطيئةً ودناءةً عن السكيرين والزواني.

قال يسوع: " ماذا ينتفع الإنسان لو ربح العالم كله وخسر نفسه[١٩]" وإذا أردنا أن ننقل هذا القول إلى تعابير حديثة تتفق ومفاهيم اليوم أمكننا أن نقول" ماذا ينتفع إمرء من بناء امبراطورية صناعية عظيمة إذا كان ضحية قرحة مزمنة تنغص عيشه وتحرمه متع الحياة؟ أو ماذا ينتفع "دكتاتور" بسط سيادته على امبراطورية شاسعة الأطراف إذا كان

---

[١٧]- يعقوب١: ١٤-١٥
[١٨]- مرقس ٧: ٢١- ٢٣
١٩- مرقس ٨: ٣٦

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

فريسة الخوف من رصاصة غادرة أو خنجر لئيم؟ أو ماذا يجني رجل أوصل أولاده على أسمى درجات العلم والغنى، إذا نبذه أولاده في شيخوخته نبذ النواة؟ والخلاصة أن خطيئة محبة الذات خطيئة مميتة بكل معنى الكلمة.

خامساً: الخطيئة عدم إيمان. لأنها إهانة لصدق الله. "من يؤمن بابن الله فعنده الشهادة في نفسه. من لا يصدق الله فقد جعله كاذباً لأنه لم يؤمن بالشهادة التي قد شهد بها الله عن ابنه[٢٠]". وإنما عدم الإيمان الذي يغلق أبواب السماء ويفتح أبواب الجحيم أمام الخاطئ وهو الذي يدفع الناس إلى إعطاء أذن صماء لصوت الإنجيل وإلى نكران معجزات المسيح، إلى رفض كلمة الله ورفض المسيح مخلصاً.

تجر الخطيئة على صاحبها الموت وما من إنسان يستطيع أن يخلّص نفسه من هذه العقوبة أو أن يطهر قلبه من فساده. لا يستطيع أحد من الناس أو الملائكة أن يكفّر عن الخطيئة. المسيح وحده يستطيع أن يمنحنا العلاج الشافي وينقذ الخاطئ من المصير الرهيب الذي ينتظره حتماً. " لأن أجرة الخطيئة هي موت[٢١]" " النفس التي تخطئ هي تموت[٢٢]" "الأخ لن يفدي الإنسان فداء ولا يعطي الله كفارة عنه[٢٣]" " لا فضتهم ولا ذهبهم يستطيع إنقاذهم في يوم غضب الرب[٢٤]".

ونجد الوسيلة الوحيدة التي نتخلص بها من الخطيئة في مكان وحيد على الأرض، وهو رابية منعزلة لها شكل الجمجمة. فعلى تلك الرابية نصبت ثلاثة صلبان عُلق على أولها لص وعُلق على ثالثها قاتل مجرم، وعلى أوسطها عُلق رجل يعلو رأسه تاج من الشوك والدماء تسيل من يديه ورجليه وجنبه وجبينه. أما الذين وقفوا قبالته فقد مضوا يتبارون في شتمه وتعبيره والسخرية منه.

من هو صاحب هذا الوجه المعذب؟ وما شأن ذلك الإنسان حتى طالب الناس بإهانته وتحقيره وقتله؟ غنه ابن الله، أمير الأمراء الذي تخر الملائكة ساجدة أمامه مسترة وجوهها من ضياء مجده، وهو أيضاً مبعوث السماء إلى ارضنا الملطخة بالخطيئة، وبالرغم من ذلك نراه معلقاً على الصليب، محتقراً مهاناً ملطخاً بالدماء. فأي سبب أتى به إلى ذلك المكان المرعب؟ ومن رسم أمارات العذاب على وجه ذلك الإنسان الذي جاء ليعلم الناس المحبة؟ أنا وأنت وجميعنا. خطايانا هي التي قادته إلى الصليب وسمرته عليه. وفي تلك اللحظة الخالدة بلغ الجنس البشري أحلك ظلمات الخطيئة وغرق إلى أحط درجاتها وتوغل إلى أبعد

---

[٢٠]- ١ يوحنا ٥: ١٠
[٢١]- رومية ٦: ٢٣
[٢٢]- حزقيال ١٨: ٤
[٢٣]- مزمور ٤٩: ٧
[٢٤]- صفنيا ١: ١٨

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

حدود الخيانة والتلوث. فليس عجيباً أن تعجز الشمس عن رؤية ذلك المشهد وأن تحجب وجهها عن الأرض.

لكن الخطيئة خدعت نفسها على الصليب. لقد كان الصليب ضربة موجهة إلى المسيح فانقلب إلى ضربة فتحت للإنسان أبواب الحرية. كذلك كان الصليب يمثل أفضل مظهر لما أنتجته الخطيئة من بغضاء وخزي وتحقير لكنه أصبح يمثل أعظم وأنبل مظهر لرحمة الله ومحبته وغفرانه.

لقد سمرت على الصليب جميع خطيئات الذين يؤمنون بالمسيح. موته أساس رجائنا ومنه نستمد انتصاراتنا. المسيح حمل في جسده على الخشبة ما كان يثقل كاهلنا من خطيئات. مات المسيح من أجانا وقام فأثبت لنا صدق مواعيد الله.

فإذا قبلت المسيح اليوم وآمنت به فإنك تستطيع أن تكسر قيود الخطيئة وتصبح حراً مطمئناً مغتصباً لمعرفتك بأن المسيح قد أحبك وبدمه طهرك من الخطيئة وحررك من الدينونة.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

الفصل الخامس

إبليس

"إن مصارعتنا ليست من دم ولحم بل مع الرؤساء مع السلاطين مع ولاة العالم على ظلمة هذا الدهر مع أجناد الشر الروحية في السماويات" (أفسس ٦: ١٢).

ثمة مبدأ شيطاني يسود ويوجه جميع الأحداث الحالية بالرغم مما يدعيه الرجال القادة من أن بيدهم دفة هذا العالم. وهذا المبدأ يصفه لنا الكتاب المقدس بهذه الكلمات: " طُرح التنين العظيم الحية القديمة المدعو إبليس والشيطان الذي يضل العالم كله"[٢٥]. يعمل هذا المبدأ على نشر الفوضى بين جميع الشعوب وجميع الدول. وهو يعمل في كل مكان.

هل من أمل ضئيل بتحقيق السلام في العالم؟ نرى من حولنا سوء التفاهم والريبة والشك وسوء النية تهدم في لحظة واحدة ما اقتضى تشييده الشهور الطوال؟ ذلك لأن الشيطان مصمم على جرف الإنسانية في لجج الشقاء. انتصر على آدم في الجنة، وهو يريد امتلاك أرواح جميع الذين ينحدرون من آدم.

ما من مفكر إلا تساءل ويتساءل عن وجود الشيطان. أما وجود الشيطان فحقيقة لا ريب فيها: نحن نلاحظ قوته ونفوذه. فليس وجود الشيطان هو المشكلة وإنما المشكلة "كيف" يوجد "ولماذا" يوجد؟

نعلم من قصة آدم وحواء أن الشيطان كان في الأرض قبل خلق الإنسان الأول. ولو لم يوجد الشيطان من قبل لما خلق الله شجرة المعرفة التي تساعد على التمييز بين الخير والشر؛ ولو لم يكن الشر موجوداً بحيث يحتاج الإنسان إلى الحماية منه لما كان هناك ضرورة لمثل تلك الشجرة. وهنا نواجه سراً قد يكون أعظم الأسرار في الكون وأكثرها غموضاً وإشكالاً علينا: كيف استطاع الله، الكلي القدرة والقداسة والمحبة، أن يخلق الشر أو يسمح للشيطان بخلقه؟ ولماذا كان يجب أن يُجرَّب آدم؟ لماذا لم يضرب الله الشيطان ويصرعه ميتاً حينما دخل جسم الحية ليوسوس شروره لحواء؟

يبدو أن عالم الله كان منقسماً إلى "مناطق نفوذ" تخضع كل منها لإشراف أحد الملائكة أو رئيس سماوي مسؤول مباشرة أمام الله. ويخبرنا بولس عن عروش وسيادات ورئاسات وسلاطين[٢٦] في العالمين: المنظور وغير المنظور. ويرد ذكر الملائكة ورؤساء الملائكة

---

[٢٥]- رؤيا ١٢: ٩

[٢٦]- كولوسي١٦:١ وأفسس ٢١:١

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

في الكتاب المقدس في عدة مناسبات تبين أنهم خاضعون لترتيب معين كما أن بعضاً منهم يفوق بعضاً في القوة والسلطان.

ربما كان الشيطان رئيساً سماوياً مقتدراً متولياً شؤون الأرض باعتبارها منطقة نفوذه الخاص. ويبدو من تسميته بلوسيفر أي "حامل النور" أنه كان يقف قريباً جداً من الله إلى درجة جعلت الطموح يضرم قلبه بالرغبة في أن يتخلى عن كونه رئيساً محبوباً خاضعاً لله ليصبح نداً له. في تلك اللحظة حدث التصدع في الكون وانشطر العالم الصالح المنسجم مع إرادة الله، ووقف شطر منه موقف العداء له.

هذا الرئيس المقتدر الذي يملك تحت إمرته عدداً عظيماً من الملائكة أقام مملكته على الأرض. لولا قوة سلطانه على الأرض لما كتبت الأسفار المقدسة. لولا تحدي الشيطان الله ومحاولته أن ينافس الله قوته وسلطانه، لولا ذلك لكانت قصة آدم في الجنة مختلفة جداً عما هي عليه. ولو لم يقف الشيطان موقف العداء تجاه الله لما كانت هناك ضرورة لإعطاء الوصايا العشر إلى الجنس البشري ولما كانت هناك من حاجة أن يرسل الله ابنه إلى الصليب.

كان يسوع وتلاميذه ورسله عالمين بوجود الشيطان. فقد سجل متى محادثة واقعية جرت بين يسوع وإبليس[٢٧]. وفي نظر الفريسيين ما كان إبليس نسجَ خيال. ألم يتهموا يسوع بأنه الشيطان عينه[٢٨]. ويسجل لوقا في بشارته (١٠: ١٨) قول يسوع حين شهد سقوط الشيطان "رأيت الشيطان ساقطاً مثل البرق من السماء" فلم يكن يخامر ذهن يسوع أي شك بوجود الشيطان أو قوته التي ما يزال يستخدمها على الأرض بمهارة. وتتضح قوة إبليس بجلاء في هذه العبارات المأخوذة من رسالة يهوذا (ع٩): "أما ميخائيل رئيس الملائكة فلما خاصم إبليس محاجاً عن جسد موسى لم يجسر أن يورد حكم افتراء بل قال لينتهرك الرب".

وإن كان البعض ينكرون شخصية الشيطان فذلك يرجع إلى حد كبير إلى الصورة الهزلية التي شاعت عن الشيطان في القرون الوسطى. حاول الناس أن يضحكوا منه فصوروه مجنوناً مشوه الخلقة له قرون وله ذنب طويل. ثم وضعوا في يده مذراة وستروا وجهه بقناع ترتسم عليه أمارات البلاهة. وقالوا لأنفسهم هل يعقل أن يخشى أمثالنا ضُحكة هُزأة مثل هذا؟

أما الحقيقة فهي أن الشيطان مخلوق خارق الذكاء، كثير الاقتدار. وهل ننسى أن الشيطان كان- على ما يبدو- أعظم الملائكة رفعة، وأنه صمم على استخدام المؤهلات الإلهية التي منحت له لإشباع رغباته الخاصة لا لتمجيد الله؟ كان يتمتع بخطط عبقرية وتفكير لامع

---

[٢٧]- متى ٤: ١-١٠
[٢٨]- متى ١٢: ٢٤

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

ومنطق راجح ثاقب. فليس خصم الله العنيد مخلوقاً هزلياً يحمل ذيلاً وقرنين، بل رئيس عظيم يتمتع بمهارة ودهاء خارقين. ويستطيع أن يستغنم لصالحه الأمور والحوادث.

وبإمكان الشيطان أن يبعث النبي الكذاب الذي حذرنا منه الكتاب المقدس. وفوق الحطام الذي خلّفه عدم الإيمان والإيمان الملتوي، سوف يقيم إبليس ضدّ المسيح، سوف يخلق ديانة بلا فادٍ، بلا كنيسة، بلا مسيح؛ كما سيدعو لإقامة العبادة التي يستغنى فيها عن كلمة الله.

وقد تنبأ بولس الرسول عن ذلك بقوله" أخاف أنه كما خدعت الحية حواء بمكرها، هكذا تُفسَد أذهانكم عن البساطة التي في المسيح. فإنه إن كان الآتي يكرز بيسوع آخر لم نكرز به أو كنتم تأخذون روحاً آخر لم تأخذوه أو إنجيلاً آخر لم تقبلوه فحسناً كنتم تحتملون... لأن مثل هؤلاء هم رسل كذبة فعلة ماكرون مغيّرون شكلهم إلى شبه رسل المسيح"[٢٩].

إننا نعلم أن ضد المسيح سوف يظهر ويحاول أن يصطاد ويفتن عقول الناس وقلوبهم. ونلاحظ أن الوقت يدنو مسرعاً، ومسرح العالم قد تجهز: فالفوضى والفزع والخوف تنتشر في كل مكان. وعلائم النبي الكذاب تلاحظ في كل مكان وربما كنا من شهود تلك اللحظة الرهيبة التي يمثل فيها الفصل الأخير من تلك المأساة التي استمرت أجيالاً طويلة. ومن الممكن جداً أن نجد ذلك في أيامنا هذه، لأن الإيقاع يزداد سرعة والأحداث تتحرك بخفة ونرى الناس- سواء كان ذلك عن علم منهم أم لا- ينضمون إلى أحد الجانبين، جانب الشيطان أو جانب الله.

يا لها من معركة طاحنة بكل معنى الكلمة، معركة لا هوادة فيها ولا مراعاة ولا شفقة، بدأت في جنة عدن وستستمر إلى نهاية الزمن حتى تنتصر إحدى القوتين الجبارتين: قوة الخير أو قوة الشر! ويتولى العرش أحد الملكين: الملك الحقيقي أو الملك المزيف.

وفي هذه الفترة الحاسمة من التاريخ، يقف وجهاً لوجه ثالوثان عظيمان: الثالوث الأقدس (الآب والابن والروح القدس) والثالوث الزائف (إبليس وضد المسيح والنبي الكذاب) حسبما يتضح ذلك في سفر الرؤيا (١٦: ١٣) "ورأيت من فم التنين ومن فم الوحش ومن فم النبي الكذاب ثلاثة أرواح نجسة تشبه ضفادع". وفي كل لحظة من حياتك، في اليقظة والمنام، تجد نفسك أمام هاتين القوتين الهائلتين. وأنت متمتع بملء الحرية في اختيار السير مع إحداهما دون الأخرى. ففي أحد الجانبين يقف إبليس ويتملق ويخادع ويخيف؛ وفي الجانب الآخر يقف يسوع المسيح بمحبته وغفرانه، منتظراً أن ترجع إليه وتسأله المعونة ليمد يده إليك وينصرك على الشيطان.

---

[٢٩]- ٢ كورنثوس ١١: ٣ – ٤، ١٣

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

في ساعات القلق والخوف، حين ترى نفسك عاجزاً أمام الأحداث لا تستطيع أن تضبطها، وحين يسود عليك اليأس والقنوط إذ ذاك يهاجمك الشيطان ويوقعك في أحابيله كما فعل بآدم من قبلك.

في تلك الساعات المحفوفة بالأخطار والصعاب لا تنس أن الله لم يدعك وشأنك؛ تذكر أن يسوع قد انتصر على المجرب ووعد أن ينصرك دائماً على المجرب: "لأجل هذا أظهر ابن الله لكي ينقض أعمال إبليس"[٣٠].

وكما أن الكتاب يخبرنا مراراً وتكراراً عن محبة الله فهو يحذرنا بصورة مستمرة من إبليس الذي يريد التدخل دوماً بيننا وبين الله. إنه مستعد دوماً أن يصطاد بحبائله نفوس البشر: "فاصحوا واسهروا لأن إبليس خصمكم كأسد زائر يجول ملتمساً من يبتلعه هو"[٣١].

ويتحدث الكتاب المقدس عن إبليس كشخص يسيطر على الأرواح الشريرة التي تحاول بدورها أن تهيمن وتضبط كل نشاط بشري" رئيس سلطان الهواء الروح الذي يعمل الآن في أبناء المعصية "[٣٢].

إياك أن تشك لحظة لأي وجود إبليس. وإذا ما خامرك أي شك في شخصية إبليس فتطلع إلى الصفحات الأولى من الصحف أو استمع إلى المذياع، فتجد فيها ما يكفل لك الدليل القاطع.

وكلما سمعت شخصاً " مستنيراً مثقفاً " ينكر وجود إبليس الذي تأتمر الأرواح الشريرة بأمره، أتذكر قصيدة الشاعر القائل:

قالوا لا شيطانَ في هذا الوجود رفضوا ما جاء في قولِ الجدود

وسَّعوا بابَ العقيداتِ له ليمّر مثل جبارٍ عنيد

أنكروا آثار أقدامٍ جرت واقتفوها يا لتفكير بليد

أين سهم النار من جبهته أين آثارٌ له في ذا الوجود

أين يكون في الريح أو فوق الثرى أنكروه واستمروا في الجحود

٣٠- ١يوحنا ٣: ٨
٣١- ١ بطرس ٥:٨
٣٢- أفسس٢:٢

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

من تُرى هَيّأ للقديس حُفره غرّر فيه لكي يخدم فِكرَه

عندما ربُّ السما يزرع قمحاً ونرى في قولهِ حباً وطهراً

يا ترى الزيوانُ من نثره بين قمح كي يثمر لنا شراً

فهو رغم النكر في أحشائهم وإلى شر الورى يعمل جهراً

من يقم في فعله أن أنكروا أنه موجود من ينشرُ سحره

ليس ليثاً جائلاً بين الورى في ركابِ الشر أينما جرى

فمن المسؤولُ عن هذي الفتنوعن الظلم وعن شر سرى

بين رب البيت مع أولاده بين حكام وهل في ذا افترا

في بيوت اللهِ يُغري بالفتن وإلى أقصى الدنا الشر اعترى

من يقل أنها ليست صنعه فليرِ المسؤول عن شرٍ نرى

وليأتِ الناسَ في برهانه إن إبليس لهذا ما ابترى

كيف يجري الإثم والفِسق معاً يرجو أن يفهم ذا كلُّ الورى

من هو المسؤول فعلاً عن الفجور والرعب والخيانة التي نراها من حولنا؟ وإذا لم يكن الشرير قوة ذات صولة ونفوذ فكيف نعلل الآلام التي نقاسيها؟

يلخص جورج كالي مزاعم المثقفين بقوله: "إن النظرية القائلة بوجود قوة أو مبدأ- شخصي أو غير شخصي- مناوئ لله، إن مثل هذه النظرية يأباها وينبذها العقل الحديث".

يستطيع العقل الحديث أن ينبذ تلك الفكرة ولكن ذلك لا يجعل الشر يختفي. ويقول الدكتور كلوفيس شابل في أحد كتبه "يبدو أن يسوع المسيح وقديسي العهد الجديد قد آمنوا بوجود شخصية شريرة تدعى إبليس.. ولكننا اليوم قد طرحنا ذلك الاعتقاد جانباً. وإذا كنا لا نستطيع أن ننكر حقيقة وجود الشر نفسه، فالخطيئة حقيقة واقعة مها اختلفت تفسيراتنا لها".

لا شك أن الخطيئة حقيقة مرّوعة! بل هي قوة جبارة تصارع الناس ساعية لهدم ما يحاولون إتمامه

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

من خير. هي كالسحابة الدكناء تحول دون وصول أي شعاع علوي إلينا. نحن جميعاً "نلمسها" في كل حركة نقوم بها. ومهما كانت "العناوين" التي نلصقها على الخطية فلا يمكننا أن ننكر حقيقة وجودها: "فإن مصارعتنا ليست مع دم ولحم بل مع الرؤساء مع السلاطين مع ولاة العالم على ظلمة هذا الدهر مع أجناد الشر الروحية في السماويات"[٣٣]

والذين ينكرون وجود الشيطان وأجناده كيف تراهم يعللون السرعة التي بها يستشري الشر؟ كيف يفسرون وجود العقبات العديدة في سبيل الأبرار؟ كيف ينسون أن الهدم والكوارث تتم في لحظات وأن البناء يقتضي أزماناً مديدة؟

إن كلمة الكذب والوشاية والنميمة سرعان ما تنتقل بقدرة سحرية إلى كل مكان؛ أما كلمة الحق والصدق وعمل الخير فسرعان ما تبادر قوى الشر لإطفاء هذه البارقة من الرجاء والخير.

ليس أحد يتبرع لبناء كنيسة للشيطان، ولا أحد يبني منبراً ليعظ بكلمته. ولكننا نرى أن كلمته منتشرة في كل مكان وغالباً ما تترجم تلك الكلمة إلى أفعال واقعية. ولو لم تكن هناك قوى غير منظورة تعمل على إفساد قلوب البشر وتشويه أفكارهم لما استطعنا أن نفسر تشوّق الناس إلى سماع الأحاديث المبتذلة الدنيئة بينما يعطون أذناً صماء إلى الكلام الطاهر النقي!

وهل يعقل أن يفضل أحدنا تناول قطعة من فاكهة دب فبها العفن وتغلغلت فيها الديدان على تناول ثمرة ناضجة طازجة لذيذة الطعم إذا لم تكن هناك قوة غاشمة تدفعه إلى ذلك؟ ومع ذلك فإن هذا ما نفعله جميعاً مرة بعد مرة. إننا نعرض عن الخيرات الجميلة المشرقة الغنية لكي نسعى وراء الخيرات المبهرجة الرخيصة التي تحقرنا وتضع من كرامتنا، وكل تلك الأعمال إنما هي أعمال إبليس الذي يعمل بنشاط في كل مكان.

وما نراه هنا على الأرض ليس سوى جزء صغير من الصراع العظيم الذي يجري بين الشر والخير في العالم غير المنظور. ما أميَلَنا إلى الظنِ بأن عالمنا هذا هو مركز الكون، ونعلق أهمية كبرى على الأحداث الأرضية ولا تسمح لنا كبرياؤنا أن نقر ونراعي سوى ما يظهر لأعيننا البشرية. لكن ثمة صراع، لا حد لعظمته، يجري في العالم غير المنظور. أدرك الحكماء القدامى أن ثمة كثيراً مما تعجز العين عن رؤيته وتقصر الأذن عن سماعه.

لقد دفع آدم ثمناً باهظاً لإصغائه لإبليس. ومن جملة الأشياء التي دفعها أنه خسر معرفته للمفاهيم والمقاييس الروحية. وهكذا فقد كل قدرة على رؤية الأشياء غير المادية وسماعها وفهمها. ولم يكن وحيداً في ما تكبده من خسارة بل شاركته الإنسانية بأسرها. لقد حجب آدم

٣٣- أفسس ٦: ١٢

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

نفسه عن العجائب والروائع التي يزخر بها العالم غير المنظور، وخسر القدرة على التنبؤ الصادق وإمكانية معرفة المستقبل، وبالتالي خسر المقدرة على تفهم حالته الحاضرة وإنجاز أعماله، كما خسر وحدة الانسجام مع العالم ومع المخلوقات. وفصل نفسه عن الله فأصبح أجنبياً غريباً عن عالم الله.

وما أشبه آدم بعد سقوطه بالمذياع المتعطل لا يعمل إلا على محطة واحدة بصوت ضعيف مشوش. عندما الصورة المرتسمة على شاشة الجهاز التلفزيوني تكون غير واضحة فلا نستطيع أن نلوم محطة البث ولا العلماء الذين اخترعوا التلفزيون لأننا نعلم أن الخطأ كامن في الجهاز الذي نستعمله. أما حينما تحل بنا مأساة أو يقعدنا المرض فسرعان ما نتهم الله مباشرة ونلومه.

وإن حصل أحد الزملاء على ترقية كنا نحسب أنفسنا أجدر بها، ننهال على الله باللوم فننعته بالجور والأجحاف، ويفوتنا أن الله هو المحبة والعدالة بالذات، وإن العطل والخلل ليسا في "محطة البث" بل فينا. أجل إنما الشر والعاهة في طبيعتنا الساقطة يحولان دون أن نتمتع برؤية العالم صنع يد الله. خطيئتنا هي التي تشوهنا وتحول دون أن نكون أولاداً لله.

عرف بولس الرسول سطوة ذلك العدو حينما قال: ويحي أنا الإنسان الشقي. من ينقذني من جسد هذا الموت. أشكر الله بيسوع المسيح ربنا. إذن أنا نفسي بذهني أخدم ناموس الله ولكن بالجسد ناموس الخطية[٣٤].

[٣٤]- رومية ٧: ٢٤ ـ ٢٥

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

الفصل السادس

ماذا بعد الموت؟

"إنه لخطوة بيني وبين الموت"

(١ صموئيل ٢٠: ٣)

قيل: ما الحياة إلا استعداد للموت. وقال صاحب المزامير: "أي إنسان يحيا ولا يرى الموت"[٣٥]؟

ندعي أننا في عصر التفكير الحر والتجارب الحاسمة. وحاولنا أن نغير العالم والقوانين التي تضبطه بالعلوم والاكتشافات والاختراعات والفلسفة المادية، كما حاولنا أن نحل أصنام المال والشهرة والذكاء الإنساني على عروش نسجد أمامها. ولكن بالرغم من كل محاولاتنا لا تزال النهاية هي نفسها: " وُضع للناس أن يموتوا مرة "[٣٦].

الموت يحيط بنا من كل جانب. إن منجل الموت مصلتٌ فوق رؤوسنا، في كل لحظة.. الموت يتعقبنا دون هوادة، ويحصد أرواح البشر. يحاول العلماء والعلم الحديث إحراز غلبة على الموت- ولكن الموت هو الغلاَّب أبداً!

أكسبتنا جهود العلم الجبارة زيادة في أعمارنا تبلغ بضع سنوات. ولكن متوسط أعمارنا ما يزال في حدود السبعين سنة- كما يخبرنا الكتاب المقدس.

أمراض القلب تفتك بكثيرين في عنفوان شبابهم، والسرطان يصرع الألوف. السل وأمراض الدم وشلل الأطفال والتهاب الشعب الرئوية تقضي على الكثيرين رغماً عما أحرزه الطب من نجاح في مكافحة هذه الأمراض. إن حقيقة الموت تبقى دون تغير، والموت آخر ما نختبره على هذه البسيطة.

ما إن يولد الطفل حتى يبدأ صراعه مع الموت. تقضي الأم سنوات ترعى طفلها وتحمي حياته: تراقب طعامه وملابسه ومحيطه وتؤمن له الفحوص الطبية الخ... ولكن الطفل رغماً عن كل عنايتها سائرٌ في طريق الموت. وسرعان ما تبدو علائم الضعف فيعالج طبيب نخر أسناننا وآخر ضعف عيوننا ويتجعد جلدنا بمرور الزمن وتتقوس أكتافنا وتقصر خطواتنا متثاقلة، وتصبح عظامنا أكثر تعرضاً للكسر، وتنحل عزيمتنا تدريجياً.

---

[٣٥]- مزمور ٨٩: ٤٩

[٣٦]- عبرانيين ٩: ٢٧

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

فيا له من عدو غامض- كل الغموض كالحياة نفسها. لأن الحياة التي نراها من حولنا في النبات والحيوان والإنسان لا يمكن أن ننتجها نحن بل لا نستطيع أن نفسرها. كذلك الموت لا تفسير له. هذا مع أننا نشعر بوجود الحياة. وما أقل ما نرغب في التحدث عنه أو التأمل في أهميته! إننا نفرح حين تتفتح الحياة ونرزق مولوداً، أما حين تنطفئ حياة إنسان ما وتنتهي بالموت فإننا نحاول أن ننسى الأمر بأسرع ما نستطيع، مع أن كلا التفتح والانطفاء متساويان أهمية. ينيف عدد سكان الأرض على "مليارين" ولا بد انهم جميعاً سيموتون خلال مئة عام فتفقد أجسادهم مشاعرها. ويكتنف الغموض عدداً من الأسئلة: ماذا سيحل بأرواحهم التي هي الجزء الأهم الأبدي في حياتهم؟ ما هو الشيء الذي يفقده الإنسان عند الموت؟ وأين يذهب ذلك الشيء؟

توفي أحد محرري الصحف. وفي ساعة الدفن أصغت عائلة الفقيد إلى تسجيل صوتي للميت قال فيه:" هذه ساعة دفني. لقد كنت منذ عدة سنين وما أزال حتى الآن ملحداً. إنني أضمر أشد الاحتقار للترّهات اللاهوتية. وفي اعتقادي أن رجال الدين ليسوا سوى جبناء من الناحية الأدبية. أما المعجزات فهي نتاج المخيلة. ولو دُعي أربعة من الصحفيين إلى مشاهدة تنفيذ إعدام في أحد المحكومين ثم شوهوا الحقائق كما فعل الرسل لاستحقوا الموت حرقاً. إنني لا أريد ترانيم دينية بل أريد أن تكون جنازتي جنازة مدنية بحتة يرضى عنها العقل السليم ".

لقد وجد في كل عصر أناسٌ حاولوا بسبب بغضهم لله أن يشمتوا الكنيسة والمسيح والأسفار المقدسة. ويخبرنا التاريخ عن أمثال فولتير وجورج برناردشو سعوا بشتى الوسائل أن يقضوا على الخوف من الموت.

ولنسمع إلى ما يخبرنا علماء الانتربولوجيا عن الموت في الأدغال. هناك لا مجال "للترهات اللاهوتية" لأن سكانها لم يسمعوا عن يسوع المسيح. ومن عادة بعض القبائل أن يقتادوا المسنين منهم لمجابهة الوحوش المفترسة بعيداً عن عيون الأحبة. وفي قبائل أخرى يخلع جميع الأفراد ثيابهم ويطلون أجسادهم بالبياض علامة الحداد. وفي كل ساعة نسمع عويل النساء ينبئنا بان نفس إنسان قد فارقت جسده. حقاً إن الموت في البلدان التي لا تعرف الإنجيل لأمرٌ مرعب يدعو لليأس والقنوط!

شتان بين موت المسيحي وموت غير المسيحي. إن المسيح أعطى معنىً جديداً للموت. كان الإنسان ينظر دائماً إلى الموت نظرته إلى عدو غاشم. أما المسيح فيؤكد أنه قد غلب الموت وكسر شوكته. وكان يسوع واقعياً جداً حينما ناشد الناس بالاستعداد للموت. لا تهتموا لموت الجسد بل اهتموا لموت النفس الأبدي.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

ويبين الكتاب المقدس أن ثمة نوعين من الموت: موت جسدي وموت أبدي. وأوصانا يسوع بأن نخاف خاصة من الموت الثاني. ووصف الموت الثاني بأنه الجحيم أي النفي الأبدي من حضرة الله. وبيّن أن الموت الجسدي لا يعد شيئاً إذا قيس بفظاعة ما تعانيه النفس المنفية من حضرة الله.

منذ عدة سنوات كانت الدكتورة أفيّ جان هويلر تدرّس اللغة الإنكليزية والأدب في نفس الجامعة التي تلقيت فيها دراستي وقد عرفت بتقواها وسعة إطلاعها بالموضوع الذي كانت تقوم بتدريسه. وفي أيار

١٩٤٩ كتبت إلى الدكتور أيدمن عميد الكلية وزملائه والتلامذة القدماء الرسالة التالية: " شكراً من أجل الوقت القصير الذي تخصصونه لقراءة هذه الرسالة. اود أن تطلعوا، قبل ذهابكم إلى العطلة الصيفية، على حقيقة اكتشفتها فقط يوم الجمعة الفائت. لقد أخبرني طبيبي الخاص أخيراً عن المرض الذي كان يبرّح بتعذيبي منذ عدة أسابيع، وقال أنه حالة من حالات السرطان المستعصية... لو كان طبيبي مسيحياً لما استصعب مصارحتي. حبذا لو كان يعرف - مثلكم ومثلي- أن الموت والحياة مستويان حين نعيش وفق إرادة الرب وفي شركة مستمرة مع الرب. وإذا كان الرب قد اختارني لأذهب إلى جواره في وقت قريب فإنني ذاهبة بكل سرور. أرجوكم ألا تحزنوا عليَّ لحظة واحدة. لست أودعكم كمن لا أمل له باللقاء. أعزائي "إلى اللقاء"، في الوطن السعيد، في المدينة السماوية حيث أنا بانتظاركم. وأختم بإهداء خالص المحبة لكل فرد منكم".

ولم يكد يمر أسبوعين على كتابة تلك الرسالة حتى انتقلت الدكتورة هويلر من هذه الدار الفانية إلى الدار الباقية... يعلمنا الكتاب المقدس أن لنا نفساً خالدة، نفساً تحيا إلى الأبد. نعم إن ذاتنا الحقيقية أي الجزء الذي يفكر ويشعر ويحلم ويطمح- وهو الأنا أو الشخصية- لن تموت أبداً.

ويعلمنا الكتاب المقدس أيضاً أن نفسنا ستحيا إلى الأبد في أحد مكانين: السماء أو الجحيم. فإذا لم تكن مسيحياً- أي إذ لم تولد من جديد فإن نفسك ستذهب حالاً بعد الموت إلى المكان الذي دعاه يسوع الهاوية، لتنتظر دينونة الله.

إن الحديث عن الجحيم أمر مكروه لدى الكثيرين، ومثار جدل كثير. وكثيرون هم الذين يسيئون فهم هذا الموضوع الخطير.

يزعم البعض بأن جميع الناس سيخلصون وإن الله لن يرسل أحداً إلى الجحيم لأنه إله محبة. يقولون أن كلمة أبدي أو دائم - في هذا المقام- لا يقصد بها إلى الأبد. ولكن ألم ينتبهوا إلى أن نفس الكلمة التي تتحدث عن النفي الأبدي من حضرة الله تستعمل أيضاً

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

للدلالة على أبدية السماء. إن من الإنصاف أن نجعل فرح البار وعقوبة الشرير متعادلتين لأن لهما، في الأصل اليوناني، نفس الكلمة ونفس الدلالة الزمنية.

ويزعم آخرون أن أولئك الذين رفضوا خطة الفداء التي أعدها الله سوف يمحون من الوجود بعد موتهم. ولكن إذا فتشنا الكتاب سطراً سطراً فلن نجد بوضوح أن الإنسان، خلص أو لم يخلص، سيظل، بروحه وبشخصيته، في حيز الوجود بصورة أبدية واعية.

وثمة أخيراً من يزعم أن الخلاص ممكن حتى بعد الموت،

وأن الله سيمنح الخاطئ فرصة ثانية. لو كان ذلك صحيحاً لوجدنا في الكتاب المقدس تأييداً له أو أقل إشارة إليه. والحال أن الكتاب المقدس، بتحذيراته العديدة، يدحض مثل هذا الزعم: "هوذا الآن وقت مقبول. هوذا الآن يوم خلاص"[٣٧].

والأسفار المقدسة، في كثير من آياتها، تعلّم وتثبت وجود جهنم وتؤكد أن جهنم هي مصير كل إنسان يرفض بمحض إرادته ومعرفته أن يقبل المسيح رباً ومخلصاً:

" إني معذب في هذا اللهيب"[٣٨].

"من قال لأخيه... يا أحمق يكون مستوجب نار جهنم[٣٩].

" يرسل ابن الإنسان ملائكته فيجمعون من ملكوته جميع المعاثر وفاعلي الإثم. ويطرحونهم في أتون النار. هناك يكون البكاء وصرير الأسنان"[٤٠].

"هكذا يكون في انقضاء العالم. يخرج الملائكة ويفرزون الأشرار من بين الأبرار. ويطرحونهم فيأتون النار. هناك يكون البكاء وصرير الأسنان"[٤١]"ثم يقول أيضاً للذين عن اليسار اذهبوا عني يا ملاعين إلى النار الأبدية المعدة لإبليس وملائكته"[٤٢].

"أما التبن فيحرقه بنار لا تطفأ"[٤٣].

" يجازيهم ضيقاً... في نار لهيب معطياً نقمةً للذين لا يعرفون الله والذين لا يطيعون إنجيل ربنا يسوع المسيح. الذين سيعاقبون بهلاك أبدي من وجه الرب ومن مجد قوته"[٤٤].

---

[٣٧]- ٢ كورنثوس٦: ٢
[٣٨]- لوقا ١٦: ٢٤
[٣٩]- متى ٥: ٢٢
[٤٠]- متى ١٣: ٤١-٤٢
[٤١]- ١٣: ٤٩- ٥٠
[٤٢]-متى ٢٥: ٤١
[٤٣] - متى ٣: ١٢
[٤٤] ١- تسالونكي ١: ٦، ٨، ٩

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

" فهو أيضاً سيشرب من خمر غضب الله المصلوب صرفاً في كأس غضبه ويُعذَّب بنار وكبريت أمام الملائكة القديسين وأمام الخروف. ويصعد دخان عذابهم إلى أبد الآبدين ولا تكون راحة نهاراً وليلاً للذين يسجدون للوحش ولصورته ولكل من يقبل سمة اسمه"[٤٥].

وطُرح الموت والهاوية في بحيرة النار. هذا هو الموت الثاني. وكل من لم يوجد مكتوباً في سفر الحياة طُرح في بحيرة النار"[٤٦].

" وأما الخائفون وغير المؤمنين والرجسون والقاتلون والزناة والسحرة وعبدة الأوثان وجميع الكذبة فنصيبهم في البحيرة المتقدة بنار وكبريت الذي هو الموت الثاني"[٤٧].

رُبَّ معترض يقول: انا لا أؤمن بالجحيم، ولا أقبل ديناً سوى ما تنادي به "العظة على الجبل ".

حسناً! فدعنا نصغي إلى فقرة من تلك العظة الخالدة "إن كانت عينك اليمنى تعثرك فأقلعها وألقها عنك. لأنه خير لك أن يهلك أحد أعضائك ولا يلقى جسدك كله في جهنم."[٤٨]

فيتضح لنا من قول يسوع هذا أن جهنم موجودة. وقد ضرب يسوع عدة أمثلة وقدّم عدة إيضاحات حول الموضوع، كما حذر الناس المرة تلو المرة من حماقة العيش في الإثم والرياء.

ولا شك أن جحيم الأشرار يبدأ- نوعاً ما في أثناء حياتهم على الأرض. يقول الكتاب المقدس" تعلمون خطيتكم تصيبكم"[٤٩] كما يقول أيضاً: " الذي يزرعه الإنسان إياه يحصد أيضاً"[٥٠].

ونرى من جهة أخرى الأشرار ناجحين في الظاهر بينما الأبرار يضطهدون. إن الكتاب المقدس يؤكد لنا أنه سيكون يوم فيه يجازى كل واحد حسب ما تقتضيه العدالة.

ولكن هل يعقل أن الله- إله محبة- يرسل إنساناً إلى الجحيم؟- نعم. ولكن لا يفوتنا أن الإنسان حينما يرفض طريق الخلاص الذي أعده الله فإنما يدين نفسه بنفسه. إن الله بمحبته ورحمته، يقدم للإنسان وسيلة نجاة، طريق خلاص ورجاء أما الإنسان فبسبب عماه وبلادته وعناده وأنانيته يرفض طريق النجاة الوحيد من آلام النفي الأبدي.

[٤٥٤٥]- رؤيا ١٤: ١٠- ١١
[٤٦٤٦]- رؤيا ٢٠: ١٤- ١٥
[٤٧]- رؤيا ٢١: ٨
[٤٨] - متى ٥: ٢٩- ٣٠
[٤٩]- عدد ٣٢: ٢٣
[٥٠]- غلاطية ٦: ٨

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

هب أنك مرضت واستدعيت طبيباً وبعد أن فحصك أعطاك" وصفة" طبية. ولكنك بعد أن فكرت ملياً في الأمر قررت تجاهل نصيحته ورفض دوائه. فلو رجع بعد بضعة أيام ووجدك في حالة أسوأ مما كنت عليه فهل يمكنك أن تلوم الطبيب أو تلقي عليه أي مسؤولية؟ لقد أعطاك الوصفة وعيّن لك العلاج لكنك رفضته وبالتالي فالذنب ذنبك.

كذلك يصف الله العلاج الناجح لجميع أمراض الجنس البشري. العلاج هو الإيمان بيسوع المسيح وتسليم الذات له. فإذا رفضنا باختيارنا ذلك العلاج فعلينا أن نتحمل النتائج دون أن نلوم الله. وهل يعقل أن يكون اللوم على الله لأننا نحن رفضنا العلاج؟

ويسأل سائل ما هي طبيعة جهنم؟ إن كلمة جهنم في الكتاب المقدس ترجمة واحدة لأربع كلمات مختلفة وهي:

١- الكلمة العبرانية "شيول" SHEOL :ورد ذكرها في العهد القديم إحدى وثلاثين مرة وهي تعني "حالة غير مرئية" وهي تستعمل للتعبير عن الألم والحزن والدمار.

الكلمة اليونانية "HADES" ولها نفس معنى الكلمة السابقة وترد في العهد الجديد عشر مرات وهي تفيد دائماً معنى القصاص والعذاب.

١- الكلمة اليونانية TARTAROS وهي ترد مرة واحدة في رسالة بطرس الثانية (٢:٤) حيث نجد أن الملائكة العصاة قد طرحوا في TARTAROS وهي تعني برجاً أو سجيناً يغمره الظلام الشامل الكثيف.

٢- الكلمة اليونانية GEHENNA وردت إحدى عشرة مرة في العهد الجديد خاصة على فم الرب يسوع في خطبه؛ وهي مقتبسة من اسم وادي هنّون، قرب مدينة القدس، الذي كانت تحرق فيه بصورة مستمرة البقايا والأقذار.

رُبَّ سائل: هل يعني الكتاب المقدس وجود نار - بالمعنى الحرفي- في جهنم؟ صحيح أن كلمة "نار" وردت عدة مرات في الكتاب المقدس بالمعنى المجازي ولكن لا شك أن ثمة ناراً تشتعل بلا انطفاء.

فعندما رأى موسى العليقة دهش لأن العليقة كانت تشتعل ولا تنطفئ. وعندما وُضع الفتيان الثلاثة في أتون النار لم يحترقوا بل أن شعرة واحدة من رؤوسهم لم تمس بأذى.

ومن جهة ثانية يقول الكتاب المقدس أن لساننا " يُضرم من جهنم" حين نتكلم بالسوء عن قريبنا. وهذا لا يعني اشتعالاً بالمعنى الحرفي. ولكن سواء كان المعنى حرفياً أو رمزياً فإنه لا يغير من الحقيقة شيئاً. فإذا لم تكن هناك نارٌ فإن الله يستعمل اللغة الرمزية للتعبير عن شيء قد يكون أشد هولاً.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

إن جهنم هي النفي من حضرة الله، إنها الموت الثاني الذي يوصف بأنه النفي الأبدي عن كل نور وعدالة وبرّ وسعادة. ويعطي الكتاب المقدس أوصافاً متعددة مرعبة لتلك الحالة المخيفة التي تبلغها النفس بعد ساعة الموت.

ومن المستغرب أن الناس يتأهبون لكل شيء إلا للموت! نتأهب طويلاً قبل الحصول على الشهادات، نتأهب للزواج وللشيخوخة... ولكننا لساعة الموت لا نتأهب. ومع ذلك فإن الكتاب المقدس يؤكد لنا أنه حتم على الناس أن يموتوا مرة.

إن الموت يجعل جميع الناس سواء: يجرد الثري من ثروته والفقير من أسماله؛ يخمد البخل ويطفئ نيران الشهوة. إن جميع الناس يرغبون تجاهل الموت لكنهم جميعاً سيواجهونه بلا ريب، سيّان في ذلك الكبير والصغير، الأبله والحكيم، المجرم والقديس. إن الموت لا يعرف حدوداً ولا تحيزاً.

يروي دانيال وبستر أنه في أواخر أيامه حضر اجتماع عبادة في كنيسة ريفية كان قسيسها متقدماً في السن طيب القلب تقياً. ولما حان وقت العظة نهض القسيس وباشر عظته بلهجة بسيطة يتجلى فيها الحزم والجد فقال: " يا أصدقائي إننا لا نستطيع أن نموت إلا مرة واحدة". وعلَّق دانيال وبستر على ذلك فقال: " إن هذه الكلمات- رغم ما تبدو عليه لأول وهلة من ضعف وبرود- وقعت في نفسي بقوة مؤثرة لم أعهد مثلها من قبل".

أن نفكر في غيرنا أنهم على موعد مع الموت سهلٌ علينا؛ إما أن نتذكر بأننا نحن أيضاً على موعد محتوم مع الموت فعسير جداً علينا! وحين نرى الجنود يذهبون إلى ساحات الوغى أو نقرأ عن الحكم بالإعدام على أحد السجناء أو نزور صديقاً قاده المرض إلى حافة القبر نشعر بالسكون والرهبة المحدقين بأولئك الأشخاص. إن الموت موعد مقرر لكل إنسان ووقوعه ليس إلا مسألة وقت. نستطيع أن نخلف أو نرجيء موعد التسلية مثلاً، أما الموت فموعد لا نستطيع تجاهله أو أرجاؤه أو التخلف عنه. لقد وُضع للناس أن يموتوا مرة، ولا مناص لأحد من الموت!

ولو كان الموت الجسدي هو العاقبة الوحيدة التي ترقب من عاش منفصلاً عن الله لهان الأمر نوعاً ما. لكن الكتاب المقدس يحذرنا من الموت الثاني وهو النفي الأبدي من حضرة الله.

لكن في المسألة جانباً مشرقا. فكما ينذر الكتاب المقدس الخاطئ بجهنم فهو يعد المبررين بالسماء. إن الكلام عن السماء أيسر قبولاً من الكلام عن جهنم، ومع ذلك فالكتاب المقدس يذكر كليهما.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

حين تنتقل إلى بيت جديد تسعى لمعرفة جيرانك الجدد وأحوالهم وطباعهم الخ، وإذ كنت تود الانتقال إلى مدينة أخرى تستفسر عن الطرق والصناعات والحدائق والمدارس في تلك المدينة؛ أفلا تستفسر عن المكان الذي ستقضي فيه أبديتك؟

معلوماتنا عن السماء نجدها في الكتاب المقدس. لنا الحق أن نفكر في السماء ونتحدث عنها. وكم تبدو الأرض كئيبة مظلمة حين نتطلع إلى السماء! وكم تتضاءل مشاكلنا وهمومنا حين ننظر إلى المستقبل نظرة ملؤها اليقين! يمكننا القول إن المسيحي يتذوق- وهو بعد على الأرض- مذاق السعادة السماوية: فهو يملك سلام النفس وسلام الضمير ويستمتع بالسلام مع الله. وسط المصاعب والمحن نفسه

مطمئنة يغمرها الفرح، وعلى وجهه تشرق ابتسامة الهناء، وفي مشيته هزة وطرب!

بوسعنا أن نورد في إثبات حقيقة السماء شواهد كثيرة، ولكننا نقتصر على ذكر ما ورد في بشارة يوحنا (١٤:٢و٣) "في بيت أبي منازل كثيرة. وإلا فإني كنت قد قلت لكم. أنا أمضي لأعدّ لكم مكاناً. وإن مضيت وأعددت لكم مكاناً آتي أيضاً وآخذكم إليَّ حتى حيث أكون أنا تكونون أنتم أيضاً." وقد كان بولس شديد اليقين بالسماء حتى أمكنه أن يقول: "فنثق ونسرّ بالأولى أن نتغرب عن الجسد ونستوطن عند الرب"[٥١].

وكثيراً ما كان بولس الرسول يكرر مثل هذه العبارات: "إننا نعلم" "إننا نثق" "إننا متيقنون دائماً". ويقول الكتاب المقدس إن إبراهيم كان ينتظر المدينة التي لها الأساسات التي صانعها وبارئها الله"[٥٢].

يقول كثيرون: "هل تؤمن بالسماء كمكان معين؟" - نعم! فقد قال يسوع "أنا أمضي لأعد لكم مكاناً" ويخبرنا الكتاب المقدس أن أخنوخ وإيليا قد صعدا بجسديهما إلى مكان لا يقل حقيقة عن سائر الأماكن.

ثم يسأل بعضهم: أين السماء؟- - - - - - - - - - - - - -

إن الكتاب لا يخبرنا عن موقع السماء ولكننا نعرف بكل تأكيد أن السماء موجودة حيث يوجد المسيح. ويصفها الكتاب المقدس بأنها "بناء الله" "مدينة" "وطن أفضل" "ميراث" "بجد". ويقول الكتاب: "ما لم تر عين ولم تسمع أذن ولم يخطر على بال إنسان ما أعده الله للذين يحبونه" (١ كو ٢: ٩).

---

[٥٢]- عبرانيين ١١: ١٠

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

وتسألني: هل سيعرف أحدنا الآخر في السما؟ ونجد الجواب في الكتاب الذي يؤكد لنا أن السماء هي المثابة التي نعود فنتحد فيها من جديد مع الذين سبقونا.

ويقول غيرهم: هل يخلص الأطفال؟ نعم! فالكتاب المقدس يبين أن الله لا يأخذ الابن بجريرة أبيه أو أمه. والأدلة متوفرة على أن الكفارة تستر خطيئة الأولاد طالما أنهم لم يبلغوا بعد سن الرشد التي تجعلهم مسؤولين عما يرتكبونه من أعمال صالحة أو طالحة.

ويبين الكتاب المقدس أننا في السماء سنفهم ونعرف الأشياء التي لم نستطع أن نتعلمها على الأرض. قال العلامة اسحاق نيوتن عندما امتدح أحد الناس حكمته، وكان آنئذ في سن الشيخوخة: "ما إنا إلا ولد على شاطئ البحر يلتقط حصاة من هنا وصدفة من هناك، لكن محيط الحقيقة العظيم ما يزال يمتد أمامي". أما في السماء فستنجلي لنا أمور كثيرة تعذر علينا فهمها الآن: الفشل والألم والتجارب التي عانيناها وغاية الله من العذابات التي كانت تحل بنا.

بعض الناس يسألون: ماذا سنصنع في السماء؟ هل سنكتفي بالجلوس والتمتع بالمسرات؟- كلا! فالكتاب المقدس يبين أننا سوف نخدم الله، سوف نقضي وقتاً طويلاً في مديحه: "ولا تكون لعنة ما في ما بعد. وعرش الله والخروف يكون فيها وعبيده يخدمونه"[٥٣] خدمة فرح وترنيم ومديح. ويبين الكتاب أن التغرب عن الجسد معناه الوجود في حضرة الرب. إن المسيحي حالاً بعد موته يذهب إلى حضرة المسيح وتمكث نفسه هناك منتظرة القيامة حيث تتحد النفس والجسد من جديد.

وثمة سؤال أخير وهو: كيف تستطيع ان تقوم الأجساد البالية المتفسخة؟ لقد أثبت العلماء أن لا شيء يفنى على الأرض. فيستطيع الله الذي خلق الجسد أولاً أن يجمع مركباته الأصلية مرة أخرى ليقوم ويتحد مع النفس. لكن الجسد الذي سنمتلكه سيكون جسداً ممجداً كجسد المسيح وسيكون جسداً أبدياً ولن يعرف الدموع والأحزان والمآسي والمرض والآلام والموت.

ترتسم أمامنا صورة عالمين أبديين، وكل امرء من نسل آدم سيكون في أحدهما - السماء والجحيم. كلا العالمين مكتنف بكثير من الغموض، ولكننا نجد في الكتاب المقدس من التلميحات والإشارات ما يكفي لكي نعلم أن أحدهما سيكون عالم لوعات وعذابات وحسرات والآخر عالم مسرات وإشراق ومجد!

[٥٣] رؤيا ٣:٢٢

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

الفصل السابع

لماذا جاء يسوع؟

إنني سلمت إليكم في الأول ما قبلته أنا أيضاً أن المسيح مات من أجل خطايانا حسب الكتب. وأنه دفن وأنه قام في اليوم الثالث حسب الكتب.

(١ كورنثوس ١٥:٣- ٤)

إن أصل كل الشرور والآلام والمخاوف ليكمن في هذه الكلمة الصغيرة: الخطيئة. فهي التي قلبت طبيعة الإنسان، وخرّبت التوافق الباطني في حياته، وحطته من سمو مقامه وأوقعته في شراك إبليس.

إن جميع الاضطرابات العقلية، وجميع الأمراض، وشتى أنواع الدمار، ومختلف الحروب، تتأصل جذورها في الخطيئة. فهي التي تسلب العقول وتسمم الأفئدة. يصفها الكتاب المقدس بداء مروّع منهك يتطلب شفاء جذرياً، إعصار جامح، بركان يقذف حممه، مجنون أفلت من المصح! إنها أشبه بقاطع الطريق يترقب العابرين، أو أسد زائر يتعقب فريسته! إنها كالصاعقة تنقض على الأرض، أو المقصلة تقطع الرؤوس. هي سرطان أكول يشق طريقه إلى نفوس بني الإنسان، وتيار جارف هدام.

بسبب الخطيئة تتلطخ الجداول بجرائم الإنسان، وتهب رياح الفساد الخلقي، وينقلب ضوء النهار ظلاماً وتطفح كأس الحياة مرارة وتمسي السبل محفوفة بالمخاطر حافلة بالمهاوي تنزلق فيها أقدام المسافرين. مدمرة السعادة ومظلمة البصيرة. إنها تخنق الضمير وتقسي القلب، تثير الأحقاد وتسبب اللوعات. تعدنا بالمخمل فتلفنا بالكفن، تعللنا بالحرية فتفرض علينا نير العبودية، تعدنا بالرحيق فتسقينا المرارة، تعدنا بالحرائر فتكسونا المسوح.

بنو الإنسان كانوا تائهين في غمار ظلمات روحية منذ أجيال بعيدة وقد أعمتهم الخطية فراحوا يتحسسون طريقهم لعلهم يهتدون إلى المنفذ. كان الإنسان بحاجة إلى من يخرجه من تشويشه الذهني وتيهه الخلقي، إلى من يحرره من سجن إبليس ويحطم أقفال السجن ويفتح أبوابه. لقد كان بنو الإنسان، بقلوبهم الجائعة وأذهانهم الظمأى ونفوسهم الفارغة من كل أمل يبحثون عن معين، ولكن الشيطان كان يتفرس مزهواً بانتصاره الذي أحرزه في جنة عدن.

ومنذ عهد إنسان الغاب إلى عهد الإنسان المتحضر في مصر واليونان وروما ظل البشر الحائرون يسألون نفس الأسئلة:كيف الوصول إلى حالة أفضل؟ أي سبيل أسلك؟ كيف

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

أتخلص من هذا الداء الوبيل؟ كيف أستطيع إيقاف هذا السيل الجارف؟ كيف التخلص من هذا الشرك الذي يحيق بي؟ وإذا كان ثمة طريق فأين هي؟

سبق أن رأينا في الكتاب المقدس أن الله هو إله المحبة. وقد أراد الله أن يعمل لخلاص الإنسان وتحريره من لعنة الخطيئة ولكن كيف يكون ذلك؟ إن الله هو إله عادل قدوس. ومنذ البداءة أُنذر الإنسان بأنه إذا أطاع إبليس وعصى الله، فسيموت روحاً وجسداً. ولكن الإنسان عصى الله عمداً، فوجب عليه أن يموت؛ وإلا أصبح الله كاذباً، لأن الله لا يستطيع ان يتراجع في قوله. لذلك عندما تمرد الإنسان على الله متعمداً أُقصى من حضرته. ولم يكن بإمكان الله أن يغفر خطيئة الإنسان مجاناً لأن الغفران المجاني يعني أن الله قد تراجع في قوله وكذب؛ لأن الله كان قد قال: "يوم تأكل منها موتاً تموت"[٥٤].

إذا كان لا بد من إيجاد حل لأن الإنسان كان ضالاً لا معين له، متورطاً في حالة لا رجاء له بالخروج منها. وبلغت الحماقة بالإنسان إلى جحود الله ووجوده.

وفي كلام الله، في جنة عدن، وعيد لإبليس، ووعد للإنسان: "أضع عداوة بينكِ (الحية) وبين المرأة وبين نسلك ونسلها. هو يسحق رأسك وأنت تسحقين عقبه". "وأنت تسحقين عقبه" هذا هو بريق الأمل الذي ومض من السماء! هذا هو الوعد الذي يستطيع الإنسان أن يركن إليه ويتمسك به. لقد وعد الله بيوم يأتي فيه الفادي والمنقذ. وبذلك وضع الله في قلب الإنسان جذوة رجاء! وعلى مر القرون أيضاً حصلت مناسبات أخرى بدت فيها من السماء ومضات أخرى من الرجاء. وطوال حقبة العهد القديم قدم الله للإنسان الوعد بالخلاص إن هو آمن بالمخلص الموعود به. وابتدأ الله بتعليم شعبه بأن الإنسان لا يخلص إلا ببديل يدفع ثمن فداء الإنسان.

ولنرجع معاً لبرهة وجيزة إلى جنة عدن. قال الله: "يوم تأكل منها موتاً تموت". وأكل الإنسان منها، فمات.

ولنفرض أن الله قال حينذاك لآدم "لقد ارتكبت يا آدم غلطة، وهذه الغلطة إنما هي زلة من جانبك. صفحت عنك، لا تكرر فعلتك ثانية. لو حدث ذلك لكان الله كاذباً، لا قدوساً عادلاً. كان لا بد لله أن يصدق في كلمته: كان على الإنسان أن يموت روحاً وجسداً. كان عليه أن يتألم ويدفع جزاء خطاياه. وبما أن آدم هو رأس (أصل) الجنس البشري، لذلك عندما أخطأ آدم، أخطأنا جميعاً: "من أجل ذلك كأنما بإنسان واحد دخلت الخطيّة إلى العالم وبالخطية الموت وهكذا اجتاز الموت إلى جميع الناس إذ أخطاء الجميع"[٥٥].

---

[٥٤]- تكوين ٢: ١٧
[٥٥]- رومية ٥: ١٢

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

فكيف يستطيع الله أن يكون باراً عادلاً ومع ذلك يبرر الخاطئ؟- لنتذكر أن كلمة تبرير تعني تنقية النفس من الذنب. فالتبرير ليس مجرد غفران؛ إنه يقتضي أن تُرفع الخطيئة وتطرح بعيداً كما لو أنها لم توجد مطلقاً. يجب أن يعاد الإنسان إلى ما كان عليه أصلاً، دون أن يبقى عليه وصمة ولا عيبة ولا مذمة!

وعلى مر القرون سعى بنو الإنسان في عماهم للرجوع إلى جنة عدن، وقد سلكوا سبلاً شتى إلا أنها باءت جميعها بالفشل. فالثقافة ضرورية ولكنها أعجز من أن ترجع الإنسان إلى الله وربما نجحت الديانات الزائفة بتخدير ألم الإنسان ولكنها لن تستطيع أن توصل الإنسان إلى هدفه.

ولا منظمات الشعوب والدول قادرة على إيجاد سلم دائم، ولو أفلحت في ذلك لخاطب بنو الإنسان الله بقولهم: "لسنا بحاجة إليك بعد الآن، فقد أحللنا السلام في الأرض، ونظمنا شؤون البشرية باستقامة وعدل". ولكن جميع هذه التخطيطات ما هي إلا عجلات، لا نجع فيها ولا شفاء، يستعملها العالم بانتظار الطبيب العظيم.

والتاريخ يحدثنا عن أول تحالف عقده بنو الإنسان ثم انتهى ببلبلة الألسنة في برج بابل. وفي كل مرة حاول البشر أن يعملوا منفردين عن الله كان مصيرهم الفشل والخراب.

والسؤال الذي ما زلنا بصدده هو: كيف يمكن أن يكون الله عادلاً- أي صادقاً تجاه طبيعته الذاتية وتجاه قداسته الذاتية- وفي الوقت نفسه يبرر الخاطئ؟ ليس بين البشر أحد بريئاً؛ لا يمكن انتظار أية معونة من بني الإنسان لأن الداء قد تسرّب إلى كل فرد منهم وتأصّل فيهم.

كان الحل الوحيد أن يتطوع شخص بريء ليموت روحياً وجسدياً، بصورة بديلية؛ وهكذا يحمل بدلاً عن الإنسان دينونة الإنسان وقصاصه، وموته. ولكن أين هذا البريء؟ أعلى الأرض؟- كلا فإن الكتاب المقدس يقول "الجميع أخطأوا"[٥٦]. فلم يبق إذاً إلا احتمال واحد فقط: في الكون أجمع ليس إلا ابن الله الوحيد يستطيع أن يحمل خطيئات العالم.

إن الكتاب المقدس يعلمنا حقيقة الثالوث الأقدس: سر عجيب لن تصل إلى إدراكه عقولنا المحدودة. إن الكتاب لا يقول أن هناك ثلاثة آلهة، بل إله واحد معلن بثلاثة أقانيم: الله الآب، الله الابن، الله الروح القدس.

إن الأقنوم الثاني من الثالوث هو يسوع المسيح ابن الله، وهو معادل لله الآب. ليس هو ابناً بين أبناء آخرين وإنما هو ابن الله، الابن الوحيد الأوحد، الأزلي، وهو الأقنوم الثاني من الثالوث الأقدس، "الله ظهر في الجسد" (١تي ٣:١٦) المخلص الحي.

---

[٥٦]- رومية ٣: ٢٣

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

يعلم الكتاب أن يسوع المسيح ليست له بداية: لم يخلق خلفاً. ويؤكد الكتاب أن السموات وما فيها من ربوات ربوات الكواكب والنجوم والشموس به خلقت، والأرض صنع يديه. إن "أصل" يسوع المسيح محاط بالسر نفسه الذي يحاط به "أصل" الله. والكتاب المقدس يقول بهذا الصدد: "في البدء كان الكلمة والكلمة كان عند الله وكان الكلمة الله"[٥٧]. ونجد في الكتاب أيضاً أن يسوع هو صورة الله غير المنظور بكر كل خليقة... فيه خلق الكل ما في السموات وما على الأرض ما يرى وما لا يرى سواء كان عروشاً أم سيادات أم رياسات أم سلاطين الكل به وله خُلق. الذي هو قبل كل شيء. وفيه يقوم الكل[٥٨]. ومفاد العبارة الأخيرة أن الكون بأسره قائم متماسك بفضل قوة يسوع. ولولاها لتناثر الكون إلى ملايين ملايين الذرات ...

ويقول الكتاب أيضاً "أنت يا رب في البدء أسست الأرض والسموات هي عمل يديك. هي تبيد ولكن أنت تبقى وكلها كثوب تبلى وكرداء تطويها فتتغير ولكن أنت أنت وسنوك لن تفنى"[٥٩].

قال المسيح عن ذاته "أنا هو الألف والياء. البداية والنهاية. الأول والآخر". لذلك فيسوع وحده قادر على إرجاع الإنسان إلى الله. ولكن هل يريد؟ فإذا أراد فمعنى ذلك أنه كان عليه أن يأتي إلى الأرض ويأخذ صورة عبد ويصبح في شبه الناس ويضع نفسه ويطيع حتى الموت. وعليه أيضاً أن يحارب الخطيئة والشيطان عدو النفوس وينتصر عليهما. عليه أن يحرر الخطاة من عبودية الخطيئة، وأن يفك قيود الأسرى ويطلق حريتهم بدفعه الثمن، وذلك الثمن هو دمه الثمين. وكان عليه أن يُحتقر ويرذل من البشر، وأن يكون رجل أوجاع و مختبر الحزن، أن يكون مضروباً من الله، وأن يثخن بالجراح لأجل آثام البشر ويُسحق لأجل معاصيهم. عليه أن يصالح الإنسان مع الله، وبذلك يكون أعظم وسيط يعرفه التاريخ. عليه أن يكون بديلاً عن الناس ويموت عوضاً عن الخاطئ. عليه أن يقوم بكل ذلك طوعاً واختياراً.

شكراً لله لأن هذا كله قد حدث بالفعل: أطل الله من علو سمواته، فرأى البشر في عالمهم وقد حلت عليهم الدينونة واللعنة وفغرت الجحيم فاها لابتلاعهم. رآك ورآني مقيدين بسلاسل الخطيئة وحبائل الشر ونحن نرسف تحت أغلالنا. واتخذ الله قراره في عليين. واحنت الملائكة والجند السماوي رؤوسها في قدسية وخشوع عندما أمير الأمراء ورب الأرباب الذي يستطيع أن يخلق الكواكب بكلمة من فيه مضى في عربته المحلاة بالجواهر متخطياً الأبواب اللؤلؤية ونازلاً إلى الأرض. وبينما الكواكب ترنم معاً، وأجواق الملائكة ينشدون تسبيحه، نزل ووضع نفسه وصار إنساناً.

٥٧٥٧- يوحنا ١:١
٥٨٥٨- كولوسي ١: ١٥-١٧
٥٩٥٩- عبرانيين ١: ١٠- ١٢

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

جاء يسوع المسيح ليظهر الله للإنسان، لينبئنا عن محبة الله لنا واهتمامه بحياة كل واحد منا. هو الذي أخبرنا عن رحمة الله ونعمته وطول أناته. هو الذي وعدنا بالحياة الأبدية.

ولكن المسيح فعل أكثر من ذلك: أنه شاركنا في الدم واللحم ليستطيع أن يموت [٦٠]"أُظهر لكي يرفع خطايانا"[٦١]. جاء " ليبذل نفسه فدية عن كثيرين"[٦٢]. إن غرض المسيح من مجيئه إلى هذا العالم هو أن يقدم حياته كذبيحة لأجل خطايا البشر. جاء ليموت. وكان شبح الموت يتراءى كغمامة مخيمة على سنواته الثلاث والثلاثين.

في ليلة مولد المسيح ارتعد الشيطان. حاول أن يذبحه وهو بعد طفل رضيع. وماذا قصد هيرودس حين أصدر أمره بذبح كل الأطفال، ماذا قصد سوى أن يمد يده العاتية ويفتك بحياة يسوع!

في جميع أيام حياته على الأرض لم يرتكب خطية واحدة، فهو الإنسان الوحيد الذي عاش بلا خطية. ولذلك أمكنه أن يقف ويتحدى البشر قائلاً " من منكم يبكتني على خطية"[٦٣]. تعقبه أعدائه ليلاً ونهاراً ولكنهم لم يمسكوا عليه خطيئة واحدة. فهو إذاً بلا لوم وبلا عيب.

عاش يسوع حياة متواضعة، تخلى عن سمعته، ولم يقبل مجداً من الناس. ولد في اسطبل وعاش مغموراً في قرية الناصرة حيث زاول النجارة. جمع من حوله فريقاً من صيادي السمك فجعلهم تلاميذه. سار بين الناس كرجل عادي، ولم يلبس نفسه أية هيئة خارجية ممتازة، ولم يحاول أن يظهر أية مظاهر دنيوية متميزة وتواضع إلى درجة لم يصل إليها إنسان آخر في العالم.

كان يعلّم كمن له سلطان حتى أذهل الناس وجعلهم يتعجبون ويقولون "لم يتكلم قط إنسان هكذا مثل هذا الإنسان"[٦٤]. إن كل كلمة نطق بها يسوع قد تأيدت صحتها تاريخياً وعلمياً ومنطقياً. ولم توجد أي ثغرة في تعاليمه الأخلاقية. كانت نظرته الأخلاقية صحيحة كل الصحة لا في عصره فحسب بل في كل العصور.

النبوات التي فاه بها صادقة كل الصدق. فقد تنبأ بوقوع أحداث كانت ما تزال في احشاء الغيب. وحاول علماء الناموس أن يصطادوه بأسئلتهم الخبيثة فلم يجدوا عليه مأخذاً لأن أجوبته كانت صريحة حاسمة، لا التباس في معانيه ولا تردد في كلماته. لقد كانت عنده كل المعرفة ولذلك تكلم بسلطان وثقة تامة وبساطة تمكنت الجماهير معها من الاستماع إليه

[٦٠٦٠] - عبرانيين ٢: ١٤
[٦١٦١] - يوحنا ٣: ٥
[٦٢٦٢] - متى ٢٠: ٢٨
[٦٣٦٣] - يوحنا ٨: ٤٦
[٦٤٦٤] - يوحنا ٧ :٤٦

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

بفرح ولذة. كانت أقواله تشع ببريق وبساطة أذهلا أعداءه. وكانت معالجته لكبرى المشاكل بطريقة حاذقة جعلت رجل الشارع لا يجد أية صعوبة في متابعته.

لقد شفى الرب يسوع المريض والأعرج والأعمى، وابرأ الأبرص وأحيا الميت، وكذلك طرد الأرواح النجسة، وسكّن العناصر وهدّأ العواصف، وجلب السلام والفرح لألوف من الناس. لم تبدُ عليه أية علامة من علائم الخوف ولم يكن قط عجولاً. كانت حياته خالية من الصدف إذ كان يتصرف بكل ترتيب ودقة ويتحلى أعظم مقدار من التروّي وسعة الصدر، ولم يخالجه القلق أو التردد بشأن عمله.

أمام بيلاطس وقف وقال برصانة: "لم يكن لك علي سلطان البتة لو لم تكن قد أعطيت من فوق"[٦٥]كما أخبر الجمهور الحانق أن بأمرته فيالق من الجند السماوي. واتجه إلى الصليب بعزّة وإباء مدفوعاً بيقين راسخ وتصميم أكيد ومتمماً النبوة التي قيلت بصدده قبل ثماني مئة عام " كشاة تساق إلى الذبح وكنعجة صامتة أمام جازيها لم يفتح فاه"[٦٦].

اتجه يسوع إلى الصليب كالملك المنتصر المكلل بالعزة والمجد وهو يدرك المهمة التي جاء لإنجازها: جاء ليخلص الخطاة ويسكّن غضب الله ويشتري البشر من سوق عبودية الشيطان. جاء ليقهر إبليس إلى الأبد وليغلب القبر والجحيم. وانجازاً لذلك لم يكن له إلا سبيل واحد ومسلك واحد.

تنبأ الأنبياء عن موته قبل حصولها بآلاف السنين. أولاً في جنة عدن. ثم أشير إلى هذا الموت بالوعظ والقصص والنبوءات. فابراهيم بينما كان ينحر ذبيحته سبق فرأى موت المسيح. وكان بنو إسرائيل يرمزون إلى موته بحَمل الذبيحة. الدم السائل على مذبح بني إسرائيل كان رمزاً إلى حمل الله الذي يرفع الخطيئة. تنبأ داود عن موت المسيح في أكثر من مزمور، كما خصص أشعياء فصولاً كاملة من كتابه للتنبؤ بموت المسيح.

أعلن يسوع عن نفسه قائلاً "الراعي الصالح يبذل نفسه عن الخراف[٦٧]"أي أنه يملك السلطان والحرية ليبذل حياته. وقال أيضاً: وقال أيضاً: "هكذا ينبغي أن يرفع أبن الإنسان لكي لا يهلك كل من يؤمن به"[٦٨]. خلال الأحقاب البعيدة التي سبقت ولادته كان يسوع يعرف أن يوم موته يدنو بسرعة. ومنذ ولادته من العذراء كان الصليب مرتسماً أمام عينيه. من المهد حتى الصليب كان الموت غرض المسيح وهدفه.

[٦٥٦٥]- يوحنا ١٩: ١١
[٦٦٦٦]- أشعيا ٥٣: ٧
[٦٧٦٧]- يوحنا ١٠: ١١
[٦٨٦٨]- يوحنا ٣: ١٤ ، ١٥

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

لقد عانى من الآلام ما لم يعانه أحد من قبل: ساعات نزاعه المروّع في جثسماني، قبله الخائن، التوقيف، والمحاكمة أمام رئيس الكهنة، وفي قصر الحاكم الروماني، وفي قصر هيرودس، المعاملة الخشنة على يد الجنود الأجلاف، المشاهد المرعبة إذ كان بيلاطس يحاول تبرئته وكان الكهنة والشعب يصرخون مطالبين بدمه، الجلد والسياط، والمسير من أورشليم إلى الجلجثة، والمسامير في يديه وقدميه، إكليل الشوك غارزاً في جبينه، سخرية اللص به وشتمه إياه وتحديه له: "خلصت الآخرين فخلّص نفسك".

سألني البعض لماذا مات المسيح على الصليب بمثل هذه السرعة، إذ لم تتجاوز مدة احتضاره ست ساعات بينما ظل غيره من المصلوبين يعانون أهوال الموت يومين أو ثلاثة أيام؟- إن يسوع كان متعباً منهكاً عندما وصل إلى الصليب، ولكنه مات بملء اختياره محدداً اللحظة التي فيها يسلم الروح.

عُلق بين السماء والأرض، فلم تخرج من فمه كلمة استعطاف لكنه فاه بكلمتين تفصحان عن فظاعة الألم الذي كان يعانيه: "أنا عطشان". كان الآب يطالب بموت الخاطئ أو بديلٍ عنه وها المسيح هو البديل.

ليست المسامير قيدته بل ربط المحبة هي التي قيدته بقوة فائقة: "ولكن الله بيّن محبته لنا لأنه ونحن بعد خطاة مات المسيح لأجلنا"[٦٩].

مات لأجلك ولأجلي! حمل خطايانا في جسده على الخشبة. كما قال أحدهم: " تأملوا يسوع معلقاً على الصليب! نكس رأسه واحنى جبينه. اختبر في أعماق قلبه رهبة "الانفصال" عن الله وذلك نتيجة لخطايا البشر؛ وانظروا كيف استطاع أن يخلق من قبوله لهذا الموقف شيئاً عظيماً يحرزه لا لنفسه بل ليوزعه على أولئك الذين صار بديلاً لهم. أمام هذا الفيض من الآلام المروعة نشعر بعجزنا عن الإدراك والتعليل ونسمع هاتين الكلمتين "قد أُكمل".

وليس الموت الجسدي هو أقسى ما في الأمر" فقبل يسوع مات كثيرون مستشهدين. إن أروع وأشد وأقسى ما في الجلجلثة هو موت يسوع المسيح الروحي تحمل نتيجة الخطيئة، وسبر غور الحزن عندما الله ستر وجهه عنه وتركه حتى صرخ: "إلهي إلهي لماذا تركتني". وفي هذه الساعة التي هي أوج تاريخ الإنسانية، وقف يسوع وحيداً ونطق بهذه الكلمات، وكانت بمثابة ومضة من نور انبثقت لتكشف بعض ما كان يقاسيه، ولكن هذه الومضة، كما يقول الدكتور كامبل مورغان، كانت من الشدة والضياء بحيث لا تقوى العين على احتمالها. ويضيف أن هذه الكلمات نطقت لكي تفهم الإنسان أن هناك الكثير من الأشياء التي لا يعرف الإنسان عنها شيئاً.

---

[٦٩]- رومية ٥: ٨

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

إن الذي لم يعرف خطية صار خطية لأجلنا لنصير نحن بر الله فيه. عندما علق على الصليب صار خطيئة، وصار متروكاً من الله؛ ولكونه بلا خطيئة صار للقصاص الذي حمله قيمة عظيمة تفوق كل إدراك. وإن كان المسيح بحمله الخطية قد خلق تلك القيمة التي لم يكن هو محتاجاً إليها، فلصالح من خلقها وحققها إذن؟

أما كيف تم ذلك الفداء في أعماق الظلام فلن يتوصل الإنسان أبداً إلى معرفته! وإنما أعرف شيئاً واحداً: يسوع حمل في جسده على الخشبة خطاياي، ووقف حيث كان ينبغي أن أقف. وآلام الجحيم التي كانت نصيبي وجزائي تكومت عليه. فأصبحت السماء مفتوحة أمامي. إن جميع النماذج والتقدمات والرموز في العهد القديم قد تمت الآن، فلا حاجة بعد ليدخل الكهنة إلى قدس الأقداس مرة في السنة. ينبغي للذبيحة المثلى أن تكون جزائية فادية، استرضائية مصالحة، كافية. وكما وضع للناس أن يموتوا مرة ثم بعد ذلك الدينونة هكذا المسيح.. "قُدم مرة لكي يحمل خطايا كثيرين".

الآن وقد وضع أساس الفداء فما على الخاطئ إلا أن يؤمن بالابن فيكون له سلام مع الله. "لأنه هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد لكي لا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية"[٧٠].

إنني أرى في صليب المسيح ثلاثة أمور:

أولاً: الصليب دلالة على عمق خطيئة الإنسان. ولا نلومنّ الشعب في ذلك اليوم على اقتياد يسوع إلى الصليب، لأننا نحن جميعاً ملومون أيضاً على السواء. ليس جنود الرومان ولا الجمهور هم الذين سمروه على الصليب بل الخطية- خطيتك وخطيتي- هي التي دفعته إلى هذا الموت الطوعي.

ثانياً: في الصليب تتجلى محبة الله التي لا يسبر غورها. وإذا خامرك شك في محبة الله فألق نظرة عميقة طويلة إلى الصليب لأن الصليب أقوى وأفصح تعبير عن محبة الله.

ثالثاً: الصليب هو طريق الخلاص الوحيد. قال يسوع "أنا هو الطريق والحق والحياة. ليس أحد يأتي إلى الآب إلا بي"[٧١]. وليس لك من سبيل للخلاص من الخطيئة والجحيم إلا بأن تماثل المسيح في صلبه. لو كانت المبادئ الأخلاقية والعيشة الصالحة أو سواها قادرة على أن تخلص لما مات المسيح. كان من الضروري أن يأخذ مكانك بديل. المسيح هو البديل. لكن البشر لا يقبلون هذه الحقيقة لأن الصليب لا يدع مجالاً لكبرياء الناس وادعائهم وثقتهم بذواتهم.

---

[٧٠]- يوحنا ٣: ١٦

[٧١]- يوحنا ١٤: ٦

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

كثيرون يتساءلون ألا يمكن أن أخلص بالعيش حسب القاعدة الذهبية؟ أو باتباع وصايا المسيح وتعاليمه؟ أو بالعيش حسب المبادئ الأخلاقية التي نادى بها يسوع؟ كلا! حتى ولو عشت بموجب تعاليم يسوع فأنت خاطئ! ثم من ذا الذي عاش من مولده حتى موته وفقاً للتعاليم التي نادى بها المسيح؟ إنك فشلت وتعديت وصايا الله وعصيت إرادته، فأنت خاطئ. فكيف تتخلص من هذه الخطية؟ ثمة طريق واحد. وهو أن تحضر خطيئتك أمام الصليب وتسأل الغفران.

ويروى أن الملك شارل الخامس (Charles- quint) كان مديوناً لتاجر بمبلغ كبير. وعندما استحق الدفع عجز الملك عن الدفع بسبب افلاسه. فأقام التاجر حفلة كبيرة على شرف الملك، وعندما جلس الضيوف إلى المائدة وقبل أن يُحضر الطعام، وضعت أمام التاجر قصعة بها نار تشتعل. وما كان من التاجر إلا أن أخرج الصك من جيبه وألقاه في النار حتى أمسى رماداً. عند ذاك ارتمى الملك على عنق التاجر الشهم باكياً شاكراً!

وهكذا نحن كنا مديونين لله. واستحق وقت الدفع، لكننا كنا عاجزين عنه. وقام الله بدعوة العالم أجمع إلى مأدبة الأخبار السارة. وفي غمرة النزاع على الصليب أحرق الله خطاياك وخطاياي حتى لم يعد لها أثر.

يقول الكتاب المقدس" بدون سفك دم لا تحصل مغفرة"[٧٢]. وكثيرون يعترضون: أن هذا الكلام لما تشمئز منه النفس! وكيف نؤمن بدين المجزر! ويقول آخرون: نحن لا نفهم لماذا يطلب الله الدم. ولا نستطيع أن نفهم لماذا وجب أن يموت المسيح لأجلنا. يقولون إن فكرة الكفارة بدم المسيح المسفوك أصبحت فكرة رجعية قديمة! ومع ذلك كله فإن الكفارة ما تزال قائمة نجدها في الكتاب المقدس وفي قلب المسيحية. يتميز الدين المسيحي بمناداته بهذا التعليم: الكفارة بواسطة الدم. لا خلاص لنا بدون الكفارة. إن الدم في الواقع هو الرمز لموت المسيح.

ويبين لنا الكتاب المقدس عن الدم أنه:

أولاً: يفدي "أنكم افتديتم لا بأشياء تفنى بفضة أو ذهب من سيرتكم الباطلة التي تقلدتموها من الآباء بل بدم كريم كما من حمل بلا عيب ولا دنس دم المسيح"[٧٣]. إن المسيح لم يفدنا من الشيطان فحسب بل من الناموس أيضاً لأن الناموس(الشريعة) يدينني ولكن المسيح قد وفى جميع المطالب. إن كل ما في الأرض من ذهب وفضة وجواهر ما كانت لتستطيع أن تفتديني، ولكن ما عجزت عنه تلك حققه موت المسيح. وتعني كلمة فدى: استنقذ بدفع مال

---

[٧٢]- عبرانيين ٩: ٢٢
[٧٣]- ١ بطرس ١: ١٨-١٩

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

أو نحوه، أو اشترى ثانية. فنحن كنا مبيعين للشيطان بلا مقابل ولكن المسيح اشترانا ثانية وخلصنا.

ثانياً: انه يقربنا "كنتم في ذلك الوقت بدون مسيح اجنبين ...وغرباء عن عهود الموعد لا رجاء لكم ... ولكن الآن في المسيح يسوع أنتم الذين كنتم قبلاً بعيدين صرتم قريبين بدم المسيح"[٧٤]."إذاً لا شيء من الدينونة الآن على الذين هم في المسيح يسوع". الخاطئ المفدي لن يمثل أبداً لمواجهة دينونة الله لأن المسيح قد تحمل دينونته.

ثالثاً: إنه يهبنا الصلح(السلام): "عاملاً الصلح بدم صليبه بواسطته سواءٌ كان ما على الأرض أم ما في السموات"[٧٥]. فالعالم لن يعرف السلام إلا في صليب يسوع المسيح. وأنت لن تعرف السلام مع الله، سلام الضمير وسلام النفس وسلام الروح ما لم تقف عند أقدام الصليب وتوحد نفسك مع المسيح بالإيمان. هناك سر السلام، السلام مع الله.

رابعاً: إنه يبرر "فبالأولى كثيراً ونحن متبررون الآن بدمه نخلص به من الغضب"[٧٦]. بالدم ينقلب موقفنا تجاه الله: الخطية والدينونة ينقلبان إلى غفران ومسامحة. والخاطئ التائب المغتسل بدم المسيح ليس كالسجين الذي أطلق سراحه بعد انتهاء مدة عقوبته ويظل محروماً من حقوقه كمواطن؛ إن الخاطئ التائب تغفر خطاياه بدم المسيح ويسترد جميع حقوق المواطن الكاملة "من سيشتكي على مختاري الله. الله هو الذي يبرر. من هو الذي يدين. المسيح هو الذي مات بل بالحري قام أيضاً الذي هو أيضاً يشفع فينا"[٧٧].

خامساً: إنه يطهر " إن سلكنا في النور كما هو في النور فلنا شركة بعضنا مع بعض ودم يسوع المسيح ابنه يطهرنا من كل خطية"[٧٨]. والكلمة الرئيسية في هذا العدد هي لفظة كل، فالدم لا يطهر جزءاً من خطايانا بل يطهرها كلها.

وإليكم القصة التالية: في إحدى المدن الكبرى أقيمت مأدبة عظيمة دعي إليها عدد من الأشخاص المرموقين وكان بين الضيوف الواعظ الشهير قيصر مالان. وعزفت إحدى الفتيات على البيانو ألحاناً شجية وأنشدت أغاني عذبة. فطرب الجميع بالعزف والإنشاد. إذ ذاك تقدم الواعظ بلطف ولباقة غلبت عليهما الجرأة فقال للفتاة: فكرت وأنا أصغي إليك في هذه الأمسية، في المساهمة الكبرى التي يمكنك المساهمة فيها لو وقفت حياتك ومواهبك على خدمة المسيح. أنت تعلمين أيتها الآنسة أنك في نظر الله لست أفضل من سكير عربيد أو زانية فاجرة. ولكني سعيد جداً بأن أخبرك أن دم المسيح ابن الله يطهر من كل خطية[٧٩].

٧٤- أفسس ٢: ١٢و ١٣
٧٥- كولوسي ١: ٢٠
٧٦- رومية ٥: ٩
٧٧- رومية ٨: ٣٣-٣٤
٧٨- ١يوحنا ١: ٧
٧٩-

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

وما كان من الفتاة، إزاء هذه "القحة"، إلا أن انهالت عليه تقريعاً وتوبيخاً. أما هو فأجابها: أيتها الآنسة، أنا ما قصدت الإساءة إليك. وإنني أصلي لكي يبكتك روح الله. ورجع الجميع إلى بيوتهم، ورجعت الشابة أيضاً. ولكنها لم تجد إلى النوم سبيلاً، إذ ظل وجه الواعظ متمثلاً أمامها وظلت كلماته تدوي في أعماق ذهنها وقلبها. وفي الساعة الثانية بعد منتصف الليل نهضت من فراشها وتناولت قلماً وقرطاساً، وهكذا ابتدأت شارلوت اليوت، والدموع تنهمر من مآقيها بدأت تكتب قصيدتها المشهورة:

كما أنا آتي إلى فادي الورى مستعجلا

إذ قلت نحوي أقبلا يا حمل الله الوديع

يا رب إني مجرم فليغسلن قلبي الدم

إني إليك أقدم يا حمل الله الوديع

كما أنا لا برّ لي أدنو من الفادي العلي

عن طلبتي لا تغفل يا حمل الله الوديع

ولكن ليست هذه هي النهاية فإن المسيح لم يترك معلقاً على الصليب وجداول الدماء تتدفق من يديه وجنبه وقدميه. ها هو يُنزل من على الصليب ويوضع بكل عناية في قبر ويدحرج حجر كبير على باب القبر وتقف شلة من الجند لحراسته. ويظل تلاميذه طيلة يوم السبت في العلية مكتئبين قانطين، ومضى اثنان منهم في طريقهما نحو عمواس.

وفي فجر عيد الفصح تنطلق مريم ومريم المجدلية وسالومي إلى القبر ليدهنّ جسد يسوع. وما إن يبلغن المكان حتى يجدن القبر خالياً. وينظرن ملاكاً واقفاً عند مكان الرأس يسألهن "من تطلبن" ويجبنه "إننا نطلب يسوع الناصري" فيرد عليهن الملاك بكلمات هي أعظم كلمات بهجة سمعتها البشرية "إنه ليس هنا ولكنه قام".

على هذا الواقع العظيم ترتكز خطة الله في الفداء. فلولا القيامة لما وجد الخلاص. إن المسيح سبق فتنبأ عن قيامته عدة مرات. وفي إحدى المناسبات صرّح "كما مكث يونان في بطن الحوت ثلاثة أيام وثلاث ليالٍ هكذا ينبغي أن يكون ابن الإنسان في بطن الأرض ثلاثة أيام وثلاث ليالٍ". تنبأ عن قيامته وقام حقاً!

لكل حدث تاريخي أدلة وبراهين تؤيده وتسانده. فينبغي أن تتوفر لصالح الحدث موضوع البحث اثباتات من شهود عاصروا الحادث. وهناك من البراهين التي تؤكد قيامة الرب يسوع من الأموات أكثر من تلك التي تؤكد أن يوليوس قيصر قد وُجد أو أن الاسكندر

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

الكبير مات في سن الثالثة والثلاثين. ومن المستغرب أن يقبل المؤرخون آلافاً من الحوادث التي لا ترتكز إلا على أدلة واهية، بينما ينظرون إلى حدث القيامة التاريخي العظيم الذي هو غني بالحجج والبراهين، ينظرون إليه بعيون يغشها الشك. عقول تخامرها الريبة. ومشكلة أولئك الناس أنهم لا يريدون أن يؤمنوا، فبصيرتهم قد أعميت وغلبهم التحيز إلى درجة استحال عليهم، معها، قبول حقيقة قيامة المسيح المجيدة استناداً إلى شهادة الكتاب المقدس وحدها.

وللقيامة عدة معانٍ:

أولاً: إن المسيح هو الله، الاله الحق! أجل إنه الله ظهر في الجسد.

ثانياً: إن الله قد قبل عمل المسيح الكفاري على الصليب، وهذا العمل كان ضرورياً لخلاصنا "الذي أسلم من أجل خطايانا وأقيم لأجل تبريرنا"[٨٠].

ثالثاً: إنها تؤكد للبشر وجود دينونة عادلة.

رابعاً: إنها تضمن لنا أن أجسادنا سوف تقام في اليوم الأخير "ولكن الآن قد قام المسيح من الأموات وصار من الراقدين"[٨١].

وتعلمنا الأسفار المقدسة أجسادنا، كمسيحيين، توضع في القبر عندما نموت ولكنها سوف تقام

في صباح يوم القيامة. حينئذ يبتلع الموت في غلبة وانتصار. لأن شوكة الموت قد زالت بفضل قيامة المسيح، وأصبحت منذ الآن مفاتيح الموت بيده. وهو يقول "أنا هو... الحي وكنت ميتاً وها أنا حي إلى أبد الآبدين آمين ولي مفاتيح الهاوية والموت"[٨٢]. ويسوع وعدنا "إني أنا حي فأنتم ستحيون".

خامساً: إنها تعني أيضاً ان الموت قد نُقض، وقوة الموت حُطمت، والخشية من قد أُزيلت. وأصبح بإمكاننا أن نردد مع المرنم" إذا سرت في وادي ظل الموت لا أخاف شراً لأنك أنت معي. عصاك وعكازك هما يعزيانني"[٨٣].

ونتيجةً لقيامة المسيح استطاع بولس أن يتطلع إلى الموت بروح طافحة بالأمل وهو يقول" لأن لي الحياة هي المسيح والموت هو ربح"[٨٤].

٨٠٨٠- رومية ٤: ٢٥
٨١٨١- ١ كونثورس ١٥: ٢٠
٨٢- رؤيا ١: ١٨
٨٣- مزمور٢٣: ٤
٨٤- فيلبي ١: ٢١

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

لولا قيامة المسيح لما كان هناك رجاء في المستقبل. والكتاب المقدس يعدنا بأننا سنقف يوماً ما وجهاً لوجه أمام المسيح، ونملك أجساداً مشابهة لجسده.

سأراه وجهاً لوجه

سأرى مخلصي المسيح

فأي غبطة ستغمرني

عندما أبصر يسوع المسيح الذي مات من أجلي!

سأراه وجهاً لوجه

بعيداً ما وراء السحب...

وسأراه في مجده المتألق.

عن قريب سأراه!

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

الفصل الثامن

كيف ومن أين نبدأ؟

"إن لم ترجعوا وتصيروا مثل الأولاد فلن تدخلوا ملكوت السماوات"

(متى ١٨: ٣)

الآن نقرّ بأن فينا، في أعماقنا، ناموساً طبيعياً يجرنا إلى مستوى الحيوان، ويعمي أذهاننا، ويحجز ضمائرنا، ويشل إرادتنا. وهكذا نقف مدانين بأعمال أيدينا.

إن الله إله عادل قدوس وهو لا يستطيع أن يحتمل الخطيئة والخطيئة تفصل الإنسان عن الله وتجلب غضب الله عليه. لقد خسر الإنسان مفهومه الخلفي والفكري والروحي عن الله، لأنه خسر الله. ولن يستطيع أن يجد الله ما لم يجد طريق الرجوع إليه.

ليس طريق الرجوع إلى الله طريقاً عقلياً، ولا طريقاً أخلاقياً. ليس بالفكر يرجع الإنسان إلى الله، لأن أفكار الإنسان ليست أفكار الله، لأن الذهن الجسدي هو عداوة لله. ولا تستطيع الرجوع إلى الله بالسجود والعبادة لأنك أنت ثائر متمرد على الله. كذلك لا سبيل للرجوع إلى الله عن طريق الأخلاق، لأن أخلاقك مُفسَدة بالخطية.

والسؤال البديهي الآن: ماذا أعمل؟ من أين أبدأ؟ أين نقطة الانطلاق؟ ما هي طريق الرجوع إلى الله؟- ليس إلا طريق واحد للرجوع إلى الله. قال يسوع: "إن لم ترجعوا وتصيروا مثل الأولاد فلن تدخلوا ملكوت السموات".

يتضح من هذه الكلمات أن يسوع يطلب التحول*[٨٥]. هذه نقطة الانطلاق. من هنا ينبغي أن تبدأ! ينبغي أن تتحول.

هناك كثيرون "يخلطون" بين التحول وحفظ الشريعة. إن شريعة موسى قد أُنزلت عليه بنصوص صريحة، وغرضها واضح كل الوضوح. ولكن هذه الشريعة ليست علاجاً لأدواء البشرية بل مقياس تعرف به هذه الأدواء. إنها تشير إلى أسباب علتنا ولكنها لا تهب الشفاء. والكتاب يقول: "نحن نعلم أن كل ما يقوله الناموس فهو يكلم به الذين في الناموس لكي يستد كل فم ويصير كل العالم تحت قصاص من الله"[٨٦]أي أن الشريعة أظهرت شر الإنسان. ويضيف الكتاب المقدس" لأنه بأعمال الناموس كل ذي جسد لا يتبرر أمامه"[٨٧]. فالتحول

---

[٨٥] - كلمة حوّل ترجمة للفعل convert الذي مصدره conversion التحول. وذلك أكثر دلالة على المعنى المقصود في سياق الموضوع، مع أنها مترجمة في الآية الواردة في أول الفصل، بكلمة رجع.

[٨٦]- رومية ٣: ١٥

[٨٧]- رومية ٣: ٣٠

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

إذن لا يتأتى من حفظ وصايا الشريعة، لأن الكتاب يقول: "بالناموس معرفة الخطية". فالشريعة مرآة أخلاقية، بوسعها أن تدين ولكن ليس بوسعها أن تمنح التحول، تستطيع أن تتحدى ولكن لا تستطيع أن تغير، تشير بأصبعها منذرة إلى موطن الخطر ولكنها لا تستطيع أن تهب الرحمة. فلا حياة في الشريعة، بل موت. وهو ما نطقت به الشريعة "سوف تموت".

وهناك كثيرون آخرون يزعمون أن ديانتهم تتمثل في الموعظة على الجبل. ولكن كيف يعيش أحد بموجب هذا المقياس السامي وهو لم يولد بعد؟ يقول الكتاب المقدس" الجميع أخطأوا وأعوزهم مجد الله"[٨٨].

ما أَميل الإنسان إلى مخادعة نفسه! فأشير عليك أن تتقصّى دوافعك الحقيقية، ولا تعجّل قائلاً: أنا أرقى من أن تنالني لائمة لائم؛ أنا بغنىً عن "التحول" لأني صالح. افحص قلبك بلا خوف ولا مواربة قبل أن تدّعي أن التحول صالح وملائم لغيرك، عديم الفائدة لنفسك.

بينما كنت ألقي عظاتي في هوليود سألني فريق من كواكب الشاشة أن أحدثهم عن اختبارات دينية. ففعلت. ولما انتهيت أتيح لنا وقت للمناقشة، وكان أول سؤال وجه إلي: ما هو التحول؟

وكان بعد ذلك أن حصل لي شرف التحدث إلى عدد من القادة السياسيين في واشنطن. وعندما ابتدأت ساعة المناقشة، كان أول سؤال وجه إلي أيضاً: ما هو التحول؟

وسواء في الكليات أم في الجامعات، كان يطرح علي نفس السؤال "ماذا تعني بكلمة التحول؟"

وبالفعل ما هو التحول؟ وما الذي يتضمنه؟ كيف يتم؟ ما هي نتائجه؟ ولماذا ينبغي للمرء أن يرجع ويصير مثل الأولاد لدخول السماء؟

ومن المؤكد أن فكرة التحول ليست غريبة عن مجتمعنا. فإن أي بائع حاذق يعرف أن عليه أن يحول انتباه الزبائن وتفكيرهم إلى ما يريد بيعهم إياه أو إلى طريقته في التفكير، وغرض الدعاية تحويل جمهور المشترين عن بضاعة إلى أخرى. وثمة تحولٌ عندما يتخلى قادة السياسة عن منهج سياسي لاعتناق منهج آخر، أو عندما الصناعات السلمية تُحوَّل إلى صناعات حربية أو عندما يستعاض عن الفحم بالبترول لإيقاد المدافئ في البيوت!

إن كلمة التحول في الأصل تعني التغير من حالة إلى حالة، ومن ثم تعني "الدوران إلى الخلف" "تغير الرأي" "الرجوع" "الارتداد". أما التحول الذي كلامنا عنه فقد ضمنوه عدة

---

[٨٨]- رومية ٣: ٢٣

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

معانٍ ومنها "التوبة" "والتجديد" "قبول النعمة" "اختبار ديني" "الحصول على اليقين من الخلاص".

أتذكر في هذا المجال رجلاً سكيراً جاء إلى اجتماع في إحدى الحملات التبشيرية وقال لي: يا سيدي إنني لست متأكداً من صحة أية كلمة مما تقوله، ولكني سأضع المسيح الذي تنادي به موضع الاختبار: فإن استطاع أن يعمل ولو بعض ما تدعي أنه يعمله، فسوف أعود وأوقع له عهداً لمدى الحياة.

ومضت عدة أسابيع وعاد في أثرها ذلك الرجل وأخبرني أنه لم يستطع أن يفهم لماذا كان، في كل مرة يحاول فيها شرب المسكر، يشعر بأن شيئاً يوقفه ويمنعه. لقد أعطاه المسيح الغلبة على عادته الرديئة. ورجع الرجل إلى عائلته. وهو يحيا الآن حياة للمسيح. وبكلمات أخرى دار هذا الرجل على عقبيه وغيّر اتجاهه، وبدل طريقة تفكيره: إنه تحوَّل.

يمكن أن يتم التحول بأشكال مختلفة. وطريقة اتمامه تعتمد إلى حد بعيد على الفرد المعني بالأمر، إذ أنها تتوقف على طباعه، وتوازنه العاطفي ومحيطه وطريقة حياته السابقة. فقد يأتي التحول في أثر أزمة حرجة في حياة الشخص وقد يحصل بعد أن تنهار أو تنبذ القيم الأدبية التي كان من المعتمد عليها أو عندما يجتاز المرء شدة عظيمة أو يمنى بفشل مرير الخ... وهكذا فإن المرء الذي يبذل قصارى الجهد لإحراز ثروة طائلة أو منصب رفيع في المجتمع الخ، إن ذلك المرء ليعاني شعوراً بالفراغ عندما تخيب مساعيه.

في مثل هذه اللحظات المفجعة وعندما يقف المرء مجرداً من كل سلاح بشري، وعندما يصبح المحبوب أبعد من أن يلبي نداءه، عندئذ يشعر المرء بهول وحشته وانفراده. عندئذ يمكن أن يرفع الروح القدس العصائب الدنيوية من أمام عيني ذلك الإنسان ويظهر له بوضوح أن الله وحده مصدر القوة، ومنبع الحب الذي لا ينضب والشركة التي لا يقدر شيء أن يفصم عراها.

كذلك يمكن أن يتم تحول المرء وهو في قمة القوة وأوج الازدهار. تسير الأمور خير مسير أو يغدق الله مراحمه بسخاء. ففي مثل هذه الحال، تكون جودة الله هي السبب الذي يدفع المرء للاعتراف بأنه مدين لله بكل شيء. وهكذا تقتاده جودة الله إلى التوبة.

قد يكون التحول في مثل هذه الأحوال فجائياً وعاطفياً كتحول الوثنيين بعواطفهم وإيمانهم عن الأصنام والأخشاب المنحوتة إلى شخص يسوع.

ولكن جميع التحولات لا يحدث فجأة كومضة من الإشراق الروحي ولا يحدث دائماً على أثر أزمة أبية وأخلاقية فهناك الكثير من التحولات تتكامل وتتم بعد سلسلة من الصراع مع شتى الدوافع الداخلية في باطن الشخص، تتم في نهاية مرحلة طويلة من الاقتناع التدريجي

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

بضرورة وجود خطة للخلاص. وهذه العملية المطولة التدريجية تؤدي إلى قبول واعٍ للمسيح مخلصاً شخصياً وتسلم الحياة له.

وخلاصة القول أنّ التحول يمكن أن يكون حادثة فجائية، أزمة يتلقى فيها الإنسان إعلاناً جلياً عن محبة الله؛ أو قد يكون إعلاناً تدريجياً ترافقه لحظة حاسمة يجتاز فيها الإنسان الحدود بين الظلمة والنور، وبين الموت والحياة الأبدية.

ولكن التحول لا يأخذ هذا المجرى دائماً، فزوجتي مثلاً، لا تذكر اليوم أو الساعة التي تجددت فيها وأصبحت مسيحية، ولكنها متأكدة أنها في برهة من حياتها اجتازت الخط الفاصل. وكثيرون من الشبان الذين ترعرعوا في بيوت مسيحية وتلقوا تدريباً مسيحياً، لا يدرون الوقت أو لا يستطيعون تحديد الوقت الذي أعطوا ذواتهم للمسيح وكرسوا له حياتهم. وهناك من يتذكرون بوضوح يوم اعترافهم العلني بالإيمان. والتحولات التي نقلها إلينا العهد الجديد هي من النوع الفجائي "الدرامي" وفي الواقع يتضمن "التحول" ثلاث خطوات: التوبة والإيمان والولادة الجديدة. التوبة- وهي نقطة الانطلاق- تعني الندامة على الحياة السابقة ونبذها جانباً والانصراف عنها. أما الإيمان فهو الخطوة الإيجابية في التحول ويعني الاتجاه نحو الله. أما الخطوة الثالثة فهي "الولادة الجديدة" أو التجديد.

لا بد لك من التحول إذا شئت أن تدخل السماء: ليس هذا قولي وإنما هو قول يسوع، ليست فكرة إنسان بل فكرة الله. قال يسوع: "إن لم ترجعوا وتصيروا مثل الأولاد فلن تدخلوا ملكوت السموات".

التحول الحقيقي يشمل العقل والقلب والإرادة. وهناك آلاف من الأشخاص قد تحوّل عقلهم، فيؤمنون بالكتاب المقدس بأكمله، ويؤمنون بكل ما ذكر فيه عن يسوع، ولكنهم لم يرجعوا إلى المسيح رجوعاً حقيقياً.

والإصحاح الثاني من بشارة يوحنا يذكر أن مئات من الناس كانوا يتبعون يسوع في بداية خدمته، وأن كثيرون منهم آمنوا بيسوع. ولكن يسوع لم يأتمنهم على نفسه لأنه كان يعرف قلوب جميع البشر. لماذا لم يأتمنهم على نفسه؟ لأنه عرف أنهم آمنوا بعقولهم لا بقلوبهم..

شتان بين التحول العقلي والتحول الشامل الكلي الذي يخلّص النفس ويشمل تغيراً في نمط حياتك وعواطفك أيضاً: الحب والبغضاء الخ. سوف تبغض الخطيئة وتحب البر؛ سوف تجتاز عواطفك تغيراً جذرياً، فتصبح محبتك للمسيح محبة لا تعرف الحدود، بل أنها ستكون من الروعة بحيث يقصر عنها الوصف.

إلا أنك وإن أبديت القبول العقلي للمسيح والقبول العاطفي فذلك لن يكفي، لأنه لا بد لك من تحول الإرادة. إذ ينبغي أن تعزم عزماً أكيداً على طاعة المسيح وأتباعه. ويجب أن ترضخ

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

إرادتك لإرادة الله، كما يجب أن تصلب ذاتك على الصليب وأن تكون رغبة قلبك الوحيدة إرضاء الله.

في التحول وبينما تقف عند أسفل الصليب، يجعلك الروح القدس تتحقق من أنك خاطئ، ويوجه إيمانك ويوجه إيمانك نحو المسيح الذي مات بدلاً عنك. وما عليك سوى أن تفتح قلبك ليسوع وتدعوه للدخول. وفي تلك اللحظة بالذات، ينجز الروح القدس معجزة الولادة الجديدة. وهكذا تصبح بصورة فعلية مخلوقاً جديداً، وتغرس فيك الطبيعة الإلهية التي تمكنك من المشاركة في حياة الله الخاصة، ويأخذ الرب يسوع، بروح الله، مقراً له في قلبك.

التحول هو من البساطة بحيث يستطيع طفل صغير أن يمر به، ولكنه من العمق بحيث ما زال يشغل أذهان اللاهوتيين الذين يحاولون سبر أغواره. لقد جعل الله طريق الخلاص واضحاً "من سلك في الطريق حتى الجهال لا يضل"[٨٩]. الغني والفقير، والساذج والمتفلسف، هم على السواء قادرون على أن يختبروا هذا التحول.

والخلاصة، أن التحول يعني "التغير". وربما ظل المتحول يحب بعض الموضاعات ص١٢٤ التي كان يحبها، إلا أن أسباب حبه لها سوف تتغير بلا ريب. ولكن المتحول يتخلى عن كثير من الموضاعات أو العواطف. وقد يهجر رفقاءه العالمين، لا احتقاراً لهم ولكن لأنه أصبح لا يشعر بجاذب إلى مشاركة غير المسيحيين ممن يخالفونه في الإيمان والمعتقد.

ولسوف يحب المتحول ما كان يكرهه في الماضي ويكره ما كان يحبه. وستتغير نظرته إلى الله: كان قلبه لا يبالي به تعالى، وكان يحيا حياة الخوف والرعب منه والخصومة والعداء له أما الآن فتراه ينقلب إلى حياة الاحترام والثقة والطاعة والتعبد. خشية الله تعمر قلبه، وتسبيح الله لهج لسانه، والاتكال على الله والولاء له دأبه المستمر. ربما كان هم المرء قبل التحول إرضاء الجسد، عن طريق الثقافة، أو الأبحاث الفكرية، أو تكديس المال. أم الآن فنقاء السريرة وقداسة القلب والعيش عيشة مسيحية، ستحظى بالاهتمام الأول. لأن إرضاء المسيح أصبح الشيء الهام بل الوحيد.

وأذكر الآن قصة فتاة موظفة في نيويورك، قدمت إلى لوس أنجلس لتتزوج من شاب تواعدت وإياه على الزواج. وكانت قد تعرّفت بهذا الشاب في رحلة للدعاية أقامتها إحدى شركات الإعلان الكبرى بنيويورك. وترعرعت علاقتهما العاطفية ونمت بفضل حفلات الكوكتيل والنوادي الليلية. وإذ كان الشاب ممتلئاً طموحاً نقل إلى مكتب الشركة في كاليفورنيا وعقدا النية على أن تلحق به الفتاة في غضون ستة أشهر ليعقدا زواجهما.

---

[٨٩]- أشعياء ٣٥: ٨

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

وما إن مضى أسبوع على قدوم الفتاة إلى لوس أنجلس حتى صعقت بنبأ خطبة الشاب إلى نجمة سينمائية ناشئة. ولم يملك الشجاعة ليصارحها بالأمر قبل مغادرتها نيويورك.

وهكذا وجدت نفسها وحيدة في مدينة لا تعرف فيها أحداً، وقد أفسدت كل خططها وتحطمت كبرياؤها ولم يعد أمامها سوى مستقبل قوامه الكآبة والفراغ. ولم تكن عائلتها ديّنة. وهكذا أمام هذه الحاجة الملحة إلى من يقدم لها النصح والإرشاد والتعزية لم تجد مآلاً تذهب إليه.

وبينما كانت تسير في الشوارع الغريبة محاولة التغلب على صدمتها وانكسارها وقع بصرها على الخيمة التي كنا نعقد فيها اجتماعاتنا التبشيرية. وقالت فيما بعد أنها لم تكن تعرف ما هو الدافع الذي حدا بها إلى الدخول، إلا أنها دخلت، ومكثت عابسة طيلة الوقت. وعادت في الليلة التالية وما بعدها وفي بقية ليالي الأسبوع إلى أن قيض الله لها أن تسمع صوته تعالى، وتقدمت إلى المنصة لتعترف بحاجتها إلى الخلاص.

وبفضل إيمانها بالرب يسوع المسيح أمكنها أن تنظر إلى الحب الذي خسرته كبداءة قفزة إلى حب أغنى وأقوى وأصدق. أما شعور الكبرياء الجريحة الذي منعها في السابق من العودة إلى عملها في نيويورك فقد تبدد، وأصبحت الحياة في نظرها أكثر خصباً وامتلاء من قبل. كفت عن إرهاق أعصابها وصرف مقدرتها التنظيمية نحو حفلات الكوكتيل التي لا تنتهي، واستعاضت عن ذلك بنشاط كبير في خدمة الرب يسوع.

وانقلبت مخيلتها الخصبة التي كانت تستخدمها لتسلية جماعة المكتب، انقلبت الان لتعبث الحياة في قصص الكتاب المقدس التي تقصها على الأحداث. وكذلك أفادت من خبرتها في مهنتها خير إفادة في خدمة الرب. ويقول خادم كنيستها (راعي الكنيسة) أن أفكارها كانت مجدية في زيادة المواظبين على الكنيسة. وبدلاً من أن تظل مرفوضة ومهجورة تقدم كثيرون من الشبان بطلب يدها. وليس هذا هو المهم في الأمر، بل المهم أنها أصبحت الآن خالية من كل شعور بالوحدة أو العزلة، لأنها تعرف جيداً أن يسوع المسيح إلى جانبها دائماً، وهو مستعد أن يقدم لها التعزية والإرشاد والحماية.

إن كل ما حصل لها، إنما حصل بفضل التحول: تحولها عن الفراغ والكآبة وطريق العالم الذي كانت تسافر فيه تعيسة، إلى ربها ومخلصها يسوع المسيح! لقد وجدت السلام مع الله!.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

الفصل التاسع

توبوا

" يكون فرح في السماء بخاطئ واحد يتوب أكثر من تسعة وتسعين باراً لا يحتاجون إلى توبة".

(لوقا ١٥: ٧)

رأينا أن عناصر "التحول" الثلاثة هي: التوبة والإيمان والتجديد. والمتفق عليه أن هذه العناصر تحدث عادة في وقت واحد.

لو أمكن وصف التوبة بكلمة واحدة لقلنا إنها "الإقلاع عن". وإن سألت: عن أي شيء؟ أجبتك: عن الخطيئة. يعلمنا الكتاب المقدس أن الخطيئة هي تعدٍ على الناموس، أي أنها جحود لسلطان الله ورفض لكل التزام نحوه. والخطيئة هي المبدأ الشرير الذي دخل إلى جنة عدن عندما تعرض آدم وحواء للتجربة، وسقطا. ومنذ أن حدثت تلك الفجيعة في عدن سرى السم في البشر أجمعين: "أخطأ الجميع" "ليس بار ولا واحد". لقد دمرت الخطيئة علاقتنا بالله، ونتيجة لذلك أفسدت علاقتنا مع غيرنا ومع أنفسنا.

ولن نحصل على السلام مع الله ومع قريبنا ومع أنفسنا ما لم يُقضَ قضاءً تاماً على ذلك "الرجس الذي يكرهه الله". علينا أن ننبذ العالم والجسد والشيطان. لا مجال لمفاوضة، أو مساومة، أو ممالأة، أو تردد. فالمسيح يطلب منا إقلاعاً مطلقاً.

ولكن هنا أيضاً تتدخل المحبة، لأنك عندما تحب المسيح بكل قلبك ترغب وتسعى لتتجنب ما يكرهه. وعندما تستسلم له بالإيمان ففي ذات اللحظة تقلع عن كل خطايا حياتك. لذلك فان الإيمان، بالحقيقة، يسير إلى جانب التوبة، وهما مترافقان. فلا توبة أصيلة إذا لم يتوفر الإيمان المخلص، ولا إيمان مخلص إذا لم تتوفر التوبة الصادقة المخلصة.

ومن المحزن أن كلمة "توبة" قد فقدت من منابرنا اليوم. لم تعد كلمة "مأنوسة". إن أول عظة ألقاها يسوع كانت هذه "توبوا لأنه قد اقترب ملكوت السماوات"[٩٠]. جاء يسوع بقلب يطفح حباً ورأفة ولكنه ابتدأ بالتشديد على ذنب الإنسان وخطيئاته. ودعا الناس إلى الإقرار بذنوبهم والرجوع عن فجورهم. وجاءت دعوته إلى التوبة قبل أن يتمكن من سكب محبته ونعمته على الناس. لقد أبى يسوع أن يبدي أي تساهل نحو الخطيئة، وشدد على ضرورة

[٩٠]- متى ٤: ١٧

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

الإقرار بالذنب والاعتراف بالخطأ والتغير الجذري. على الناس أن يتخذوا موقفاً جديداً، فيتسنى ليسوع آنذاك أن يظهر لهم محبة الله.

وفي أحد الأيام جاء قوم وأخبروه عن بعض الجليليين الذين خلط بيلاطس دمهم بذبائحهم وعن البرج الذي سقط في سلوام فأودى بحياة الكثيرين، فأجابهم يسوع: "أتظنون أن هؤلاء الجليليين كانوا خطأة أكثر من كل الجليليين... كلا أقول لكم. بل إن لم تتوبوا فجميعكم كذلك تهلكون..."[٩١]. فسواء مات الإنسان بالعنف أو موتاً طبيعياً، فمصيره الهلاك إذا لم يرجع إلى الله بالتوبة.

نعلم أن الخلاص كله مؤسس على نعمة الله. سبق لنا فرأينا أن الذبائح والطقوس وأعمال الناموس لم تستطع مطلقاً أن تخلص نفساً واحدة. وتعليم الكتاب المقدس صريح واضح: ما من إنسان يتبرر أمام الله بأعمال الناموس. وهو يقول: "أما البار فبالإيمان يحيا"[٩٢]. فالخلاص والغفران والتبرير ترتكز - كلياً- على عمل المسيح الكفاري: ولكن لكي تكون ذبيحة المسيح الكفارية على الصليب مجدية بالنسبة لأي فرد يجب أن يتوب عن خطيئته ويقبل المسيح بالإيمان.

لقد ظل يونان يكرز بالتوبة في نينوى حتى تابت نينوى. وكان حزقيال ينادي بالتوبة عندما قال: "من أجل ذلك أقضي عليكم... توبوا وارجعوا عن كل معاصيكم ولا يكون لكم الإثمَ مهلكةً "[٩٣]. أما يوحنا المعمدان فكان يردد منادياً بالتوبة: " توبوا لأنه قد اقترب ملكوت السماوات "[٩٤].

ورد في العهد الجديد ذكر التوبة سبعين مرة. قال يسوع " إن لم تتوبوا فكذلك جميعكم تهلكون"[٩٥]. وقال بطرس في عظته يوم الخمسين: " توبوا وليعتمد كل واحد منكم على اسم يسوع المسيح لغفران الخطايا"[٩٦]. وهكذا أيضاً بولس كان يعظ بالتوبة ويقول أنه كان " شاهداً لليهود واليونانيين بالتوبة إلى الله والإيمان الذي بربنا يسوع المسيح"[٩٧]. ويؤكد الكتاب المقدس أن " الله الآن يأمر جميع الناس في كل مكان أن يتوبوا متغاضياً عن أزمنة الجهل"[٩٨]. فهل أنت ..... متيقن من توبتك؟.

ما الذي عناه يسوع بكلمة "توبوا"؟ ولماذا يرد ذكرها في الكتاب بهذا التكرار؟ إن الكلمات الأصلية - اليونانية والعبرية - تعني أكثر من مجرد الأسف والشعور بالحزن نحو الخطيئة.

---

[٩١]- لوقا ١٣: ٣و٤
[٩٢]- رومية ١: ١٧
[٩٣]- حزقيال ١٨: ٣٠
[٩٤]- متى ٣: ٢
[٩٥]- أعمال ٢: ٣٨
[٩٦]- أعمال ٢ :٣٨
[٩٧]- أعمال ٢٠: ٢١
[٩٨]-

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

فكلمة "تاب" الكتابية تعني "تغير أو رجع" فهي كلمة تتضمن قوة وعملاً وتعني ثورة كاملة في داخل الفرد. وعندما يدعونا الكتاب المقدس لكي نتوب عن الخطيئة، فهو يعني أن علينا أن نرجع عن الخطيئة، وأن نغير وجهتنا ونسير في الاتجاه المعاكس لاتجاه الخطيئة لاتجاه الخطيئة بعيداً عنها وعن كل يمت إليها بصلة.

وعندما أورد يسوع مثل الابن الضال رمى من ورائه إلى تشخيص ما كان يعني بكلمة التوبة. فالابن الضال عندما تاب لم يكتف بالوقوف والشعور بالحزن على خطيئاته، ولم يقف منفعلاً حائراً، ولم يقف مكانه محوطاً بالخنازير، بل نهض وترك مكانه وسارت قدماه في الاتجاه المعاكس، ومضى يطلب أباه واتضع أمامه. عندئذٍ نال مكافأة أبيه.

كثيرون من المسيحيين في الوقت الحاضر قد غاب عن نظرهم ما يعنيه الكتاب المقدس بكلمة "التوبة". فهم يظنون أن التوبة تزيد قليلاً عن مجرد هز الرأس تجاه الخطيئة والقول "إنني آسف إذ فعلت ذلك " ومن ثم يتابعون حياتهم كما اعتادوا أن يحيوا من قبل. إن التوبة الحقيقية هي "التغير"، أو الرجوع عن، أو السير في اتجاه جديد". لا يكفي مجرد الأسف، فيهوذا شعر بالحزن والأسف وتأنيب الضمير ولكنه لم يتب مطلقاً. وليس الإصلاح ذاته كافياً: مهما حاولت أن تعذب جسدك أو تدين نفسك فلن تسر الله ولن ترضيه. على الصليب تحمل يسوع قصاص الخطيئة وكفّر عنها بدمه الثمين. ومهما تكن العذابات التي نفرضها على ذواتنا فلن تقودنا إلى التوبة. والتوبة الحقيقية التي نتلقنها من الكتاب المقدس يجب أن يكون لها أثر في العقل والقلب والإرادة معاً.

أولاً: في العقل. يجب أن توجد المعرفة، معرفة الخطيئة. يقول الكتاب المقدس" الجميع أخطأوا وأعوزهم مجد الله"[٩٩]. عندما عرف أشعياء خطيئاته قال: "ويل لي... إني إنسان نجس الشفتين"[١٠٠]. عندما تبكت بطرس بخطيئته قال "إني رجل خاطئ"[١٠١]. وكان بولس يدعو نفسه أول الخطأة (طالع ١تي ١: ١٥).

إن الروح القدس هو الذي يقوم بتبكيت الإنسان. ولا يمكن أن تحصل التوبة فعلاً ما لم يسبقها عمل الروح القدس في القلب والعقل. يستخدم الروح القدس صلوات والدة أو عظة راعي الكنيسة، أو إذاعة مسيحية دينية أو موت شخص عزيز لإحداث هذا التوبيخ الضروري. ولكن رأيت أناساً يرتجفون تحت تأثير هذا التبكيت إلا أنهم لم يتوبوا عن خطيئاتهم. وقد تمتلئ تبكيتاً، بل تذرف الدموع، ولكنك مع ذلك لا تتوب.

---

[٩٩]- رومية ٣: ٢٣
[١٠٠]- أشعياء ٦: ٥
[١٠١]- لوقا ٥: ٨

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

ثانياً: في القلب. إن التوبة تتناول العواطف، كما هي الحال في كل الاختبارات الدينية العميقة الأصيلة. ويقول بولس أن ثمة حزناً تمليه التقوى ويقود إلى التوبة. هناك من ينفرون من المشاعر العاطفية ويشكون في التحول الذي لا يجري في هدوء، كما لو كان صاحبه داخل ثلاجة! ولكن إن كان صحيحاً أن هناك كثيراً من الأخطار في العاطفية الزائفة فذلك لا يمنع العواطف الحقيقية في التحوّل الصحيح. إن الرجل الذي لا يملك نفسه من الصياح بأعلى صوته حين يشاهد مباراة رياضية، ثم يقف متطلعاً إلى خاطئ يبكي عند الصليب فيبدي امتعاضاً من ذلك، غير جدير بأن يقيم الناس وزناً لأقواله.

ثالثاً: في الإرادة. وبالحقيقة إن الإرادة هي مركز التوبة الحقيقية. فيجب أن يتوفر في الإنسان العزم الأكيد على ترك الخطيئة أي على تغيير موقفه تجاه ذاته وتجاه الخطيئة وتجاه الله. وليس إلا الروح القدس يستطيع أن يدفعك إلى اتخاذ هذا العزم والتصميم الضروريين للتوبة. عندما مئات من الناس أسماؤهم مسجلة في الكنائس، يذهبون إلى الكنيسة عندما يروق لهم ذلك، ويعطون من أموالهم ويساهمون في نشاط الكنيسة. يصافحون راعي الكنيسة عقب كل اجتماع ولا يفوتهم أن يعربوا له عن اعجابهم بعظاته. يستطيع بعضهم أن يوردوا عدداً كبيراً من آيات الكتاب المقدس، ولكنهم لم يختبروا مطلقاً التوبة الحقيقية، إذ أن ديانتهم هي "ديانة المصلحة الشخصية": يلتفتون إلى الله ويصلون إليه عندما يقعون في ضائقة، وما عدا ذلك فقلّما يذكرون الله! والكتاب المقدس يقول إنه عندما يأتي إنسان إلى المسيح يحدث فيه تغير ينعكس على كل ناحية من نواحي حياته. عندما يدخل المسيح إلى القلب البشري يريد أن يكون الملك والسيد، يريد استسلاماً تاماً دون قيد ولا شرط، يريد السيطرة على أفكار الإنسان وتصورات قلبه ومواهبه العقلية ومؤهلاته، يريد أن تكون الأعمال جميعاً بإسمه..

نجد وقتاً للسينما، وللمباريات الرياضية وحفلات الجوائز، ولكننا لا نجد وقتاً نعطيه لله. نستطيع أن نوفر مالاً لشراء بيت أو أثاث منزلي الخ، ولكننا ندعي العجز عن دفع العشور. إن المسيح يطالب بالسيادة المطلقة على كل شيء، بأن تسلم إليه كل ما يختص بحياتك الاجتماعية، والعائلية، والمهنية. يجب أن يكون له المكانة الأولى في كل شيء سواء كان ما تفكر به أو ما تقوله. فإياك والحلول الجزئية. ولا تقل "سوف أنبذ قسماً من خطيئاتي، واحتفظ بالبعض الآخر، سأعيش بعض الوقت للمسيح، أما ما تبقى فسوف أحياه حسب وفق رغباتي". إن المسيح يطلب استسلاماً تاماً. وإذا ما تم ذلك كانت المكافأة أضعافاً مضاعفة. عندما تصمم على نبذ الخطيئة وتركها وتسليم الكل للمسيح تكون قد خطوت خطوة جديدة نحو تحقيق السلام مع الله.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

الفصل العاشر

الإيمان

" إنكم بالنعمة مخلصون بالإيمان وذلك ليس منكم. هو عطية الله. ليس من أعمال كيلا يفتخر أحد".

(أفسس ٢: ٨- ٩)

كان موسى في الأربعين من عمره عندما اتخذ قراره الخطير وأيقن أن الإيمان والحق- مع الصعوبات والآلام- أفضل من الغنى والشهرة بدون محبة الله. قليلون هم الذين- على مر العصور- دُعوا لاتخاذ مثل هذا القرار العسير.

كان موسى رجلاً ذا ثقافة وعلم، فضلاً عما كان له من ثراء ورفعة الجانب. ولكونه ابناً لابنة فرعون فقد كان محفوفاً بالكرامة، محاطاً بالأبهة، متمتعاً بالامتيازات. وكان عرش مصر- أول العروش في ذلك الوقت من حيث الغنى والسلطان- في متناول يده. ومع ذلك يسجل الكتاب المقدس إنه "بالإيمان لما موسى كبر أبى أن يدعى ابن ابنة فرعون. مفضلاً بالأحرى أن يذل مع شعب الله على أن يكون له تمتع وقتي بالخطية حاسباً عار المسيح غنىً أعظم من خزائن مصر لأنه كان ينظر إلى المجازاة. بالإيمان ترك مصر غير خائف من غضب الملك لأنه تشدد كأنه يرى من لا يُرى"[١٠٢].

لنلاحظ كلمتي أبى(رفض) وترك. هذه هي التوبة الحقيقية. ثم يقول أنه فعل ذلك بالإيمان! وهذه هي الخطوة الثانية. إن موسى لم يتخذ قراره في نزوة من العاطفية التي ينادي بعض علماء النفس بضرورة وجودها في الاختبار الديني، ولا اتخذه أثر فشل أصيب به. لم يكن يشكو الفقر أو العوز. لم يختر طريق الله كأنه يستعيض بها عما حرمته منه الحياة، ولا اختار حياة التقوى عن ملل أو بلادة، ولا سعى من وراء ذلك إلى المنفعة أو التسلية أو اللهو. لم يكن ثمة ما يجبر موسى على الابتعاد عن الجسد وعن الشيطان، وإنما فعل ذلك بمحض اختيار. من المؤكد أن موسى لم يكن ضعيف العقل أو الإرادة، ولم يكن شاباً طموحاً يسعى إلى تأمين رتبة مرموقة أو شخصاً مغموراً يسعى إلى مكانة رفيعة أو شهرة واسعة. لم يكن له شيء من المطامع التي يتحلى بها- على زعم المستهزئين بالدين- أولئك الذين يدركون حاجتهم إلى الخلاص. كان موسى يمتلك أكثر مما يحلم بامتلاكه كثيرون، ومع ذلك فإنه أدار في مقتبل العمر ظهره للغنى والمقام والاعتبار. واختار، بدلاً عنها، الإيمان بالله.

[١٠٢]- عبرانيين ١١: ٢٤-٢٧

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

كلما سمعت امرءاً يتشدق بأن العجزة والقانطين وغير الأسوياء هم الذين يبحثون عن التعزية في الدين أتذكر موسى. لقد تيسّر لي التحدث إلي مئات الألوف من الرجال والنساء عن مشاكلهم الروحية. وقد لاحظت أن ذوي الذكاء من الرجال والنساء، عندما يرفضون قبول المسيح سيداً لهم ورباً ومخلصاً، فليس ذلك عن نفور من التعاليم المسيحية ولكن هرباً من المسؤوليات والالتزامات التي تتطلبها الحياة المسيحية. ليست عقولهم النيرة هي التي تقف حائلاً بينهم وبين المسيح، ولكن قلوبهم الضعيفة الخائرة، فهم لا يريدون أن يخضعوا ويسلموا كل شيء للمسيح.

لقد نظر موسى بعين الاعتبار إلى مطالب الدين والتزاماته، وتحق أن التمسك بالله لا يمكن أن يتم إلا على حسب تضحيته بالأشياء التي يسعى الناس جهدهم في أثرها. كان يعلم يقيناً أن القرار الذي يتحتم اتخاذه جد خطير، فاتخذ قراره، قراراً حازماً لا متردداً، نهائياً لا موقتاً، يقيناً لا تجيبياً، راسخاً لا متقلقلاً. لقد حرص على تحطيم الجسور حتى لم يعد في قلبه أمل بالرجوع إلى موقفه السابق والتراجع عن موقفه الجديد! مر موسى بهذه اللحظة الحرجة وهو في سن الأربعين، وسلّم ذاته لله تسليماً تاماً شاملاً.

يا للبون الشاسع بين موسى الكليم وغمالائيل برادفورد مثلاً، الكاتب، الذي قال عندما أزفت ساعة موته "إنني لا أجرؤ على قراءة العهد الجديد خشية أن تستيقظ في نفسي عاصفة من القلق والشك والخوف فانتبه إلى ضلالي".

لم يعرف موسى مثل هذا الخوف، ولن تعرف أنت هذا الخوف إذا ما اتجهت بإيمانك إلى المسيح اتجاهاً قلبياً نهائياً. لا تحاول أن تلتفت إلى المسيح كأنها على سبيل التجربة كأن تقول "سأجرب المسيحية لفترة من الزمن؛ فإذا وافقتني سرتُ قدماً في طريقها وإلا فأمامي مجال لاختيار طريق آخر الحياة". عندما تأتي إلى المسيح عليك أن تحرق من ورائك كل جسر وتتخلص حتى من فكرة الرجوع.

عندما نشر النسر الروماني جناحيه فأظل بهما بقاعاً شاسعة من العالم، أبحر جنود الرومان الأشاوس بقيادة القيصر ليغزوا بريطانيا. وما إن بدت سفن الغزاة في عرض البحر حتى تجمع الألوف من البريطانيين الأبطال ليدافعوا عن وطنهم الحبيب. ولشد ما دهشوا حين رأوا أن الرومان قد أشعلوا النار في سفنهم حتى لا يبقى لهم أمل بالتراجع! فهل كان يعقل أن يفشل هؤلاء المغاوير؟ وهل بعد ذلك من عجب في أن روما، القرية الهادئة الصغيرة الممتدة على شاطئ التيبر، قد بسطت سيطرتها على العالم!

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

والمسيح أيضاً يطلب استسلاماً مطلقاً. "ليس أحد يضع يده على المحراث وينظر إلى الوراء يصلح لملكوت الله"[١٠٣].

كان موسى في مفترق طرق الحياة عندما اتخذ قراره الخطير. لقد راز عقله جميع الحقائق المترتبة على قراره، وفكر بدقة فيما تؤدي إليه الطرق الممتدة أمامه، كما فكر في ما له وما عليه. وبعدئذٍ فحسب، قرر أن يضع ثقته بالله.

لقد تطلع أولاً إلى الطريق الرحبة البراقة، الملأى بالورود والمباهج والأطايب وكل ما يعتبره العالم لذة ومسرة. كانت هذه الطريق مألوفة لديه وقد سلكها أربعين عاماً؛ ولكنه كان يعلم أنها تؤدي إلى الدمار والجحيم.

ثم تطلع إلى الطريق الأخرى، الطريق الضيقة الحافلة بالمشقات فرأى الآلام والضيق والذل والخيبة. ورأى التجارب والصعوبات والآلام والأحزان، ولكنه نظر إليها بعين الإيمان. ورأى أيضاً الانتصارات والمجازاة التي هي الحياة الأبدية.

كما يمكن لرجل أقل خبرة وأضعف عقلاً من موسى أن تغويه الطريق الأولى. فقد كانت مصر تشكل أعظم قوة في العالم: لها واديها الخصيب الزاخر بالغلال، ولها جيوش جرارة قهّارة، ولها معاهد وجامعات طائرة الصيت...

قليلون هم الذين يطلب منهم الله ما طلب من موسى، قليلون المتعرّضون لمثل ما تعرّض له موسى من إغواء وتجارب، وأقل منهم أيضاً الذين يمتلكون كل هذه المسرات والمباهج الأرضية. تعترف الأسفار المقدسة أن في الخطيئة لذة، ولكنها لذة وقتية. لأن المسرات التي تجلبها الخطيئة تفر بسرعة، وتختفي مخلّفة وراءها الحزن والكآبة.

كانت الثروات في زمن موسى نادرة. وكانت الفرصة التي سنحت له ليصبح أغنى رجل في العالم فرصة لا يحظى بها إلا القليلون. لقد بذل موسى تضحية كبيرة باختياره الله، ولكنه ربح أيضاً مكافأة عظيمة جداً.

في عام ١٩٢٣- يوم كان جمع الثروات الشاغل الرئيسي لأذهان الناس في الولايات المتحدة- اجتمع فريق من كبار رجال المال والأعمال في فندق شهير في شيكاغو. وجلس إلى نفس المائدة ثمانية من أقطاب الرجال: مدير أعظم شركة مستقلة للفولاذ، ومدير أعظم شركة للخدمات العامة، وأحد أعظم شركة للخدمات العامة، وأحد أعاظم تجار القمح، ومدير بورصة نيويورك، ومدير ديوان رئاسة الجمهورية في الولايات المتحدة، ومدير أحد أعاظم المصارف العالمية، وكبير التجّار في سوق نيويورك التجارية، وأخيراً رئيس إحدى

[١٠٣]- لوقا ٩: ٦٢

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

أعظم شركات الاحتكار العالمية. كانت ثروة هؤلاء المجتمعين الثمانية تربو على خزينة الدولة. شهرتهم كانت لهج الألسنة، وقصص نجاحهم يتناقلها طلاب المدارس. وكانوا بمثابة نماذج يحاول الآخرون أن ينسجوا على منوالها. والخلاصة أنهم كانوا عمالقة أعمالٍ وجبابرة صناعة.

في ذلك الحين، كان كل من هؤلاء الرجال المجتمعين، في نفس الحالة التي كان فيها موسى عندما اتخذ قراره: كانوا عند مفترق الطرق وكانت أمامهم طريقان. ربما لم يميزوا هذين الطريقين بل لم يكترثوا إليهما. ولكن من المؤكد أنهم لم يقوموا بالاختيار الناجح. ومرت الأيام... وبلغت قصص حياتهم نهايتها. ونحن نعرف اليوم الفصول النهائية من تلك القصص، ونستطيع أن نستعرض حياتهم كما استعرضنا حياة موسى لنقرر أي الفريقين كان أكثر حكمة، وأحسن ختاماً.

نعلم أن الواحد منهم كان في أواخر أيامه يستدين ليشتري ما يسد به رمقه ومات معدماً، وقضى الآخر نحبه في الخارج مديوناً، وقضى غيره فترة من عمره في "إصلاحية"، وغيره في السجن، والباقون ماتوا انتحاراً...

لقد حاز كل من أولئك الرجال المال والقوة والشهرة والمقام والذكاء والثقافة، لكنهم جميعاً بلا استثناء كانوا يفتقرون إلى المزية الوحيدة التي تستطيع أن تسبغ على حياتهم معناها الحقيقي، الميزة التي تجعل التحول ممكناً والتجديد حقيقة واقعة، وهذه الميزة هي الإيمان. ولو قبلنا جدلاً أنه كان لديهم إيمان، لكنهم لم يتصرفوا بما يمليه عليهم هذا الإيمان. وكم كانت الفصول الختامية من حياتهم ستختلف وتبدو مشرقة لو أنهم جعلوا الإيمان بالمسيح في مقدمة ثرواتهم التي بها يفخرون!

وما ينبغي ملاحظته أن موسى، بالإيمان، استطاع أن يرفض غنى مصر، وأن يعرف أنه وإن قضى بقية أيامه على الأرض في ذل وحرمان، فسوف ينال في النهاية الحياة الأبدية.

إن الإيمان هو الطريق الوحيدة للتقرب إلى الله "لأنه يجب أن الذي يأتي إلى الله يؤمن بأنه موجود وأنه يحازي الذين يطلبونه"[١٠٤]. ونعلم أن الله يسر بالإيمان "بدون إيمان لا يمكن إرضاؤه"[١٠٥].

في شتى أنحاء المعمورة يحاول الناس أن يعذبوا أنفسهم فيرتدون الثياب الخشنة، ويهشّمون أجسادهم، وينكرون على أنفسهم ضروريات الحياة، ويقضون الأوقات الطويلة في الصلاة

[١٠٤]- عبرانيين ١١: ٦
[١٠٥]- عبرانيين ١١: ٦

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

والتضحية بالذات، وكل ذلك في سبيل إرضاء الله. ويفوتهم أن أكثر ما يرضي الله هو الإيمان به.

بوسعي أن أذهب إلى صديقي وأطنب في مديحه. ولكن لو ختمت هذا المديح بقولي: إنني لا أؤمن بك فسيكون كل ما قلته سابقاً لغواً فارغاً، إذ إنني بكلمة واحدة هدمت كل ما بنيته.

إن أعظم طريق يمكن أن نسلكها لنرضي الله هي أن نؤمن بكلمته. وكأن يسوع كان يناشد مستمعيه إذ قال لهم "صدقوني إني في الآب والآب فيّ. وإلا فصدقوني لسبب الأعمال نفسها"[١٠٦].

يؤكد الكتاب المقدس أن الإيمان ضروري مطلقاً. ولكن ما هو الإيمان؟ ماذا تعني بالإيمان؟ ما هو تعريفه؟ وكيف أعرف إذا كان إيماني حقاً؟ وما هو القدر الذي ينبغي أن أملكه من الإيمان؟

مهلاً فأجيب على أسئلتك واحداً واحداً. الكتاب يردد تكراراً أننا لن ننال الخلاص إلا بالإيمان: "آمن بالرب يسوع المسيح فتخلص أنت أهل بيتك"[١٠٧].

"وأما كل الذين قبلوه فأعطاهم سلطاناً أن يصيروا أولاد الله أي المؤمنون باسمه"[١٠٨].

"بهذا (أي بيسوع) يتبرر كل من يؤمن من كل ما لم تقدروا أن تتبرروا منه بناموس موسى"[١٠٩].

"وأما الذي لا يعمل ولكن يؤمن بالذي يبرر الفاجر فإيمانه يحسب له براً"[١١٠].

"فإذ قد تبررنا بالإيمان لنا سلام مع الله بربنا يسوع المسيح[١١١].

" أما نحن فلسنا من الارتداد للهلاك بل من الإيمان لاقتناء النفس"[١١٢].

"لأنكم بالنعمة مخلّصون بالإيمان وذلك ليس منكم. هو عطية الله"[١١٣].

فهل الإيمان هو الذي يخلّص؟ كلا وإنما نحن مخلصون بالنعمة بالإيمان (عن طريق الإيمان). فالإيمان مجرد قناة نتلقى بها نعمة الله الموهوبة لنا، أو اليد التي تمتد لتقبل هبة

١٠٦- يوحنا ١٤: ١١
١٠٧- أعمال ١٦: ٣١
١٠٨- يوحنا ١: ١٢
١٠٩- أعمال ١٣: ٣٩
١١٠- رومية ٤: ٥
١١١- رومية ٥: ١
١١٢- عبرانيين ١٠: ٣٩
١١٣- أفسس ٢ : ٨

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

محبة الله. وفي الرسالة إلى العبرانيين (١١: ١) نقرأ: " أما الإيمان فهو الثقة بما يرجى والاتقان بأمور لا ترى". وتعني كلمة إيمان حرفياً: التسليم، الاستسلام، الائتمان.. فالإيمان ثقة متناهية مطلقة.

أنا لم أذهب قط إلى القطب الشمالي، ومع ذلك أومن أنه موجود فعلاً. وكيف أعرف ذلك؟- سمعت عنه في كتب التاريخ، ورأيته في خرائط الجغرافية. وأنا أصدق الرجال الذين كتبوا تلك الكتب ورسموا تلك الخرائط. أقبل وجود القطب بالإيمان

يقول الكتاب: "الإيمان بالخبر والخبر بكلمة الله"[١١٤] (أي أن الإيمان يأتي عن طريق السماع، سماع بشرى الخلاص). فنحن نصدق ما يقوله الله عن الخلاص ونقبله دون مناقشة. وقد ترجم مارتن لوثر العدد ٢٧ من الفصل ١١ من الرسالة إلى العبرانيين كما يلي: "لأنه تمسك بمن لا يراه كأنه يراه".

يحثنا يسوع أن نرجع ونصير مثل الأولاد. فكما يثق الأولاد بوالديهم، هكذا ينبغي أن نثق نحن بالله.

هبْ أنني أقود سيارتي بسرعة خمسين ميلاً في الساعة في طريق صاعد على تل، فهل أوقف سيارتي وأسير مترجلاً إلى ذروة الهضبة لأستطلع جزء الطريق المختفي عن الرؤية؟ كلا بل أنني، في مثل هذه الحال، سأثق بوزارة المواصلات وأتابع سيري بسرعة مناسبة استناداً إلى معرفتي بأن الطريق ستنحدر بعد الذروة، بالرغم من كوني عاجزاً عن رؤيتها. إنني أقبل ذلك بالإيمان. وهكذا الأمر في مسألة الإيمان الذي يمنحني الخلاص.

والإيمان هنا- مثل التوبة- يتضمن ثلاثة أشياء:

أولاً: يجب أن تتوفر المعرفة بما يقوله الله. ولذلك فمن المهم جداً أن تقرأ الكتاب المقدس لتعرف ما يعلمك بشأن خلاص نفسك. ويكفي أن تعرف أنك خاطئ وأن المسيح قد مات من أجلك. وقد تبلغ إلى الخلاص بآية واحدة تجدها مثلاً في إنجيل يوحنا لضروري (٣: ١٦). ولكن من الضروري أن تتزود بمعرفة كافية عن هذه المسألة الحيوية الخطيرة. ولن تحصل على ذلك إلا بالكتاب المقدس.

كثيرون يقولون "نحن لا نفهم من الكتاب المقدس إلا الشيء القليل، ولذلك لا نحاول قراءته". لكن ليس هذا الموقف من الحكمة في شيء. أنا أيضاً لا أفهم أشياء كثيرة، وأعلم أن ذهني المحدود لن يستطيع أن يستوعب غير المحدود. لا أفهم كل شيء عن التلفزيون ولكن ذلك لا يمنعني من استعماله، فأنا أقبله بالإيمان.

[١١٤]- رومية ١٠ : ١٧

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

ثم إن الله لا يطلب منا المستحيل. وهو في "التحول" لا يطلب منك أن تقوم بقفزة في الفضاء على عمى. فالإيمان بالمسيح يرتكز على أعظم اثبات في العالم وهو الكتاب المقدس. وإن كنت لا تفهم الكتاب بكليته فيمكنك أن تؤمن به لأنه كلمة الله. إن أولى الهجمات التي شنها الشيطان على الإنسان كانت حمل آدم على الشك في كلمة الله. فإذا ابتدأت بالشك في كلمة الله، فما أكثر ما تواجهه من مصاعب ومشاكل! إن أول ما يتوجب عليك أن تعرف هو أنك خاطئ، وأن المسيح مات لأجل خطاياك، وأنه قام أيضاً لأجل تبريرك. فموت يسوع المسيح، ودفنه وقيامته هي رسالة الإنجيل وجوهره. وهذا هو الحد الأدنى الذي ينبغي قبوله والإيمان به لكي يمكن حدوث التحول.

ثانياً: يتناول الإيمان العواطف والشعور. يقول الكتاب المقدس "مخافة الرب رأس المعرفة"[١١٥]. ويقول الرسول بولس "محبة المسيح تحضرنا"[١١٦]. فالرغبة والحب والخوف جميعها ضروب من الشعور والعواطف. وهل يمكن إقصاء العواطف عن الحياة؟

ولن يقول أي إنسان ذكي "دعونا نحيا بلا عاطفة ". ويستحيل أن نقصي الشخصية عن الشعور العميق، كما لا نستطيع أن نتصور الحياة خالية من حرارة العاطفة. هل يعقل أن أعلن عن محبة الله واستعداده لمنح الغفران والعفو الشامل وأحظر على مستمعيّ الإفصاح عن اغتباطهم بسماع هذه البشرى؟! كلا. إذاً فلا بد أت تحدث في القلب عاطفة. قد تتنوع، ولكن لا بد منها. قد تتنوع حسب الظروف والأشخاص، فهذا سريع التأثر وذاك بطيئة، هذا كتوم وذاك- وإن كتم- فأساريره تتكلم.

ثالثاً: الإرادة وهي أهم ما في الأمر. فالإرادة هي التي تتخذ القرار النهائي الذي يدوم ويبقى. ويمكن أن يحصل الاقتناع العقلي والشعور العاطفي، ومع ذلك لا يحدث التحول إلى المسيح. "الإيمان بدون أعمال ميت"[١١٧].

سمعت عن بهلوان كان يقطع، مشياً على الأقدام، حبلاً ممدوداً فوق نهر نياجرا، وكان يسير فوق الحبل ويدفع أمامه عربة يد صغيرة، جيئة وذهاباً. وتجمهر من حوله ألوف المشاهدين يصفقون له بإعجاب ودهشة. ولم يكتف البهلوان بذلك بل وضع في العربة كيساً يزن ثمانين كيلو غراماً، ومضى يدفع العربة بخفة ومهارة، والتفت إلى الجمهور وصاح به: كم هو عدد الذين يؤمنون بينكم بأنني أستطيع أن أضع في هذه العربة رجلاً وأعبر به إلى الضفة الأخرى. فتحمس الجميع وهتفوا. والتفت البهلوان إلى أحد المتحمسين في الصف الأمامي، وقال له "إذن تعال".

---

[١١٥]- أمثال ١: ٧
[١١٦]- كورنثوس ٥: ١٤
[١١٧]- يعقوب ٢: ٢٠

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

وسرعان ما اختفى الرجل! فهو لم يعتقد ذلك حقاً. صحيح أنه قال إنه يعتقد بذلك. وظن أنه يعتقد، ولكنه لم يشأ أن يضع نفسه في العربة.

وهكذا الأمر مع المسيح. فهناك كثيرون يقولون إنهم يؤمنون به، ويقولون إنهم يتبعونه. لكنهم لم "يجلسوا قط في العربة"، ولم يأتمنوه على أنفسهم، ولم يسلموا ذواتهم له كلياً مئة بالمئة.

كثيرون يسألون: كم هو مقدار الإيمان الذي يحتاج إليه الأمر؟ ويجيبهم يسوع: يكفي من الإيمان مقدار "حبة الخردل".

ويسأل آخرون " ما هو نوع هذا الإيمان؟" - ليس ثمة سوى نوع واحد من الإيمان. وليست المسألة: ما هو نوع الإيمان، وإنما المسألة: ما هو موضوع الإيمان؟ فما هو موضوع إيمانك؟

ينبغي أن يكون المسيح هو موضوع إيمانك وغايته. المسيح ولا شيء آخر. فلا الطقوس، ولا الذبائح، ولا الأخلاق، ولا الذات أيضاً تصلح أن تكون موضوعاً لإيمانك.

يبين لنا الكتاب المقدس أن الإيمان يظهر نفسه بطرق ثلاث: فهو يظهر بالعقيدة، أي ما تؤمن به. وبالعبادة، أي الشركة مع الله ومع المؤمنين. وأخيراً يظهر الإيمان بالحياة التي تحياها والسلوك الذي تسلكه.

ويعلمنا الكتاب المقدس أيضاً أن الإيمان لا ينتهي بالثقة في المسيح لأجل الخلاص فحسب، بل يستمر وينمو. ربما كان إيمانك ضعيفاً في بدايته، ولكنه يقوى ويزدهر إذا ما واظبت على قراءة الكتاب المقدس والصلاة والاجتماع بأخوتك المؤمنين ومواظبة الشركة معهم.

فإذا ما تبت عن خطاياك وقبلت المسيح بالإيمان، ينبغي أن تثق بأنه سيحفظك، ويقويك ويمكّنك ويثبتك. وسوف تتعلم أكثر فأكثر كيف تركن إلى المسيح لقضاء كل حاجة لك، ومواجهة كل ظرف، والتغلب على كل تجربة. وتتعلم أن تقول مع بولس "مع المسيح صلبت فأحيا لا أنا بل المسيح يحيا فيّ. فما أحياه الآن في الجسد فإنما أحياه في الإيمان إيمان ابن الله الذي أحبني وأسلم نفسه لأجلي"[١١٨].

فإذا ما آمنت بيسوع المسيح تكون قد خطوت خطوة إلى الأمام لإحراز السلام مع الله.

[١١٨]- غلاطية ٢: ٢٠

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

الفصل الحادي عشر

الولادة الجديدة

"إن كان أحد لا يولد من فوق لا يقدر أن يرى ملكوت الله"

(يوحنا ٣: ٣)

لو أتيحت لي فرصة أتحدث فيها وإياك حديث القلب للقلب ربما أدليت إلي بالاعتراف التالي: إنني خاطئ مضطرب. لقد اختلط عليّ الأمر، فأنا أشعر بالألم والشقاء. تعديت وصايا الله وشرائعه وعشت حياة معاكسة لإرادته. حسبتُ أني في غنىً عن مساعدة الله. حاولت أن أسير على شرائع سننتها لنفسي ففشلت. آه ما أمرّ الدروس التي تلقنها من خلال الآلام والاختبارات المفجعة! أنا مستعد أن أستغني عن كل شيء في سبيل الحصول على الولادة الجديدة. آه! لو أمكن الرجوع إلى الخلف والابتداء من جديد لسلكت غير الطريق التي سلكتها!

أبشر يا هذا! إنك تستطيع أن تولد من جديد! وأن تبدأ من جديد. تستطيع أن تخلع ذاتك الخاطئة المحتقرة، وتنطلق إنساناً جديداً، نقياً، طاهراً من إدران الخطيئة.

مهما كان ماضيك مثقلاً بالخطايا، وحاضرك ملبداً بغيوم الحيرة والاضطراب، ومستقبلك خالياً من أية بارقة رجاء، فثمة منفذ وطريق نجاة، طريق أمين وحيد أبدي. فأمامك اختيار واحد، وطريق واحد غير الطريق الملتوي والحافل بالأخطار والعذابات والمشقات الذي كنت تسلكه قبلاً.

تستطيع أن تستمر في شقائك وخوفك وكراهيتك لنفسك وللحياة، أو أن تقرر في هذه اللحظة عزمك على أن تولد ثانية. يمكنك أن تقرر الآن محو ماضيك المثقل بالخطايا وبدء بداءة جديدة. يمكنك أن تقرر الآن أن تكون كما يريدك يسوع أن تكون.

قد تقول سائلاً: كيف يمكنني الحصول على هذه الحياة الجديدة؟ كيف يمكنني أن أبدأ من جديد؟ كيف أستطيع أن أولد من جديد؟

هذا هو السؤال الذي وجهه نيقوديموس إلى يسوع منذ ألفي سنة.

لا تحسبن أن الولادة الجديدة معناها أن تقلب صفحة جديدة، أو أن تصلح نفسك. الكتاب المقدس يعلمنا أننا وُلدنا في الخطيئة، وأننا "أموات بالذنوب والخطايا"[١١٩]. فلا شيء إذاً في

[١١٩]- أفسس ٢: ١

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

طبيعتنا الميّتة الخاطئة يصلح لأن تنبثق عنه الحياة. إن الجثة جثة ولا يمكن أن تدب فيها الحياة من جديد. ويقول الكتاب المقدس" الخطية إذا كملت تنتج موتاً"[١٢٠]. جميعنا موتى روحياً ولذلك فلا نستطيع أن نحيا حياة صالحة مقدسة. كثيرون حاولوا ذلك، ولكن باءت جهودهم بالفشل. نحن جميعاً في عداوة مع الله، ولذلك فنحن لا نخضع لله ولا نطيعه ولا نخدمه بل لا نستطيع أن نخضع لناموس الله (راجع رومية ٨: ٧ وأيضاً ١ كورنثوس ٢: ١٤).

يقول الكتاب المقدس أيضاً أن طبيعتنا القديمة فاسدة بجملتها" من أسفل القدم إلى الرأس ليس فيه صحة بل جرح وأحباط وضربة طرية"[١٢١]. "القلب أخدع من كل شيء وهو نجيس"[١٢٢]. فالتجديد ليس" ترقيعاً" للإنسان العتيق، بل خلع الإنسان العتيق. يجب أن تصلب الذات القديمة لا أن تهذّب وتشذّب "تنقون خارج الكأس... وأما باطنكم فمملوء اختطافاً وخبثاً".

ويؤكد الكتاب المقدس أننا إذا لم نختبر هذه الولادة الجديدة فلن نستطيع الدخول في ملكوت السماوات. وشدد يسوع على وجوب الولادة الجديدة "ينبغي أن تولدوا من فوق"[١٢٣]. وليس في قوله هذا أي غموض أو التباس. من شاء أن يدخل ملكوت السماوات فلا بد له من الولادة الثانية.

إن الخلاص ليس إصلاح الطبيعة القديمة أو تقويمها بل هو خلق كائن جديد، مولود من الله بالبر والقداسة. التجديد ليس فقط تغير الطبيعة، أو إصلاح القلب، وإنما هو ولادة جديدة، ولادة مرة ثانية. "ينبغي أن تولدوا ثانية".

ولا يقبل الله شيئاً يمت بصلة إلى الطبيعة القديمة، لأنه لا خير فيها. الإنسان القديم أضعف من أن يتبع المسيح. يقول بولس الرسول: "تفعلون ما لا تريدون"[١٢٤]. فالذين هم في الجسد لا يستطيعون أن يرضوا الله. ويسألنا يعقوب "ألعلّ ينبوعاً ينبع من نفس عين واحدة العذب والمر. هل تقدر يا أخوتي تينة أن تصنع زيتوناً"[١٢٥]. وتصف الرسالة إلى أهل رومية الإنسان العتيق فتقول: "حنجرتهم قبر مفتوح بألسنتهم قد مكروا. سم الأصلال تحت شفاههم. وفمهم مملوء لعنة ومرارة. أرجلهم سريعة إلى سفك الدم. في طرقهم اغتصاب وسحق... ليس خوف الله قدام عيونهم"[١٢٦]. وهل من سبيل إلى إصلاح أو "ترقيع" الحناجر والشفاه والألسنة والأقدام الخ؟ إن ذلك الإصلاح ضرب من المستحيل ولذلك قال يسوع

---

[١٢٠]- يعقوب ١: ١٥
[١٢١]- أشعياء ١: ٦
[١٢٢]- أرميا١٧: ٩
[١٢٣]- يوحنا ٣: ٧
[١٢٤]- غلاطية ٥: ١٧
[١٢٥]- يعقوب ٣: ١١-١٢
[١٢٦]- رومية ٣: ١٣-١٨

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

بوجوب الولادة الجديدة "ينبغي أن تولدوا ثانية". وقال أيضاً "المولود من الجسد جسد هو"[١٢٧]. ويقول الكتاب في موضع آخر: "هل يغيّر الكوشي (الحبشي) جلده أو النمر رقطه"[١٢٨]. وورد في الرسالة إلى أهل رومية: "الذين هم في الجسد لا يستطيعون أن يرضوا الله"[١٢٩]. "إني أعلم أنه ليس ساكن فيّ أي في جسدي شيء صالح"[١٣٠]. "القداسة... بدونها لن يرى أحد الرب"[١٣١].

إن الحياة الناجمة عن الولادة الجديدة ليست نتيجة الجهود الذاتية. لأن الإنسان لا يمتلك تلك القداسة التي يقتضيها الله للدخول إلى السماء. بداءة هذه الحياة هي في الولادة الجديدة. لكي تحيا حياة الله ينبغي أن تمتلك طبيعة الله.

إن الولادة الجديدة بكليتها هي عمل الروح القدس. ليس بإمكانك أن تفعل شيئاً للحصول عليها. والكتاب المقدس يقول: "وأما كل الذين قبلوه فأعطاهم سلطاناً أن يصيروا أولاد الله أي المؤمنون باسمه. الذين ولدوا ليس من دم ولا من مشيئة جسد ولا من مشيئة رجل بل من الله"[١٣٢]. وهذا يعني أنك لا تستطيع أن تحصل على الولادة الجديدة بالوراثة. ربما كان والداك مسيحيين، لكن ذلك لا يجعلك مسيحياً إذ إن المسيحية هي علاقة شخصية مع الله بالمسيح يسوع.

لا تستطيع أن تولد من مشيئة جسد. إذاً لا يمكنك أن تفعل شيئاً للحصول عليها. أنت ميت والميت لا حياة له فيتمكن من فعل أي شيء.

كذلك لا تستطيع أن تولد من مشيئة رجل. فالولادة الجديدة ليست نتيجة وسائل أو جهود بشرية. كثيرون يحسبون أنهم يختبرون الولادة الجديدة حتماً وبصورة آلية بمجرد انتسابهم إلى الكنيسة أو إتمام بعض الطقوس الدينية أو تقديم التبرعات للمؤسسات الخيرية. فمع أن هذه الأعمال حسنة لكنها لن تسبّب حدوث الولادة الجديدة.

ليس أحد يستطيع أن يلد نفسه، وإنما يولد بمشيئة غيره. الولادة الجديدة غريبة عن إرادتنا، أي أنها برمتها عمل إلهي، فنحن نولد من الله. نيقوديموس لم يفهم كيف يمكنه أن يولد ثانية فسأل مرتين متحيراً "كيف ذلك"؟.

ومع أن الولادة الجديدة تبدو أمراً غامضاً لكنها حقيقة واقعة. الكهرباء مثلاً محوطة بالغموض ولكننا نعرف أنها تنير مصابيحنا وتدير محركاتنا وتشغل أجهزة المذياع

---

[١٢٧]- يوحنا ٣: ٦
[١٢٨]- أرميا ١٣: ٢٣
[١٢٩]- رومية ٨: ٨
[١٣٠]- رومية ٧: ١٨
[١٣١]- عبرانيين ١٢: ١٤
[١٣٢]- يوحنا ١: ١٢-١٣

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

وغيرها. لا نفهم كيف ينبت الصوف للأغنام ويكسو الشعر جلد الأبقار بينما تكتسي الطيور بالريش، لكننا نعرف أن الأمر هو كذلك. نحن لا ندرك الأسرار ولكننا نقبلها بالإيمان. وهكذا نقبل بالإيمان هذه الحقيقة أن الإنسان عندما يندم على خطيئته ويلتفت بالإيمان إلى الرب يسوع المسيح فإنه يولد ثانية. نصبح أولاد الله عندما يعطينا الله الطبيعة الإلهية ويغرسها في النفس الإنسانية. إذ ذاك نُعطى نسمة الحياة الإلهية. ويتخذ يسوع المسيح، بواسطة الروح القدس، مقراً له في قلوبنا. ونصبح متحدين بالله إلى الأبد. ومعنى ذلك أنك إذا كنت مولوداً ثانية فستحيا ما دام الله حياً، لأنك تشارك الله في حياته.

وسوف تكون لولادتك الثانية عدة نتائج:

أولاً: سوف تتسع بصيرتك ويتضاعف إدراكك. يقول الكتاب المقدس" إن الله الذي قال إن يشرق نور من ظلمة هو الذي أشرق في قلوبنا لإنارة معرفة مجد الله في وجه يسوع المسيح"[١٣٣]. وكذلك يقول "مستنيرة عيون أذهانكم"[١٣٤]. كنتَ قبل الولادة أعمى، روحياً. أما الآن وقد امتلكت طبيعة الله فقد تفتحت بصيرتك وازدهرت معرفتك، وأصبحت تقبل بالإيمان الحقائق التي كانت مثار سخريتك، وأصبح الله محور تفكيرك ومركزه.

ثانياً: في القلب. يقول الكتاب المقدس: "أعطيكم قلباً جديداً وأجعل روحاً جديدة في داخلكم وانزع قلب الحجر من لحمكم وأعطيكم قلب لحم"[١٣٥]. ويقول الله أيضاً: " أجعل شريعتي في داخلهم وأكتبها على قلوبهم وأكون لهم إلهاً وهم يكونون لي شعباً"[١٣٦].

يصيب ميولك تبدل جذري. فطبيعتك الجديدة تحب الله وكل ما لله. تحب أسمى الأمور وأنبلها وترفض الأشياء الدنيا السافلة. وكم يضيق صدرك حزناً وشفقة على الذين ليس لهم من الامتيازات ما تتمتع به أنت!

ثالثاً: في الإرادة. أهدافك وقراراتك قد تغيرت. يقول الكتاب المقدس" إله السلام... يكملكم في كل عمل صالح لتصنعوا مشيئته عاملاً فيكم ما يرضي أمامه"[١٣٧]. هذه الطبيعة الجديدة التي نلتها من الله تكون خاضعة لمشيئته تعالى. رغبة قلبك أن تصنع إرادته دائماً في كل شيء. أنت تطلب تمجيد الله، وتشتاق إلى الشركة مع إخوتك في الكنيسة. تحب الكتاب المقدس وتحب المواظبة على الصلاة والتأمل. بالأمس كانت حياتك محفوفة بالشك وعدم الإيمان الذي هو أساس كل خطيئة، وأصبحت الآن تؤمن وتثق تماماً وكلياً بالله وبكلمته.

---

[١٣٣]- ٢ كورنثوس ٤: ٦
[١٣٤]- أفسس ١: ١٨
[١٣٥]- حزقيال ٣٦: ٢٦
[١٣٦]- أرميا ٣١: ٣٣
[١٣٧]- عبرانيين ١٣: ٢٠-٢١

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

قد تكون الكبرياء هي التي سيطرت على حياتك في الماضي: كنت منهمكاً في مطامحك ورغباتك وأهدافك وأفكارك؛ أما الآن فالكل قد تبدل. أو قد تكون البغضاء والحسد والخبث والاستياء والحيلة هي التي ملأت سابقاً أفكار قلبك... أما الآن فهذا كله قد تبدّل.

بالأمس كان الكذب سهلاً عليك. وكان الغش والرياء يسودان الكثير من أفكارك وأعمالك... وهذا أيضاً قد تبدل. كنت في السابق تستسلم لشهوة الجسد، وهذا أيضاً قد تبدل. قد تتعثر وتقع في أحد الفخاخ التي يضعها الشيطان في طريقك ولكن سرعان ما تشعر بالأسف والندم، وتعترف بخطيئتك وتستغفرها. لقد ولدت ثانية فطبيعتك نفسها قد تبدلت.

هناك قصة مزارع أدخل خنزيراً إلى بيته فغسل شعره وطيبه بالعطر، ووضع حول عنقه شريطاً حريرياً، ثم وضعه في غرفة الجلوس. وبدا الخنزير كأنه استأنس عشرة الناس. وكم كان لامعاً نظيفاً! ولكن ما كاد الباب يفتح حتى مرق الخنزير بسرعة خارج الغرفة إلى أول بركة موحلة وقع بصره عليها ومضى يتمرغ فيها. ولم فعل ذلك؟ ليس إلا لأنه ما زال في حقيقته مجرد خنزير. والتغير الذي طرأ عليه لم يكن إلا خارجياً.

خذ حملاً واصنع به ما صنع المزارع بالخنزير ثم ضعه في غرفة الجلوس. ثم افتح الباب ليخرج إلى صحن الدار وستراه يحاول جهده أن يتجنب برك الوحل. ولم؟ لأن طبيعته هي طبيعة حمل.

لك أن تأخذ رجلاً وتكسوه أجمل الثياب وتضعه في أول مقعد في الكنيسة، حتى ليبدو كأنه أحد الأتقياء الورعين. ولربما خدع منظره أخلص خلصائه إلى فترة معينة. ولكن دعه يذهب إلى مكتبه، أو راقبه في بيته، أو لاحظه وهو في النادي فترى طبيعته الأصلية تعود إليه وتظهر على حقيقتها. فما سر تصرفه على هذا الشكل؟ السر في ذلك أن طبيعته لم تتغير وأنه لم يولد ثانية.

في اللحظة التي تقبل فيها الولادة الجديدة وتولد ثانية وتقبل الطبيعة الجديدة من يد الله، في هذه اللحظة عينها تتبرر أمام الله. ومعنى تتبرر أنك تصبح باراً- كما لو أنك لم تقترف قط خطيئة. يقول الرسول بولس" من سيشتكي على مختاري الله. الله هو الذي يبرر"[١٣٨]. لقد غفرت خطاياك ورفعها الله عنك وألقاها وراء ظهره في بحر النسيان. مُحيتْ كل خطاياك. أنت في نظر الله كمديون نال مسامحة ديونه، أنت مصالح مع الله. يقول الكتاب المقدس أن " الله... صالحنا لنفسه بيسوع المسيح وأعطانا خدمة المصالحة"[١٣٩].

---

[١٣٨]- رومية ٨: ٣٣

[١٣٩]- ٢ كورنثوس ٥: ١٩

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

ويؤكد الكتاب المقدس أن الله" سبق فعيّننا للتبني بيسوع المسيح لنفسه حسب مسرة مشيئته"[١٤٠]. فأنت الآن عضو في العائلة الملكية السماوية. أنت ابن للملك الأعظم. اكتسبت عيناك بريقاً، وخطاك رشاقة، ووجهك ابتسامة وإشراقاً. تبدلك ظاهر للعيان. لقد ولدت ثانية.

إن المتجدد- أي المولود ثانية- تحدث فيه تغيّرات عدة.

أولاً: موقفه من الخطيئة. يكرهها كما يكرهها الله ويمقتها. في أحد اجتماعاتنا المنعقدة في مدينة هوستون من ولاية تكساس حضر أحد باعة الخمور، وفي أثناء الاجتماع اختبر الولادة الجديدة. وفي اليوم التالي علق على واجهة المخزن "الحل مغلق".

سمعت عن رجل آخر ولد ثانية في أحد الاجتماعات الانتعاشية. كان هذا يعاقر الخمر ليل نهار، وكان معروفاً بلقب "أبو قنينة"، فرد عليه جون "من تخاطب؟ إذا كنت تخاطبني فاسمح لي بأن أصحح خطأك، فليس اسمي بعد أبو قنينة لأن العتيق قد مضى وهوذا الكل قد صار جديداً".

ثانياً: ثمة دليل آخر على ولادتك الجديدة وهو رغبتك وعزمك على طاعة الله "بهذا نعرف أننا قد عرفناه إن حفظنا وصاياه"[١٤١].

ثالثاً: إذا ولدت من جديد فسوف تنفصل عن العالم. يقول الكتاب المقدس "لا تحبوا العالم ولا الأشياء التي في العالم. إن أحب أحد العالم فليست فيه محبة الآب"[١٤٢].

رابعاً: سوف يكون قلبك عامراً بمحبة القريب. يقول الكتاب المقدس "نحن نعلم أننا قد انتقلنا من الموت إلى الحياة لأننا نحب الأخوة"[١٤٣].

وأخيراً ستتجنب الخطية، لأن الكتاب يقول: من وُلد من الله لا يخطئ"[١٤٤].

---

[١٤٠]- أفسس ١: ٥
[١٤١]- ١ يوحنا ٢: ٣
[١٤٢]- ١ يوحنا ٢: ١٥
[١٤٣]- ١ يوحنا ٣: ١٤
[١٤٤]- ١ يوحنا ٥: ١٨

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

الفصل الثاني عشر

اليقين

" كتبت هذا إليكم أنتم المؤمنين باسم ابن الله لكي تعلموا أن لكم حياة أبدية ولكي تؤمنوا باسم ابن الله"

(١ يوحنا ٥: ١٣)

أتلقى كل أسبوع مئات الرسائل يقول مراسلوها أنهم يواجهون بعض الشك والحيرة. ويرد كثير من هذه الرسائل من مسيحيين مخلصين يبدو أنهم لا يملكون الفرح واليقين لأنهم فشلوا ولم يفهموا حقيقة أساسية في الاختبار المسيحي. فلنلخص في هذا الفصل ما قلناه عن هذا الاختبار. رأينا ما معنى التوبة والإيمان والولادة الجديدة، ولكن كيف تتيقن أن هذه كلها قد حدثت لك؟ إن كثيرين ممن حادثتهم قد عرفوا التوبة، والإيمان، والولادة الجديدة، ولكن في الغالب يعوزهم التيقن من تحولهم. إن التحول- كما مرّ- يمكن أن يكون اختباراً أزمياً محدداً في ظروف معينة أو يكون عملية متدرجة تؤدي إلى لحظة حاسمة.

إياك والظن بأنك تصير مسيحياً عن طريق التثقيف الديني. قال أحد كبار الوعاظ "ينبغي علينا أن نثقف وندرب شبابنا ثقافة مسيحية إلى درجة ينسون معها متى كانوا غير مسيحيي". وما أكثر الذين يقولون قول هذا الواعظ ويشددون على أهمية التثقيف الديني وقد قصروا عن إدراك الاختبار المسيحي لأنهم أحلوا محله فكرة التدريب الديني.

في مطلع هذا القرن لاحظ الأستاذ ستاربك، وهو من قادة علم النفس، إن الذين يعملون في الحقل الديني غالباً ما يجندون من صفوف أولئك الذين عرفوا التحول بصورة واضحة، غير أنهم أناس أتوا من أوساط بسيطة لم تتوفر لهم فيها ثقافة دينية عالية. ليس هذا نقداً للتدريب الديني والثقافة الدينية بل نقد لاستعمال التدريب الديني استعمالاً زائفاً غير نزيه، بحيث يصبح بديلاً لاختبار الولادة الجديدة. قال يسوع لأحد أشد معاصريه تمسكاً بالدين "إن كان أحد لا يولد من فوق لا يقدر أن يرى ملكوت الله"[١٤٥]. لم يكن بمقدور نيقوديموس أن يستغني عن الولادة الجديدة بمعرفته الدينية العميقة، ولا نحن نستطيع إحلال الثقافة محل الولادة الجديدة.

إن اليرقة القبيحة الشكل تقضي فترة طويلة داخل شرنقتها في نمو صامت يكاد المراقب لا يلاحظه. إن أسابيع النمو الصامت ذات أهمية، لكنها لا تستطيع أن تحل محل الاختبار الذي فيه يُطرح العتيق البشع، ويبرز الكائن الجميل الجديد. صحيح أن آلافاً من المسيحيين لا

[١٤٥]- يوحنا ٣: ٣

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

يتذكرون في أي يوم أو ساعة جاؤوا إلى المسيح، إلا أن حياتهم وإيمانهم يشهدان أنهم قد تجددوا وانتقلوا من الموت إلى الحياة.

قد لا نغالي في قولنا إن كل مسيحي تعرّض في فترات من حياته للشك والحيرة. عندما ارتقى موسى جبل سيناء ليتسلم لوحي الشريعة من يد الله، وقف العبرانيون ينظرون إليه حتى غاب عن عيونهم. ولبثوا يترقبون عودته إلى حين، لكنهم أخيراً عندما أبطأ قدومه، بدأ الشك ينهشهم فقالوا فيما بينهم " إن هذا موسى الرجل الذي أصعدنا من أرض مصر لا نعلم ماذا أصابه"[١٤٦]. وإن ارتدادهم كان نتيجة للشك وعدم الإيمان.

هذه الحيرة المخيفة التي تلازم نفوساً كثيرة إنما تنجم عن جهل الاختبار المسيحي الحقيقي. ويبدو أن الكثيرين لا يفهمون طبيعة الاختبار المسيحي، بينما آخرون يبحثون عما لا يطالب الكتاب المقدس بالبحث عنه.

ورد ذكر الإيمان- في علاقته بخلاص الإنسان- نيفاً وثلاثمائة مرة، كما تضمنها سياق الكلام مرات أخرى أيضاً. ويقول كاتب الرسالة إلى العبرانيين "يجب أن الذي يأتي إلى الله يؤمن بأنه موجود وأنه يجازي الذين يطلبونه"[١٤٧]. ويقول أيضاً "أنه بدون إيمان لا يمكن إرضاؤه".

كثير من المسيحيين يقعون في الحيرة والارتباك والقلق لأنهم "يخلطون" بين الإيمان والشعور. ليس المهم ما تشعر ما تؤمن به. فإن كنت حقاً تؤمن بما ورد في الكتاب المقدس فستكون في ثقة وسلام؛ وإذ ذاك فقط يتاح لك أن تقول مع بولس الرسول "إنني عالم بمن آمنت"[١٤٨]. إذا كنت قد خلصت من الخطية، فذلك بإيمانك الشخصي بإنجيل المسيح. ليس من سبيل آخر للخلاص. يقول الكتاب المقدس "إنني سلمت إليكم في الأول ما قبلته أنا أيضاً أن المسيح مات لأجل خطايانا حسب الكتب. وأنه دفن وأنه قام في اليوم الثالث حسب الكتب"[١٤٩]. ويقول أيضاً أننا نخلص عندما نركّز إيماننا لا على الشعور أو على تصوراتٍ نسجِ خيالنا بل على حقائق راهنة ثابتة. إن عمل المسيح هو حقيقة، وصلبه حقيقة.

إننا لا نستطيع أن نؤمن بشيء غير موجود. والإنجيل لم يبرر إلى حيز الوجود لأن الناس آمنوا به، ولم يفرغ القبر في صباح الفصح لأن بعض الأتباع الأمناء قد آمنوا بذلك. لا بد أن تسبق الحقيقة الإيمان دوماً. وكذلك نحن لا نستطيع أن نؤمن إذا لم يوجد موضوع نؤمن به.

---

[١٤٦]- خروج ٣٢: ١
[١٤٧]- عبرانيين ١١: ٦
[١٤٨] - ٢ تيموثاوس ١: ١٢
[١٤٩]-١ كورنثوس ١٥: ٣- ٤

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

إن الكتاب المقدس لا يطلب منا الإيمان بشيء مستحيل غير معقول بل بحقيقة تاريخية تسمو في الواقع على التاريخ بجملته. إنه يدعوك لتؤمن أن عمل المسيح الذي قام به لأجل الخطيئة ولأجل الخطأة هو كفوء لكل الذين يأتمنون يسوع على نفوسهم. فإذا آمنت به وبما أتمّه من أجل خلاصك الأبدي فإنما أنت تثق بحقيقة راهنة ثابتة.

يستحيل الإيمان إذا لم يكن ثمة موضوع نؤمن به، وموضوع إيماننا هو المسيح. ليس الإيمان مجرد موافقة عقلية على مطالب المسيح بل يتناول الإرادة؛ الإيمان إرادي وهو يتطلب العمل. فإذا كنا حقيقة نؤمن بالمسيح فسوف نحيا. لكن الإيمان بدون أعمال ميت. فالإيمان يعني استسلاماً تاماً للمسيح وهو يعني أيضاً الإقرار بالخطيئة والالتفات نحو المسيح. لذلك فإننا لا نعرف المسيح بالحواس الخمس لكننا نعرفه بالحاسة السادسة التي وهبها الله لكل إنسان- وهي القدرة على الإيمان.

وأخيراً نقول أنّ جزءاً كبيراً من عدم الاستقرار الديني والحيرة، عند الباحثين الجادين المخلصين، هو ظنُّهم بأنه يجب عليهم أن يكونوا في حالة عاطفية خاصة قبل أن يتيسر لهم اختبار التحول والولادة الجديدة.

إن الذين يبحثون عن الخلاص كما يعرضه الكتاب المقدس يرغبون من غير شك أن يعرفوا نوع الاختبار الذي ينبغي لهم أن يتوقعوه. وأخص الآن بالحديث أولئك الذين ذهبوا مراراً إلى الاجتماعات حيث ينادى ببشارة الإنجيل، الذين ربما أبدوا رغبة في التحول، الذين جثوا على ركبهم بجانب جهاز المذياع أو التلفزيون حال سماعهم الدعوة إلى قبول المسيح مخلّصاً شخصياً. إلى كلٍ من هؤلاء أوجه كلامي فأقول:" لقد سمعت، يا هذا، بشرى الخلاص وعرفت أنك خاطئ محتاج إلى المخلص. فهمت الآن أن مصيرك الهلاك ما دمت على حالك، وأيقنت أن جميع الوسائل البشرية التي لجأت إليها لإصلاح ذاتك كانت باطلة فاشلة. وفي غمرة يأسك وعجزك تطلعت إلى المسيح طالباً الخلاص. آمنت أنه يقدر ويريد أن يخلصك. سمعت مراراً دعوته للخطاة "تعالوا إلي يا جميع المتعبين والثقيلي الأحمال وأنا أريحكم"[١٥٠]. كما قرأت وعده القائل "من يقبل إليّ لا أخرجه خارجاً"[١٥١]. وكذلك قرأت قوله "إن عطش أحد فليقبل إلي ويشرب"[١٥٢].

عندما تمعن التأمل في العهد الجديد لمعرفة نوع الاختبار الذي تتوقعه ماذا تجد؟- تجد أن هذا الاختبار إيماني لا شعوري عاطفي؛ تجد أن الإنسان "يتبرر بالإيمان" لا بالشعور، وأن الإنسان يخلص عندما يؤمن بالمسيح ويضع ثقته كلها في العمل الكفاري البديلي الذي أنجزه المسيح على الصليب، ولا يخلص مطلقاً بالمشاعر الجسدية أو بنشوة "انخطاف ديني".

---

[١٥٠]- متى ١١: ٢٨
[١٥١]- يوحنا ٦: ٣٧
[١٥٢]- يوحنا ٧: ٣٧

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

وتسألني "وما هو شأن الشعور؟ أليس له دخل أو دور في الإيمان؟ بلى! ولكننا لا نخلص بواسطة الشعور. إن الشعور، في الواقع، نتيجة للإيمان لكنه بحد ذاته لا يستطيع مطلقاً أن يحقق الخلاص.

عندما أدرك جزءاً ضئيلاً من محبة المسيح لي أنا الخاطئ، فإنني أقابله حباً بحب- ومن الواضح أن الحب شعور- ولكن محبتي للمسيح تسمو على الأحاسيس التي ترافق الحب البشري. فهي محبة متحررة من كل أنانية. يقول الكتاب المقدس "المحبة الكاملة تطرح الخوف إلى خارج"[١٥٣]. وكل من يحب المسيح فله فيه ثقة تامة ترفعه وتسمو به فوق كل خوف.

عندما أدرك أن المسيح بموته وذبيحة نفسه قد أحرز نصراً تاماً كاملاً على الموت والخطيئة فإنني أتحرر من خشية الموت. يقول الكتاب المقدس: "إذ قد تشارك الأولاد في اللحم والدم اشترك هو أيضاً كذلك فيهما لكي يبيد بالموت ذاك الذي له سلطان الموت أي إبليس. ويعتق أولئك الذين خوفاً من الموت كانوا جميعاً كل حياتهم تحت العبودية"[١٥٤].
والموت المنوه عنه هنا هو نوع من الشعور أيضاً. وكذلك فإن التغلب على الخوف من هذا الموت بالجرأة والثقة هو أيضاً نوع من الشعور والاختبار. لكن ليس شعورنا بالجرأة أو الثقة هو الذي يخلصنا، بل إيماننا هو الذي يخلصنا. ليست الجرأة والشجاعة سوى نتيجة لثقتنا بالمسيح.

وشعورك بأن ضميرك مثقل بالخطية هو أيضاً اختبار يعرفه علماء النفس تحت اسم "مركب الذنب" ويسعون بشتى الوسائل إلى أقصائه أو التغلب عليه. ولكن عندما يكون المرء تحت تبكيت من الروح القدس فلا شيء قادر أن يتغلب على هذا الشعور. وكم من مجرم سلم ذاته أخيراً لسلطات الأمن لأن وخز الضمير كان أقوى تأثيراً فيه من عذابات السجن.

يقول الكتاب المقدس أن يسوع المسيح يطهر الضمير "لأنه إن كان دم ثيران وتيوس ورماد عجلة مرشوش على المنجسين يقدس إلى طهارة الجسد فكم بالحري يكون دم المسيح الذي بروح أزلي قدم نفسه لله بلا عيب يطهر ضمائركم من أعمال ميتة لتخدموا الله الحي"[١٥٥].

إن تنقية الضمير المثقل بالخطية والتحرر من وخزاته الدائمة هو اختبار أيضاً. لكن تطهير الضمير لن يخلصك بل الإيمان بالمسيح هو الذي يخلصك. وما نقاء الضمير إلا نتيجة لإيمانك بأن المسيح قد مات عنك وسفك دمه الثمين تكفيراً عن خطاياك.

---

[١٥٣]- ١ يوحنا ٤: ١٨
[١٥٤]- عبرانيين ٢: ١٤-١٥
[١٥٥]- عبرانيين ١٣:٩-١٤

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

وأخيراً قد يقول قائل: "إني أؤمن بما ورد في الإنجيل من حوادث تاريخية ولكنني لست مخلّصاً بعد. ربما كان ذلك صحيحاً، لأن الإيمان الذي يمنح الخلاص ذو صفة مميزة: إنه يولد الطاعة ويؤثر في الحياة ذاتها. والذين اختبروا الإيمان بالمسيح واعتمدوا عليه كلياً للخلاص ستكون فيهم رغبة قوية أن يعيشوا حياة الإيمان. ومن نتائج هذا الإيمان القداسة والتسليم التام لله.

إن كان لك أيها القارئ "إيمان عقلي" أو "إيمان تقليدي" فطلبتي إليك أن لا تعتمد على هذا أو ذاك للخلاص. سَلّم ذاتك تمام التسليم للمسيح واطلب منه الخلاص فتصبح- على حد قول كلمة الله الصادقة- من أولاد الله: " وأما كل الذين قبلوه فأعطاهم سلطاناً أن يصيروا أولاد الله أي المؤمنون باسمه" (يوحنا١: ١٢).

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

الفصل الثالث عشر

أعداء المسيحي

" إن مصارعتنا ليست مع دم ولحم بل مع الرؤساء مع السلاطين مع ولاة العالم على ظلمة هذا الدهر مع أجناد الشر الروحية في السماويات"

"أفسس٦: ١٢"

الآن وقد اتخذت قرارك، الآن وقد ولدت من جديد، وتبررت، وأصبحت من أولاد الله، ماذا بقي عليك؟ هل ثمة خطوة جديدة ينبغي أن تخطوها أم هل انتهى كل شيء؟- لستَ الآن إلا في البداية. أنت في عالم جديد، العالم الروحي، والكل فيه جديد لك. أنت طفل، وكالطفل أنت بحاجة إلى حنان وعناية وغذاء وحماية. ليس بوسعك أن تحيا الحياة المسيحية منفرداً، إذ لا بد لك من "عائلة" تجد فيها المساعدة والشركة، وهذا أحد الأسباب التي من أجلها أسس المسيح الكنيسة.

إن لك أعداءً ويا لهم من أعداء! يحاولون بشتى الوسائل أن يخنقوا الحياة المسيحية فيك. إذ كنت تتخذ قرارك الحاسم كانوا يزأرون ويدأبون محاولين أن يجرّوك إلى الخطية أو يزجوك في الانهيار واليأس.

ثلاثة أعداء عليك أن تحاربهم ما حييت، وعليك أن تعدّ العدة لكي تهزمهم وتغلبهم. فدعنا نتعرف إليهم ونكشف القناع عنهم. يعلمنا الكتاب المقدس أن أعداءنا هم الشيطان والعالم وشهوة الجسد.

أولاً: الشيطان. رأينا أن الشيطان شخص جبار دأبه مقاومة الله والتغرير بشعب الله. ورأينا أنه قد غُلب عند الصليب، ومع ذلك فما زالت عنده القوة للتأثير في البشر واستمالتهم إلى الشر. يدعوه الكتاب المقدس "الشرير"[١٥٦] "الشيطان"[١٥٧]"قتّال للناس" "كذاب وأبو الكذاب"[١٥٨] "أسد زائر يجول ملتمساً من يبتلعه"[١٥٩] "الحية القديمة" "المشتكي على أخوتنا"[١٦٠].

ومنذ أن اتخذت قرارك فأذعنت للمسيح مُنيَ ذلك العدو الغاشم بهزيمة نكراء، ولذلك فهو يرغي ويزبد ويحاول أن يوقعك في الخطية. ولكن لا تخف فإنه لن يستطيع أن يسلبك

---

[١٥٦]- متى ١٣: ١٩
[١٥٧]- لوقا ٤: ٣٣
[١٥٨]- يوحنا ٨: ٤٤
[١٥٩]- ١ بطرس ٥: ٨
[١٦٠]- رؤيا ١٢: ٩-١٠

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

خلاصك أو يقينك أو انتصارك. سيسعى جهده ليبذر في نفسك بذور الشك في حقيقة تجديدك؛ فحذار من النقاش معه لأنه أمهر مناقش في كل العصور.

عند أول تجربة تعترض لك تذكّر أن المشاعر قُلَّبٌ لا يمكنك الاتكال أو الاعتماد عليها. سيسعى إبليس أن ينفخك بالكبرياء لكي ما تمتلئ ثقةً بمؤهلاتك وقواك ومطامعك ورغباتك. وفي أول سانحة سينفث في قلبك الكره والحقد أو يحملك على اغتياب الآخرين وتكديرهم، أو يغرس في قلبك الحسد والضجر والخبث، أو يوقعك في الرياء والكذب وما أشر الكذب من خطية! وما أسهل اقتراف الكذب بالفكر أو بالقول أو بالعمل! وكل ما من شأنه أن يخدع شخصاً آخر فهو كذب. سيحاول أيضاً أن يجعلك مصدمة ومعثرة لأخوتك المسيحيين، فإذا لم تأخذ حذرك منه فستضحي، دون علم منك، أحد أعوان الشيطان. يا له من مراوغ داهية مقتدر! يسميه الكتاب "إله هذا العالم"[١٦١] "رئيس هذا العالم"[١٦٢] "رئيس سلطان الهواء"[١٦٣].

وتقول لي: كيف والحالة هذه أتغلب عليه؟ كيف السبيل للهرب منه؟ وهل ثمة منفذ؟- "لم تصبكم تجربة إلا بشرية. ولكن الله أمين الذي لا يدعكم تجربون فوق ما تستطيعون بل سيجعل مع التجربة أيضاً المنفذ لتستطيعوا أن تحتملوا"[١٦٤]. إذاً المنفذ موجود. عليك أن تتذكر في كل الأحوال أنه إذا جربك الشيطان فليس ذلك دلالة على أنك لا تسير باستقامة مع الله، لكنه بالحقيقة يثبت العكس. تذكّر أن التجربة ليست خطيئة، وأن الله لا يجرب أولاده مطلقاً ولا يوقعهم في الشكوك؛ ولكن جميع الشكوك والتجارب مصدرها الشيطان. ولا تنس أن الشيطان يقدر أن يجرب ولكنه لا يقدر إجبارك على قبول التجربة. تذكر أخيراً أن المسيح قد قهر الشيطان ولذلك صارت قوته عديمة التأثير في أولئك الذين يحبون حياة الاتكال والاستسلام والاعتماد الكلي على الله.

يقول الكتاب المقدس: "قاوموا إبليس فيهرب منكم" لكنه يقول قبل ذلك "اخضعوا لله"[١٦٥]. فإذا ما خضعت للمسيح خضوعاً كلياً أصبح بوسعك أن تقاوم الشرير فينهزم- حسب وعد الكتاب_ مقهوراً مدحوراً. إن الشيطان يرتجف حين تصلي، ويرتد على أعقابه مهزوماً حينما تتلو آية من آيات الكتاب المقدس، ويولي الأدبار حين تقاومه. ضع اعتمادك كلياً على قوة المسيح فتأمن من إبليس ومكايده.

ثانياً: العالم. ونعني بذلك العالَم بكل ما فيه من أشياء تجذبنا نحو الخطيئة: الصحبة الشريرة، الأزياء الخليعة، الملذات والأفكار والمطامع العالمية الخ. إن المسيحي، أي الإنسان الذي اختبر الولادة الثانية، يعلم جيد العلم أن مسرة قلبه هي فوق، في الأجواء السامية الساطعة

---

[١٦١]- ٢ كورنثوس ٤:٤
[١٦٢]- يوحنا ١٢: ٣١
[١٦٣]- أفسس ٢: ٢
[١٦٤]- ١ كورنثوس ١٠: ١٣
[١٦٥]- يعقوب ٤: ٧

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

وفي الأمور النبيلة الطاهرة. أما الذين لم يختبروا الولادة الثانية فيتوهمون ويتهمون الحياة المسيحية أنها ليست سوى مجموعة قواعد وفرائض وأنظمة جامدة وسنن صارمة. هو الشيطان يدس هذا الوهم الكاذب في عقول البشر. ونحن نعلم أن الحياة المسيحية ليست سلسلة نواهي بل سلسلة أوامر إيجابية. المسيحي محور حياته، بل أساسها، بل غايتها المسيح. فكيف يهتم بالعالم وأموره!.

هب أن أحدهم يقدّم لك صحناً من المجدرة بعد أن تناولت طبقاً شهياً من الدجاج المحمر أفلا تشكره معتذراً لأن معدتك ممتلئة ولا تتسع المزيد؟! هكذا أيضاً في الحياة المسيحية؛ فأنت شبعان من لذائذ المسيح وطيباته حتى لم يعد في نفسك مكان لهذا العالم وملذاته الخاطئة الشريرة.

يقول الدكتور جريفث توماس (Griffith Thomas):"بين عناصر الحياة اليومية أمور ليست خطيئات بحد ذاتها، لكنها تغدو كذلك إذا ما أسيء استعمالها، أي إذا أُفرط في استعمالها. والإفراط في الأمور الشرعية أو الجائزة يضحي شراً. إن الفرح أمر شرعي إذا أستعمل بوجه صحيح لكنه يصبح غير شرعي إذا أفرط في استعماله. والطموح هو من دلائل العزم ومن مقومات الشخصية الصحيحة ولكن يجب أن يكون هدفه نبيلاً وينبغي أن يمارس بمقدار ملائم. كذلك أشغالنا اليومية والمطالعة والملابس وغيرها من مظاهر الحياة، كلها أمور شرعية وضرورية؛ ولكن ما أسهل ما تصبح أموراً ضارة غير شرعية لا لزوم لها. لا بد من الاهتمام بضروريات الحياة ولكن ما أسهل ما يتحول هذا الاهتمام إلى قلق! وعندئذ- كما قال المسيح- تخنق هموم هذه الحياة البذار الروحي في قلب المؤمن. المال ضروري في حياتنا اليومية ولكن الاهتمام بربح المال سرعان ما يتحول إلى محبة المال فيتسلل غرور الغنى إلى الحياة الروحية ويفسدها! .

" لا تحبوا العالم ولا الأشياء التي في العالم"[١٦٦]. لأن " العالم يمضي وشهوته وأما الذي يصنع مشيئة الله فيثبت إلى الأبد"[١٦٧]. يسألني كثير من الشباب: " هل هذا الأمر خطأ؟ هل فعل ذاك الأمر خطيئة؟- يسهل جداً، في تسعين بالمئة من هذه الأسئلة، أن نجاوب عنها إذا وجهنا لأنفسنا بروح الصلاة السؤال على الوجه التالي: " ماذا يريد يسوع المسيح أن أفعل؟ هل أستطيع أن أطلب بركة المسيح على هذا الأمر؟ ما هي نظرة المسيح إلى كتبي ورفقائي وبرامج الإذاعة التي أصغي إليها ووسائل التسلية التي استعملها؟" عندئذ لا مجال للمساومة أو المناقشة إذ يجب أن نقف في جانب المسيح.

نرى كثيرين من المسيحيين يسيرون مع العالم يداً بيد بحيث لا نستطيع أن نميزهم عن أهل العالم. والحال أن المسيحي في مجتمعه يجب أن يتألق بالفضائل والخصال الحسنة كما

---

[١٦٦]- يوحنا ٢: ١٥
[١٦٧]- ١ يوحنا ٢: ١٧

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

تتألق الماسة الوهاجة، ويجب أن يتصف بالاتزان الخلقي، وبالحزم في ما يفعله أو يتجنبه. جدير به أن يكون مشرق الابتسامة، ولكن عليه أن لا يسمح للعالم أن يحطه إلى مستواه.

يقول الكتاب المقدس أن "كل ما ليس من الإيمان فهو خطية"[١٦٨]. ويقول أيضاً أنه لا يجوز لأحد أن يفعل شيئاً وهو في حالة الارتياب. ينبغي أن يتأكد من صحة الشيء ثم يقدم على فعله. وخير خطة نتبعها كلما شككنا في أمرٍ ما هي أن لا نفعله (طالع الرسالة إلى أهل رومية الاصحاح ١٤).

ثالثاً: شهوة الجسد. ويعني الجسد ذلك الاتجاه الشرير للذات الباطنية. فقد تعود إليك النزاعات القديمة أحياناً حتى بعد التحول؛ وتتملكك الدهشة من أين تعود هذه النزاعات. ويعلمنا الكتاب المقدس أن الطبيعة القديمة، بفسادها، ما تزال موجودة، وهي مصدر هذه التجارب الشريرة التي تهاجمك. وهكذا تنجلي لك حقيقة الصراع القائم في داخلك بين طبيعتين تتصارعان وكل منهما تسعى لإحراز الغلبة.

يقول الكتاب المقدس "إن الجسد يشتهي ضد الروح والروح ضد الجسد"[١٦٩]. فالطبيعة القديمة لا تستطيع أن ترضي الله ولا يمكن أن تُصلَح أو "ترقع"؛ ولكن شكراً لله لأن طبيعتنا قد صلبت مع المسيح. ولذلك يمكننا الآن أن نحسب أنفسنا "أمواتاً عن الخطية ولكن أحياءً لله بالمسيح يسوع ربنا"[١٧٠]. وهذا كله يتم بالإيمان.

هنا أيضاً ينبغي أن نميز بين استعمال الشيء والإفراط في استعماله، بين ما هو شرعي وما هو غير شرعي. بعض الرغبات فينا آثمة وبعضها جيدة. ويعرّف جريفث توماس الشهوة بقوله: "إنها الرغبة العارمة" الشديدة. فليس من الضروري أن تعني "الرغبة الآثمة" لأن ثمة شهوات فيزيولوجية نشارك بها الحيوان، كالعطش والجوع، ليست رغبات آثمة بحد ذاتها بل هي رغبات طبيعية؛ ولكن إساءة استعمال هذه الرغبات تجعلها آثمة شريرة. فالجوع مثلاً شهوة طبيعية لكن النهم شهوة آثمة. والعطش شهوة طبيعية لكن الإدمان شهوة آثمة. والزواج مطابق لإرادة الله ونواميس الطبيعة البشرية، أما الزنى فهو معاكس لإرادة الله وهو خطية. إلا هنالك رغبات أخرى كالحقد والبغضاء، هي بالأصل رغبات آثمة شريرة. إذاً ينبغي علينا أن نميز بالدقة بين الشهوة التي ليست إلا رغبة شديدة والشهوة التي هي رغبة آثمة. وتعتبر خطيئات الجسد من بعض النواحي أفظع الخطيئات لأنها تعبر عن حنين طبيعتنا البشرية إلى الشر. ولكن لا إبليس ولا العالم حتى ولا قلبنا الشرير يستطيع إرغامنا على الخطية. فهذه لا تحصل إلا عندما نختار الشر بملء المعرفة والإرادة. يقول

---

[١٦٨]- رومية ١٤: ٢٣
[١٦٩]- غلاطية ٥: ١٧
[١٧٠]- رومية ٦: ١١

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

بولس: "لا تصنعوا تدبيراً للجسد لأجل الشهوات"[١٧١]. ويقول أيضاً: "اقمع جسدي"[١٧٢]. فينبغي علينا إذاً أن نسلم أنفسنا لله إلى هذا الحد أننا نستطيع أن نقول: أننا نحسب أن طبيعتنا القديمة قد ماتت عن الخطيئة.

فأعداؤنا الثلاثة هم: الشيطان والعالم والجسد؛ ويتلخص موقفنا منهم بكلمة واحدة هي: النبذ. لا مجال للمساومة أو المسايرة أو التردد. وإن نبذ هؤلاء الأعداء نبذاً مطلقاً هو سبيل المسيحي إلى النصرة الكاملة. أما الشيطان فلا نستطيع مقاومته ما لم نخضع لله خضوعاً كاملاً. أما العالم فنغلبه بإيماننا: "هذه هي الغلبة التي تغلب العالم إيماننا"[١٧٣]. أما عن الجسد فيقول لنا الكتاب المقدس: "اسلكوا بالروح فلا تكمّلوا شهوة الجسد"[١٧٤].

ولا ينبغي أن يتطرق إلى قلبك الفشل أمام خطورة هؤلاء الأعداء وشراستهم لأنك لست وحيداً في المعركة. إنك تستطيع - بمساعدة الروح - أن تميت أعمال الجسد (رومية ٨: ١٣). تذكر أن يسوع قد وعدنا بأنه لن يتركنا وبأنه سيرسل معزياً (ومعناه الذي يساعد ويعين ويهتم بنا) ليمكث معنا إلى الأبد: " لا أترككم يتامى. إني آتي إليكم"[١٧٥]. فكأنه يقول: إني آتي إليكم في شخص المعزي، الروح القدس الذي أنا مرسله إليكم.

إن الروح القدس هو أقوى كائن في عالمنا اليوم. لقد كان زمن العهد القديم عصر الله الآب، وكان زمن وجود الرب يسوع المسيح على الأرض عصر الله الابن؛ ونحن- منذ يوم الخمسين - نعيش في عصر الله الروح القدس.

يتخذ الروح القدس مقره في قلبك حالما تقبل الرب يسوع مخلصاً لك فيصبح جسدك هيكلاً للروح القدس[١٧٦]. وإذا كنا نملك روح المسيح فنحن لسنا لأنفسنا: "إن كان أحد ليس له روح المسيح فذلك ليس له"[١٧٧].

لكنك تقول: "إنني لا أشعر بشيء في قلبي. إنني لا أشعر بالروح القدس فيّ" فأجيبك: دع المشاعر جانباً ولا تعتمد عليها. فأنت لم تخلص بالمشاعر بل بالإيمان. فسواء شعرت أم لم تشعر بوجود الروح القدس في داخلك، فاقبل ذلك بالإيمان كحقيقة ثابتة مسلّم بها. فالروح القدس هو فيك يعينك لتحيا الحياة المسيحية. وهو فيك لكي يتعظم ويتمجد المسيح في حياتك، ولكي تستطيع أن تحيا حياة سعيدة منتصرة مجيدة.

---

[١٧١]- رومية ١٣: ١٤
[١٧٢]- ١ كورنثوس ٩: ٢٧
[١٧٣]- ١ يوحنا ٥: ٤
[١٧٤]- غلاطية ٥: ١٦
[١٧٥]- يوحنا ١٤: ١٦ و١٨
[١٧٦]- ١ كورنثوس ٦: ١٩
[١٧٧]- رومية ٨: ٩

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

يأمرنا الكتاب قائلاً: "امتلئوا بالروح"[١٧٨]. إذا كنت ممتلئاً بالروح القدس فستأتي بثمر الروح الذي هو محبة فرح سلام طول أناة لطف صلاح إيمان وداعة تعفف[١٧٩]. ليس الامتلاء بالروح مسألة اختيارية. لقد أُمرنا بذلك أمراً، فينبغي أن نمتثل هذا الأمر.

ولكن كيف تعرف أنك ممتلئ بالروح القدس؟ كيف السبيل إلى الامتلاء؟ وهل ثمة اختبارات عاطفية بها يجب أن تمر؟- كلا. ولكنك، عندما تتطهر من كل خطية معروفة وتستسلم تمتماً للمسيح، فآنئذ يمكنك أن تقبل بالإيمان أنك قد امتلأت بروح الله. الامتلاء بالروح معناه أنك تتسلّم له كل شيء وأنه لا يوجد شيء آخر في قلبك سواه. إن التكريس هو الاستسلام التام، المطلق: " أطلب إليكم أيها الأخوة برأفة الله أن تقدموا أجسادكم ذبيحة حية مقدسة مرضية عند الله"[١٨٠].

لا يستطيع أن يحرز غلبة كاملة على العالم والجسد والشيطان إلا المسيحي المكرّس تكريساً تاماً والممتلئ بالروح القدس، لأن الروح القدس هو الذي سيقاتل عنه: " إن مصارعتنا ليست مع دم ولحم بل مع الرؤساء مع السلاطين مع ولاة العالم على ظلمة هذا الدهر مع أجناد الشر الروحية في السماويات"[١٨١]. فحربنا إذاً حرب روحية لا نستطيع أن نخوضها ضد أعدائنا الأقوياء بأسلحتنا الجسدية الضعيفة؛ لكننا عندما نصبح أدوات طيعة في يد الروح القدس وندَعُه يقاتل عنا فسوف نحرز النصر الكامل. فسلّم المسيح أمورك وحياتك وذاتك تسليماً كاملاً، وليكن هو السيد والرب في حياتك كما قال: "أنتم تدعونني معلماً وسيداً وحسناً تقولون لأني أنا كذلك"[١٨٢].

كان صبي ذات يوم يلهو بمزهرية غالية الثمن. وإذ كان عنقها ضيقاً علقت يده فيها ولم يتمكن من إخراجها. وحاول والده أن يساعده فلم ينجح. فكر الوالد في كسر المزهرية، ولكنه فضّل أن يقوم ابنه بمحاولة أخيرة فقال لابنه: أبسط يدك هكذا ثم اسحبها برفق. لكن الطفل احتج قائلاً: كلا يا والدي لأنني إذا بسطت يدي سقط منها القرش.

ربما تبتسم الآن من تصرف الطفل، ولكنه أليس هذا بالضبط ما نفعله نحن؟ نرفض أن نتخلى عن قرش الدنيا العديمة القيمة وننال التحرر الكامل! ألق القرش إذاً، واستسلم كلياً للمسيح، ودع الله يملك في قلبك فترى أي تغيير رائع وأي تدبير إلهي حكيم سيوجه حياتك كلها.

---

[١٧٨]- أفسس ٥: ١٨
[١٧٩]- غلاطية ٥: ٢٢-٢٣
[١٨٠]- رومية ١٢: ١
[١٨١]- أفسس ٦: ١٢
[١٨٢]- يوحنا ١٣: ١٣

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

واعلم أنك إذا سلّمت قيادة كل شيء للمسيح فلن يرفضك المسيح: " من يُقبل إليّ لا أخرجه خارجاً"[١٨٣].

إن حياتك الموقوفة للمسيح والممتلئة بالروح تتصف بجرأة وشجاعة لم تعهد لهما مثيلاً من قبل. الرجل الممتلئ بالروح يعرف مخافة الله، ولا يعرف سواها. وهو يقف إلى جانب المسيح مناضلاً في سبيله بجرأة وشجاعة خارقتين. تصفّح سفر "أعمال الرسل" وتأمل في شجاعة الرسل وجرأتهم!

الرجل الممتلئ بالروح يحمل ثمر الروح. قلتُ ثمر الروح لأن هذه الأثمار هي للروح وليست أثمارك. ستكون هناك المحبة ملكة الفضائل كلها، تلك المحبة التي أمرنا بها يسوع إذ قال: "هذه هي وصيتي أن تحبوا بعضكم بعضاً كما أحببتكم"[١٨٤].

بهذه المحبة الفائقة الطبيعية ستحب قريبك أياً كان دونما نظر إلى الجنس أو المذهب أو المعتقد السياسي. تزول المرارة والخصام والحسد وتسيطر بدلاً منها المحبة الأخوية.

وسيكون هناك الفرح وهو إحدى الصفات المميزة للمسيحي. مهما عبست الظروف يظل هناك قلب فرح ووجه مشرق. لكن كثيرين من المسيحيين يطلعون على الآخرين بوجوه كئيبة واجمة، وواضح أن وجوه هؤلاء لا تعكس إشراق مجد الله. ومن السهل أن تميز المسيحي الحقيقي المنتصر بمجرد رؤيتك له. لذلك وجب على المسيحي الحقيقي أن يكون متألق الوجه بشراً وفرحاً بحيث يشيع البهجة فيمن يحيطون به. أما يقول الكتاب المقدس "فرح الرب هو قوّتكم"[١٨٥].

وسيكون هناك سلام. قال بولس الرسول بالوحي: " مكتئبين في كل شيء لكن غير متضايقين. متحيرين لكن غير يائسين. مضطهدين لكن غير متروكين. مطروحين لكن غير هالكين"[١٨٦]. وبوسعنا أن نمضي في سرد الفضائل المذكورة في غلاطية (٥: ٢٣، ٢٣) - طول الأناة اللطف الصلاح الإيمان الوداعة التعفف- ونرى كيف تزدهر كل هذه الصفات الرائعة في حياة أولئك الذين استسلموا استسلاماً تاماً وامتلأوا حقاً بالروح القدس.

هلا علمت أيها الأخ الحبيب أن الانتصار هو لك، وأنه من حقوقك البنوية! ليس لك عذر بعد اليوم إن مُنيتَ بأية هزيمة، وبوسعك أن تحيا حياة هنيئة عزيزة جميلة. ستفرح بالنهوض كل صباح لتستقبل يوماً جديداً تعيشه للمسيح. لأن كل يوم سيكون ممتعاً منيراً

---

[١٨٣]- يوحنا ٦: ٣٧
[١٨٤]- يوحنا ١٥: ١٢
[١٨٥]- نحميا ٨: ١٠
[١٨٦]- ٢ كورنثوس ٤: ٨-٩

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

مليئاً بفرض للخدمة وبساعات لذيذة تقضيها مع الله، ومليئاً أيضاً بمعرفتك أنك بصحبة المسيح آمن مطمئن سعيد.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

الفصل الرابع عشر

قواعد الحياة المسيحية

" كما تريدون أن يفعل الناس بكم افعلوا أنتم أيضاً بهم هكذا "

(لوقا ٦: ٣١)

الحياة المسيحية نموّ مستمر. بالولادة الثانية ولدت في العالم الروحي، وأصبحت طفلاً في عائلة الله. وإرادة الله هي أن تنمو روحياً إلى مستوى الكمال والنضوج في المسيح. أما أن تبقى طفلاً أو "قزماً" في حياتك الروحية فأمرٌ منافٍ لناموس الله وناموس الطبيعة. لذلك يطلب منا الكتاب المقدس أن ننمو (١ بطرس ٣: ١٨) نمواً مستمراً في المعرفة والحكمة. ولا يد لك من مراعاة بعض القواعد التي بها ومعها يتوفر لك هذا النمو المتزايد بصورة مطرّدة.

أولاً: قراءة الكتاب المقدس يومياً. إن حياتك الروحية بحاجة إلى غذاء روحي تجده في الكتاب المقدس كلمة الله. محور الكتاب المقدس هو المسيح الذي هو خبز الحياة للنفوس الجائعة وماء الحياة للقلوب الظمأى. فإذا أغفلت أن تأخذ قسطك اليومي من الغذاء الروحي فستجوع وسرعان ما يحل بك الهزال وتفقد حيويتك الروحية. يقول الكتاب المقدس: " اشتهوا اللبن العقلي (الروحي) العديم الغش لكي تنموا به"[١٨٧]. فاقرأ الكتاب المقدس وادرسه وتأمل به واحفظه غيباً. إن معظم المشاكل التي يتعرض لها المسيحي مردّها إلى تقصيره في درس الكتاب المقدس وقراءته.

لا تقتصر على تصفح فصل من الفصول لترفع اللوم عن ضميرك؛ بل أَخبئ كلمة الله في قلبك. فقرة صغيرة تفهمها وتتمثلها أفضل لك من أسفار كاملة تمر بها سطحياً عجلاً. ولا تفشل إذا كنت لا تفهم جميع ما تقرأ. في البداية اختر لقراءتك أقساماً سهلة الفهم. ماذا تقدم للطفل الرضيع أسمكاً مشوياً أم لبناً؟

أقترح عليك أن تبدأ بقراءة بشارة يوحنا. والروح القدس سينيرك ويوضح لك المعاني الغامضة والكلمات العسيرة. عليك أن تستمر في القراءة وإن كان يصعب عليك أن تتذكر أو تستوعب كل ما تقرأه، لأن ممارسة القراءة من شأنها تنقية الذهن والقلب وتصفيتهما. وإياك أن تسمح لشيء آخر أن يحل محل هذه القراءة اليومية.

[١٨٧]- ١ بطرس ٢: ٢

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

ثانياً: الصلاة. لك الآن آب سماوي وهو يسمع الصلوات ويستجيبها. قال يسوع "إن سألتم شيئاً باسمي فإني أفعله"[١٨٨]. وقال أيضاً: "كل ما تطلبونه في الصلاة مؤمنين تنالونه"[١٨٩]. إن جميع الرجال الذين استطاعوا أن يخدموا الكنيسة وملكوت الله كانوا رجال صلاة. ولا يجب أن تصرفك كثرة الأشغال عن ممارسة الصلاة، بئس المسيحي الذي لا يصلي! قضى المسيح أوقاتاً طويلة في الصلاة، وأحيى ليالي بكاملها على الجبل في شركة مع الله أبيه. فإذا كان المسيح قد شعر بحاجة للصلاة فبالأولى كثيراً نحن.

ربما كان في صلواتك في أول الأمر لعثمة وتردد وارتباك. ولكن الروح القدس الماكث فيك سيعينك ويعلّمك. إن كل صلاة ترفعها إلى الله سوف تلقى جواباً: قد يكون الجواب أحياناً "لا" وأحياناً "انتظر"، ولكن سيكون دائماً جواب. وما أجدر الصلاة بأن ترفق دائماً بهذا الشرط "لتكن مشيئتك"! يقول المرنم الإلهي: "تلذّذ بالرب فيعطيك سؤال قلبك"[١٩٠]أي يجب أولاً أن نتلذذ بالرب، وبعد ذلك ننال رغبات قلوبنا.

تستطيع أن تصلي في أي زمن وفي أي مكان- في المتجر أو المدرسة أو المكتب.

اتخذ لنفسك طريقة منظمة في الصلاة. إن الصلاة إذا قرنت بدرس الكتاب المقدس تشكل دعامة قوية للحياة المسيحية. يأمرنا الكتاب "صلوا بلا انقطاع"[١٩١]. إذا خصصت كل يوم فترات معينة للصلاة، فستُشبَع حياتك بروح الصلاة طوال اليوم.

أما الشيطان فسيهاجمك ليصرفك عن الصلاة، وذلك بشتى الوسائل: من صراخ طفل وبكائه، إلى قرع على الباب، إلى رنة جرس الهاتف الخ. ولكن لا تبالِ، بل أمض في صلاتك قدماً فتتبين عاجلاً أن هذه الفترات المخصصة للصلاة هي أعظم متعة في حياتك، وتتطلع إليها بشوق بل بلهف. وكم تضحي الحياة جافة فاشلة عقيمة بدون هذه الفترات المخصصة للصلاة في كل يوم في أوقات معينة محددة! وبدون المواظبة على الصلاة كيف تنعم بالسلام الباطني الذي يريد الله أن يشيعه فيك؟

ثالثاً: الاعتماد دائماً على الروح القدس. لا تنس أن المسيح يمكث فيك بالروح القدس وأن جسدك أصبح مسكناً وهيكلاً للروح القدس. حين تطلب معونته لا تخاطبه كما يخاطب الخادم، بل دعه يتسلم زمام حياتك ويسيّرها وفق ما يشاء. اعترف له بضعفك وارتباكك. استرح في السفينة ودعه يتسلم دفتها. ألا تغدو إدارة الدفة أمراً مزعجاً عسيراً عليه إذا ما حاولت أن تحشر نفسك في الوسط. عليك فقط أن تستريح في الرب وتطرح عنك جميع أسباب التوتر والقلق وتتكل عليه بصورة كلية. لا تجعل نفسك فريسة للحيرة والقلق عندما

---

[١٨٨]- يوحنا ١٤: ١٤
[١٨٩]- متى ٢١: ٢٢
[١٩٠]- مزمور ٣٧: ٤
[١٩١]- ١ تسالونيكي ٥: ١٧

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

تأتي إلى القرارات الهامة بل دعه يجزم في تلك القرارات بدلاً عنك. لا تقلق بشأن الغد لأنه رب الغد وهو يرى نهاية الأمور من أولها. اعتمد على الروح القدس اعتماداً كلياً فتنحل جميع مشاكلك واضطراباتك.

رابعاً: المواظبة على الحضور إلى الكنيسة. قال جون وسلي: "مسيحية انعزالية ليست

مسيحية كتابية". فالمسيحية ديانة اشتراك ومشاركة. وإذا تذكرنا أن اتباع يسوع إنما يعني المحبة والاستقامة والخدمة أدركنا أنه لا يمكن الوصول إليها وممارستها إلا في مجال العلاقات الاجتماعية. والكنيسة هي المجال الذي تتوفر فيه هذه العلاقات، لأن الكنيسة بالحقيقة منظمة المسيح التي أسسها على الأرض. في الكنيسة نعبد الله ونتعلم كلمته ونشارك أخوتنا المسيحيين. يطلق عليها الكتاب المقدس ألقاباً متنوعة فهي "أمة مقدسة" و "شعب الله" و"أهل بيت الله" و"هيكل مقدس في الرب" و"مسكن الله بالروح" و"جسد المسيح".

المسيحي الحقيقي لا يتذرع بأعذار واهية - كهطول المطر أو نزول الثلج أو اشتداد الحر - ليتغيب عن حضور الخدمات في الكنيسة، لأن ذلك لا يليق بأتباع المسيح الأمناء.

يزعم البعض أنهم يعبدون الله في بيوتهم بالروح والحق، فلا داعي لذهابهم إلى الكنيسة. ولكن هؤلاء ينسون أو يتناسون أن الله مبدع الأجساد والعقول والأرواح، فيحق أن تُشرَك هذه جميعها في تقديم السجود والعبادة له. وثمة آخرون يقولون أنّهم يفضلون البقاء في البيت لاستماع عظة ينقلها المذياع فذلك، في رأيهم، يعدل الذهاب إلى الكنيسة. لكنهم مخطئون، فليست الغاية من الذهاب إلى الكنيسة مجرد سماع العظة بل هي مشاركة باقي المسيحيين في عبادة الله وخدمته.

ولن يتسنى لك أن تكون مسيحياً سعيداً موفقاً إذا لم تشترك بانتظام في العبادة الجمهورية في الكنيسة. ففي الكنيسة تجد مكانك الصحيح في مجال الخدمة. ولا تنس أنك خلصت لتخدم. فالمسيحي النشيط في خدمته هو المسيحي السعيد في حياته.

خامساً: الشهادة. إذا كنت تراعي القواعد إلا ربع السابقة تكون حياتك شهادة للمسيح. إن الكأس التي تمتلئ باستمرار تطفح باستمرار أيضاً. إنك الآن سفير لملك الملوك ويجب أن ترفع دائماً علم ملكك عالياً. إذا لم تجعل علم المسيح يخفق عالياً في مكتبك ومكان عملك وبيتك وكل مكان تكون فيه فلست جديراً بأن تكون سفيراً للمسيح. يجب عليك أن تقف إلى جانب المسيح فيعلم جميع الذين من حولك أنك مسيحي. إذاً عليك أن تشهد للمسيح.

وتشهد للمسيح بحياتك وبكلامك، ليس بإحداهما بل بالاثنتين معاً. إن الله يريدنا أن نشهد ونخبر بعمل نعمته المخلّصة. فيجب أن نكون جنوداً على أهبة الاستعداد.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

قال يسوع: "كل من يعترف بي قدام الناس أعترف أنا أيضاً به قدام أبي الذي في السماوات"[١٩٢]. ويصور لنا كتاب أعمال الرسل (٢٨: ٢٤) مشهداً رائعاً نرى فيه بولس يبشر جميع زائريه منذ مطلع الصباح حتى حلول المساء. يجب أن نكون بحيث يقال عن كلٍ منا كل يوم: "هوذا الزارع قد خرج ليزرع"[١٩٣].

ماذا يُطلب من ساعي البريد المكلف بحمل البرقيات إلا أن ينقل البرقية من مكتب البرق إلى صاحبها. وإن حوت البرقية أنباءً سيئة مؤسية فلا يمكنه أن يقف في الطريق ليبدل بعض محتوياتها، لأن واجبه ينحصر في نقل البرقية وإيصالها. وما أشبهنا نحن المسيحيين بساعي البريد! فنحن أيضاً لدينا رسالة؛ ورسالتنا هي كلمة الله. لقد أمرنا قائدنا العظيم: اذهبوا واحملوا هذه الرسالة إلى العالم المائت. ولكن هناك من يتغافلون عن أداء هذه الرسالة؛ وهناك من يمزّقون الرسالة ويلحقون بها تغييراً وتزييفاً، أو يؤولونها وفق أفكار قلوبهم ونظريات عقولهم... إن الرسول بولس وجّه منذ عشرين قرناً نداء إلى المسيحيين يحضهم أن يكرزوا بالكلمة وينادوا بها. فلنتذكر أننا مكلفون ببذر البذار. صحيح أن بعضاً منه سيسقط فوق الدروب المطروقة وبعض بين الأشواك. ولكن واجبنا يقضي علينا بأن نستمر في بذر البذار، سواء بدت التربة مشجعة أو غير مشجعة. إننا نحمل مشعلاً فعلينا أن نرفعه عالياً لينير في وسط الظلام الشامل. إننا ننفخ بوقاً في ساحة المعركة: ربما يبدو لنا أن صوته يضيع بين ضجيج القتال وقعقعة السلاح؛ لكن من الواجب علينا أن نستمر في نفخ البوق لتنبيه الذين هم في خطر. إننا نوقد ناراً، وقد نحسب أن هذا اللهيب الضئيل لن يفلح في تدفئة العالم المتجلد ببرودة البغضاء والأنانية؛ غير أن نارنا يجب أن تظل متقدة باستمرار. إننا كمن يضرب بمطرقة. قد تكون الضربات مؤلمة لأيدينا ولكن علينا أن نستمر في الضرب. نحن كمن يضرب بالسيف. فيجب أن نستمر في ضرب صفوف الأعداء. ولا يليق أن نرمي سيفنا جانباً لأن سيفنا هو "سيف الروح". إننا نملك الخبز لعالم جائع، فلنستمر في إعطاء هذا الخبز الذي هو خبز الحياة ولو بدا أن الناس مشغولون بأشياء أخرى عن التغذي به. نحن نملك الماء الذي يروي العطاش، فينبغي أن نصرخ: هلمّوا أيها العطاش إلى ماء الحياة واشربوا.

سبق أن قال لنا يسوع أن بعضاً من البذار الذي نبذره سوف يلقى تربة خصبة يُنتش فيها وينمو ويحمل أجود الثمرات. فالنار التي يلتهب بها قلبك وشفتاك، سوف تضرم شعلة مقدسة في قلوب حجرة متجمدة وتربحها للمسيح. والمطرقة التي بيدك سوف تحطم قلوباً قاسية حتى تتوب إلى الله. والسيف (سيف الروح) سوف يخرق دروع الخطيئة ويحطم كل بر ذاتي وكبرياء ويفتح القلوب لدخول روح الله إليها. ولا بد أن يلقى خبز الحياة وماء الحياة نفوساً جائعة تقبل عليهما فتشبع وترتوي. كن إذاً رابح نفوس. لقد وهبني الله أن آتي

---

[١٩٢] - متى ١٠: ٣٢
[١٩٣] - متى ١٣: ٤

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

بالكثيرين إلى معرفة الخلاص الذي بيسوع المسيح. وفي كل مرة ترتفع يد معلنة "إنني قبلت المسيح الذي تنادي به" يهتز كياني جذلاً وغبطة. وما من سعادة أو اختبار أو مغامرة عاطفية يمكن أن تقارن بروعة ربح شخص آخر للمسيح؛ فكن رابح نفوس وكن شاهداً أميناً.

يقول الكتاب المقدس "رابح النفوس حكيم"[١٩٤]ويقول أيضاً "الذين ردوا كثيرين إلى البر كالكواكب"[١٩٥] وأيضاً "أنتم ملح الأرض"[١٩٦]. إن الملح يعطّش، فهل حياتك تعطّش الآخرين إلى ماء الحياة؟.

سادساً: لتكن المحبة المبدأ المسيطر في حياتك. قال يسوع لتلاميذه: "بهذا يعرف الجميع أنكم تلاميذي إن كان لكم حب بعضاً لبعض"[١٩٧]. ويوصي الرسول يوحنا قائلاً: "أيها الأحباء لنحب بعضنا بعضاً لأن المحبة هي من الله وكل من يحب فقد وُلد من الله ويعرف الله. ومن لا يحب لم يعرف الله لأن الله محبة. وبهذا أُظهرت محبة الله فينا أن الله قد أرسل ابنه الوحيد إلى العالم لكي يحيا به. في هذا هي المحبة ليس أننا نحن أحببنا الله بل أنه هو أحبنا وأرسل ابنه كفارة لخطايانا"[١٩٨]. إن المحبة لهي أعظم الهبات التي يقدمها الله لأولاده، كما أنها باكورة ثمر الروح القدس.

يجب على أَتباع يسوع أن يحبوا بعضهم بعضاً كما أحبهم الله إذ أرسل ابنه الوحيد ليموت عنهم على الصليب. ويقول لنا الكتاب أننا حينما نأتي إلى المسيح يمنحنا مثل هذه المحبة الفائقة الطبيعية التي تنسكب في قلوبنا بواسطة الروح القدس. وأجلى برهان على أننا مسيحيون هو أن نحب بعضنا بعضاً. فإذا تعلمت هذا السر الإلهي منذ مطلع حياتك المسيحية تكون قد قطعت شوطاً بعيداً في سيرك نحو الحياة المسيحية الكاملة السعيدة.

سابعاً: تعلم كيف تقاوم التجربة. إن التجربة- كما رأينا- أمر طبيعي؛ وهي ليست خطية وإنما الاستسلام لها خطية. وهي ليست من عمل الله بل من عمل الشيطان، ولكن الله يسمح بها.

وإحدى طرق مقاومة التجربة أن تجابه الشيطان بآية من الكتاب المقدس كما فعل الرب يسوع فترى أن العدو يولي الادبار هارباً لأنه لا يطيق سماع كلمة الله. "لأنه مكتوب": بهذا السلاح هزم يسوع الشيطان شر هزيمة! وفي نفس الوقت دع يسوع يحارب

---

[١٩٤] - أمثال ١١: ٣٠
[١٩٥]- دانيال ١٢: ٣
[١٩٦]- متى ٥: ١٣
[١٩٧]- يوحنا ١٣: ٣٥
[١٩٨]- يوحنا ٤: ٧-١٠

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

عنك بالروح القدس. ما أجمل أن تحذو حذو تلك الطفلة التي قالت "كلما سمعت الشيطان يقرع بابي أسأل الرب يسوع أن يمضي إلى الباب لمواجهته".

جميع الناس تصيبهم التجارب، لكن البعض يهشون لها ويسايرونها وكأنهم يبتهجون بها. اطرد فأرة بمكنسة فهل تظل في مكانها تنظر إلى المكنسة أم تهرب مفتشة عن ثقب تأوي إليه؟ لا تنظر إلى التجربة متفرجاً بل ركّز بصرك أبداً على يسوع.

ثامناً: الطاعة. اترك للمسيح المكانة الأولى في جميع قراراتك. ليكن هو السيد والمعلم. ليكن هو ربّان سفينتك ومتسلم دفة حياتك كلها.

سألت أحد الضباط ماذا يفضل في ساحة المعركة الطاعة أو الشجاعة، فأجاب فوراً: الطاعة. إن الله يفضل طاعتك على كل أمرٍ كيف تطيع إذا كنت لا تعرف أوامر الله؟ فعليك إذاً أن تعكف على قراءة الكتاب المقدس ودرسه لأنه بوصلة حياتك ودستورها. امتثل ما يأمرك الله به.

تاسعاً: الاتزان. قيل: إن بعض المسيحيين سماويون في تفكيرهم لدرجة أنهم لا يصلحون للحياة على الأرض. صحيح أن الكتاب المقدس يحضنا على الانفصال عن الخطية. لكننا لا نجد فيه آية تحثنا على الظهور بمظهر شاذ غير عادي. يجب أن نكون فرحين شهاماً لطفاء صحاح الجسم والعقل متزنين. أما معاشرات السوء والمزاج البذيء والمحادثات القبيحة والتسليات المشبوهة فينبغي أن نهرب منها هربنا من الأفاعي السامة. يجب أن يكون مظهرنا نظيفاً مرتباً جذاباً، ولكن لنحذر في هذا كما في كل شيء التطرف والإفراط. وعلينا أن نحاول جهدنا أن نكون مثاليين بحيث يرى الآخرون الإنجيل من خلال حياتنا وينجذبون إليه.

عاشراً: كن سيد ظروفك. لقد جعلك الله كما أنت، ووضعك في المكان الذي أنت فيه لكي تخدمه كما أنت وفي المكان الذي أنت فيه لكي تخدمه كما أنت وفي المكان الذي أنت فيه. قال بولس الرسول: "لست أحتسب لشيء ولا نفسي ثمينة عندي حتى أتمم بفرحٍ سعيي" (أعمال ٢٠: ٢٤). وقال أيضاً: "قد تدربتُ أن أشبع وأن أجوع وأن أستفضل وأن أنقص" (فيلبي ٤: ١٢). تعلّم بولس كيف يعيش في سعة وحرمان، كيف يعيش مسيحياً حتى في السجن. فلا تدع ظروف الحياة تسيطر عليك بل حلّق واسمُ فوقها.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

قواعد قد تبدو لك بسيطة، ولكن ثابر عليها فتضمن النجاح. لقد اختبرتها في حياتي الشخصية وفي حياة آلاف من الناس. حافظ عليها تحصل على سلام النفس وسعادة القلب وسلام الفكر، وتدرك سر الحياة السعيدة.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

الفصل الخامس عشر

المسيحي والكنيسة

"فيه أنتم أيضاً مبنيون معاً مسكناً لله في الروح"

(أفسس ٢: ٢٢)

الإنسان مخلوق اجتماعي يشعر بالطمأنينة الكاملة في صحبة أمثاله الذين يشاركونه في العادات والميول. وإذا استعرضنا شتى أنواع المجموعات التي عرفها الجنس البشري، من عشائر وقبائل ومنظمات ومؤسسات، فإن التاريخ يؤكد لنا أنه ليس بين تلك المجتمعات كلها ما يماثل الكنيسة قوة وانتشاراً وشمولاً.

في العصور القديمة تجمع البشر لتأمين الحماية المتبادلة؛ ثم تعلموا أن يتكاتفوا لتأمين المنفعة المتبادلة والمتعة. ومع تقدم الحضارة برزت إلى الوجود مجتمعات سرية تضم أعضاء منحتهم مزية "المفرزين" أي أنهم مميزون عن غيرهم ممن ليسوا أعضاء فيها. وتبعاً لذلك وضعت تلك المجتمعات إيماناً خاصة وطقوساً ونواميس اكتسبت أهمية كبرى...

كذلك قامت جماعات وطنية أو عرقية؛ واقتصرت عضويتها على أولئك الذين تضمهم وحدة الأصل والمنبت، أو يجمع بينهم الولاء لعلم واحد. كما قامت النوادي وجمعيات الطلبة والمحافل والجمعيات المختلفة والأحزاب السياسية والمنظمات العسكرية. وكل هذه الجماعات تعبّر عن حاجة الإنسان إلى توفير التشجيع واليقين لنفسه في صحبة من ينهجون نهجه في الحياة. إلا أن الإنسان لم يجد الراحة والسلام في أي مكان مثلما وجدهما في الكنيسة، لأن جميع المجموعات الأخرى هي من وحي الإنسان، وهي ترسم حدوداً مصطنعة، وتعلّل بحماية زائفة، بينما الكنيسة منظمة حية نابضة بالحياة تستمد قوتها من ذاتها.

إن كلمة "Eeelesia" يونانية الأصل معناها "المدعوون للاعتزال" أو "المدعوون للخروج عن" أو "جماعة من الناس". ومع أن كلمة كنيسة أصبحت مسيحية صرفة، إلا أنها وجدت قبل المسيحية. فقد كانت تطلق في العالم اليوناني على مجموع المواطنين في المدينة الحرة؛ كذلك كانت تطلق على كل فريق من المواطنين يدعى للاشتراك في اتخاذ القرارات في المناقشات العامة. وقد استعملت أيضاً في العهد القديم للدلالة على "جماعة" الشعب المختار. وهكذا نجد استفانوس في سفر أعمال الرسل (٧: ٣٨) يستعملها في معرض كلامه عن موسى وشعبه في البرية. فيتضح إذاً أن كلمة "كنيسة" كانت في القرن الأول ذات دلالة

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

مضاعفة: فهي تمثل بالنسبة لليونانيين المجتمع الديمقراطي الذي يحكم نفسه بنفسه، وهي تمثل بالنسبة لليهود المجتمع الثيوقراطي (مجتمع يتولى إدارة شؤونه رجال الدين) وأفراد هذا المجتمع هم رعايا الله.

ويسوع أول من استعمل كلمة "الكنيسة" للدلالة على المجتمع المسيحي، حيث خاطب بطرس قائلاً: "على هذه الصخرة أبني كنيستي وأبواب الجحيم لن تقوى عليها"[١٩٩]. فيسوع المسيح نفسه هو إذن مؤسس الكنيسة، وهو حجر الزاوية الذي يرتكز عليه كل اختبار مسيحي، والكنيسة مؤسسة عليه إذ "لا يستطيع أحد أن يضع أساساً آخر غير الذي وُضع الذي هو يسوع المسيح"[٢٠٠]. إن يسوع هو مؤسس الكنيسة وبانيها، لذلك فهي له دون سواه. وعد بأن يكون مع الكنيسة وفي كل واحد من أعضائها. فليست الكنيسة منظمة من المنظمات ولكنها جسم حي فريد من نوعه: لأن الله نفسه يحيا مع كل عضو من أعضائها وفي كل منهم.

لا يوجد بالحقيقة سوى كنيسة واحدة، ومع ذلك فيمكن أن توجد كنائس متعددة محلية كما يمكن أن تتشعّب هذه الكنائس تبعاً للفوارق اللاهوتية أو القومية. ولكن مهما كثرت هذه الفروع والتشعبات في الكنيسة، فلنا جميعاً وفق تعاليم العهد الجديد "رب واحد".

إن يسوع المسيح هو رأس هذه الكنيسة الجامعة الشاملة. منه ينبغي أن ينبثق كل نشاط وكل تعليم في الكنيسة لأنه هو ينبوع الاختبار المسيحي جميعه. وإيضاحاً للموضوع نأتي ببعض المقارنات. هاك مثلاً مصلحة الهاتف: ففيها مركز الهاتف ترِدُ إليه جميع الشبكات والخطوط، وتمر منه جميع الاتصالات الهاتفية. ودونك مثالاً آخر وهو المحطة المركزية للسكك الحديدية: فمنها تصدر جميع الأوامر التي تنظم سير القطارات. ولنأخذ مثلاً آخر من الجيش: فثمة قائد عام للعمليات يصدر أوامره إلى الذين تحت قيادته. صحيح أن هؤلاء الأدنى رتبةً يستطيعون أن ينفذوا أوامره بشيء من حرية التصرف، ولكن تلك الأوامر تظل المحور الرئيسي الذي تدور حوله خططهم.

ويمثل يسوع المسيح في الكنيسة دور القائد العام. فوجود الكنيسة منبثق من أوامره، وقوتها مستمدة منه مباشرة، وعلى الفروع والتشعبات أن تتقيد بأوامر القائد العام. إن يسوع يتطلب ويتوقع أن يقوم كل عضو من أعضاء الكنيسة بتنفيذ تعليماته بحذافيرها.

لنلق نظرة على "قوانين الإيمان" عند مختلف الطوائف المسيحية فنقتنع بأن العقائد، من الناحية الأساسية والتاريخية، متماثلة متطابقة. وهي وإن اختلفت في مجال الطقوس والعشائر، أو احتدمت بينها المناقشات اللاهوتية، لكنها تبقى متماثلة في نقاطها الأساسية إذ

---

[١٩٩] - متى ١٦: ١٨

[٢٠٠] - ١ كورنثوس ٣: ١١

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

أنها جميعاً تقر بأن يسوع المسيح هو ابن الله المتجسد الذي مات على الصليب وقام ليخلص الإنسان؛ وهذه أعظم حقيقة تهم الإنسانية بأكملها.

الآن وقد قبلت المسيح مخلصاً لك ووضعت ثقتك به، أصبحت عضواً في الكنيسة الجامعة الشاملة، وعضواً في العائلة المسيحية، وعضواً في جسد المسيح. فأصبح من واجبك أن تطيع المسيح؛ وخير طاعة هي أن تقتدي به وتفرح بالانضمام إلى سائر إخوتك في عبادتهم لله: "غير تاركين اجتماعنا كما لقوم عادةٌ"[٢٠١]. إذاً لا بد من الانضمام إلى "جماعة" معينة، إلى كنيسة محلية لكي تثبت حقاً أنك عضو في كنيسة المسيح.

ولا نقصد بهذا الكنيسةَ الجامعة العظمى بل كنيستك المحلية التي قد تعرف شيئاً مما فيها من نقص وتقصير. تذكر أن الكمال هو الله، وأن يسوع المسيح هو الإنسان الأوحد الكامل. أما نحن فخطأة تائبون نسعى جهدنا لنقتدي بيسوع مثالنا العظيم. وما أشد خطأ الكنيسة وعماها حين تزعم لنفسها أو لأحد أعضائها العصمة والكمال!.

حين أسس يسوع الكنيسة كان قصده أن ينضم إليها تلاميذه ويظهروا لها كل ولاء. فإذا كنت غير منضم رسمياً إلى عضوية كنيسة ما، فعليك أن تختار إحدى الكنائس المحلية. قد تدفعك رغبة طبيعية إلى الكنيسة التي فيها ربيت، أو قد تختار كنيسة معتمداً على نظرتك الروحية ونضوجك. وفي أي من الحالتين، ينبغي أن تدرك أن انتسابك لعضوية الكنيسة ليس أمراً يستخف به إذ يجب أن تكون الكنيسة مفيدة لك ويجب فوق ذلك أن تعطيك الكنيسة فرصاً لتفيد الآخرين.

وكلما سألني ناقد لماذا توجد كل هذه الكنائس المختلفة إن كانت جميعاً تخدم الله، أرد عليه أن في الأرض أشكالاً تكاد لا تحصى من الألبسة... نحن نتحدر من أصل واحد، ومع ذلك فإن بيننا من الفروق ما يمنعنا من اتخاذ شكل واحد من الألبسة وزيّ واحد منها.

يجد البعض سهولة أكبر للدنو من الله حين يمارسون عبادتهم في كنيسة فخمة البناء وفي جو من الشعائر والطقوس، بينما يرتاح البعض الآخر إلى البساطة التامة. البعض يميلون إلى نمط معين من الخدمة بينما يرتاح آخرون إلى خدمة تتنوع. ليس المهم في الأمر ناحية الشكليات بل إخلاص النية التي بها نمارس العبادة. فعلينا أن ننضم إلى الكنيسة التي تتوفر لنا فيها الشروط لأداء العبادة لله بصورة أكمل.

أنت لا تقطن بيتاً بدون أن تزوره أولاً وتطلع عليه. ما أكثر المسيحيين في أيامنا الذين ينضمون إلى الكنائس دون سابق اطلاع عليها، ثم يجدون أنها لا تحقق رغباتهم فينتقلون

[٢٠١] - عبرانيين ١٠: ٢٥

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

منها إلى أخرى كريشة في مهب الريح لا تستقر في مكان. فلا شك أن أمثال هؤلاء لا يخدمون أنفسهم ولا يخدمون الله.

قبل الانتماء إلى كنيسة معينة يجب أن نتأكد أننا سنجد فيها الجوّ الملائم والشروط الملائمة لنموّنا الروحي، وأنه يتيسر لنا فيها إسداء أعظم خدمة ومعونة لإخوتنا. حذار من الانتساب إلى كنيسة إعجاباً منك بالراعي. فهذا قد يتغير، أما الكنيسة ومبادئها فلا تتغير. والكنيسة الثابتة الوطيدة الأركان هي التي تربط جميع أعضائها محبة يسوع ورغبة صادقة في الافتداء به.

المسيحي الحقيقي لا يذهب إلى الكنيسة لأن له فيها مقاماً رفيعاً أو لكي يظهر فيها علناً بمظهر التقى والاستقامة، ولا طلباً للراحة والسلام. ولا يذهب إلى الكنيسة مدفوعاً بما سيجنيه منها بل بما سيعطيه لها ويقدمه لإخوته. إنه يذهب إلى الكنيسة ليضيف صلاته إلى صلوات الآخرين وصوته إلى أصواتهم الهاتفة بحمد لله، ليشاركهم في الابتهال وفي الشهادة عن الخلاص العجيب الذي بيسوع المسيح، لينضم إلى الآخرين في عبادة الله والتأمل في مراحمه ومحبته اللامتناهية.

إن غاية هذا المجتمع المسيحي الذي يدعى الكنيسة هي:

أولاً: تمجيد الله في العبادة. فلسنا نذهب إلى الكنيسة لسماع العظة بل لنعبد الله بالروح والحق. أما الرموز والترانيم والعظة فهي تساعدنا في أداء العبادة والمجد لله.

وما هي غاية الإنسان وغرض وجوده إلا أن يمجد الله بعبادته أكثر من أية وسيلة أخرى. لا شيء يمكن أن يحل محل العبادة فهي ضرورية مطلقاً إذا ما أردنا العيش عيشة سعيدة. ويطلب الله منا العبادة والحمد قبل أي شيء آخر.

ثانياً: توفير أسباب الشركة بين الأخوة. وربما كانت الشركة المسيحية أفضل تذوّق سابق للسماء. فإذا كنت مسيحياً حقيقياً فسوف تتطلع دوماً بشوق إلى الاتصال بإخوتك المسيحيين. إننا نحتاج بعضنا إلى بعض، وما أعظم حاجة كل منا إلى مساعدة الآخرين له بالصلاة. لذلك فنحن مسؤولون بعضنا تجاه بعض في هذا المجال.

شبه بولس الرسول الكنيسة بالجسد. فلليد التزامات نحو الفم، وللعين نحو الأذن، وللقدمين نحو اليدين. كل عضو ملزم بحمل عبئه الخاص به، ولكن على كل عضو أن يساهم أيضاً في حمل أعباء سائر الأعضاء.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

المسيحية علاقة متبادلة بين الأعضاء، فهي شركة. كيف نحب ونخدم ونمارس العدل إلا في مجال العلاقات الاجتماعية التي تتوفر في الكنيسة. بالشركة أيضاً نستطيع أن نشدد بعضنا بعضاً. قال يسوع: "حيثما اجتمع اثنان أو ثلاثة باسمي فهناك أكون في وسطهم"[٢٠٢].

ثالثاً: تقوية الإيمان. بالصلاة المشتركة والشهادات الشخصية والوعظ والتعليم يتقوى إيماننا.

رابعاً: الكنيسة وسيلة خدمة. نلنا الخلاص لنخدم، وما أكثر الخدمات التي يمكن أن نؤديها للمسيح على أحسن وجه ضمن دائرة الكنيسة المحلية بالتعاون والشركة بين الأعضاء.

خامساً: بواسطة الكنيسة نتمكن من بذل العطايا للمساهمة في العمل الروحي. إن الكتاب المقدس يأمرنا بإيتاء العشور (أي العشر) من الدخل الصافي. فالعشور إذاً هي لله. وعلاوة على ذلك ينبغي أن نقدم لله بسخاء مما يجزله علينا من خيرات. ما أجمل العطاء وما أجدره بأن يحل في لحمة حياتنا اليومية وسداتها! يجب أن يكون الكرم أحد دعائم الحياة المسيحية. قال يسوع: "مغبوط هو العطاء أكثر من الأخذ"[٢٠٣]. ذلك لأن العطاء يعمر القلب بالسرور ويشيع في النفس الاطمئنان. ولا يريد يسوع أن نكون محرومين من هذه البركة الخاصة. إن الأنانية وليدة الخوف، وليس للمسيحي أن يخاف أو أن تقبّض يده الأنانية والجشع بل عليه أن يبسط أبداً يديه للعطاء.

عطاياك لا يمكن أن تقدّر بقروش أو ليرات، ولا برزم ثياب قديمة. فقد تكون أحياناً الابتسامة أو كلمة المواساة والتشجيع أعظم هبة نقدمها. وقد تكون أمسية نقضيها مع إنسان كئيب يائس فرصةً لجني حصاد وفير لملكوت الله. ويستحيل أن تصبح رابح نفوس بدون البذل: يجب أن تبذل وتقف على خدمة يسوع، مالك، وقتك، مواهبك، وقلبك أيضاً.

أما ما تقدمه فضلاً عن العشر فلا ضرورة لتنظيم طرق أنفاقه بقواعد معينة. فقد تقدمه لذوي الحاجة ممن تعرفهم ويعايشونك أو للبعيدين. لا تنس أن العطاء وسيلة بها تعبّ عن محبتك لله الذي أحبك أولاً بمحبة لا توصف ولا تحدّ.

العطاء فن. قد تغني حياة إنسان بكأس ماء بارد، وقد تفقرها بهبة كبيرة من المال دون أن ترفقها بالمحبة. والهبة التي تعطيها لإنسان لكي تشعره بالمنة والدّين تنطوي على خبث لا على محبة. ولا بركة في عطاء يقصد منه إظهار القوة أو التفوق على الآخرين، ولا خير في عطاء يقدَّم عن كراهية لا عن طواعية. يجب أن نعطي بروح سخية مع الرغبة في توفير التعزية والمعونة لمن نعطيهم. ولا ينبغي أن نفكر في مدى النفع الذي سيعود علينا من عطائنا.

---

٢٠٢ ـ متى ١٨: ٢٠
٢٠٣ ـ أعمال ٢٠: ٣٥

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

ليكن عطاؤنا مرفقاً بالحكمة واللطف، وإلا فسيجرح بدلاً من أن يمنح البركة. إن ثمة سعادة حقيقية هيهات للبخيل والأناني أن يختبرها، وثمة فرح هيهات للإنسان الجشع أن يتذوق حلو مذاقها.

العطايا يجب أن تقدَّم باسم الرب يسوع المسيح، ويجب أن يعرف الذين يتقبلون الهبة أنها مقدمة باسم الرب يسوع. ويجب أن ترافق الهبة بهذا الاشعار "إنني أقدم هذه الهبة باسم مخلصي يسوع المسيح" لكي تكون شهادة أمام أولئك الذين يتقبلون الهدية. وبهذه الطريقة في تقديم الهبات ترمي عصفورين بحجر واحد: تقديم العون المالي للمحتاج وإبلاغه بشرى الإنجيل.

الحذر الحذر من سلب مال الله! يقول الكتاب: "هاتوا جميع العشور إلى الخزنة ليكون في بيتي طعام وجربوني بهذا قال رب الجنود إن كنت لا أفتح لكم كوى السماوات وأفيض عليكم بركة حتى لا توسع"[٢٠٤].

قال أحدهم: "الإنجيل مجاني، ولكن لا بد من مال لدفع ثمن الدلاء التي تنقل مياه الخلاص". إن العطاء هو فعل من أفعال العبادة كالصلاة والترنيم. ومن التسهيلات التي تقدمها الولايات المتحدة لدفع الضرائب أن تسمح بتقديم عشرين بالمئة من الدخل بشكل هبات وتبرعات على أن تعفى هذه المبالغ من ضريبة الدخل المترتبة عليها. ومع ذلك فليس إلا عشرة بالمئة من سكان الولايات المتحدة يستفيدون من هذا القانون. أليس هذا مدعاة للخجل؟ ولو أن كلاً من المسيحيين يبذل في سبيل الإنجيل حسب ما يغدق الله عليه من خيرات لأصبح الإنجيل معروفاً لدى جميع البشر. فلنكن إذاً معطين أسخياء بمقدار ما أنعم الله علينا. لقد وعدنا الله بأن يرد لنا مئة ضعف؛ فهل يوجد مصرف في العالم يعطي مثل هذه الفائدة؟ هل يوجد مصرف يقول: "جربوني بهذا فتروا ما أنا فاعل". إذن فأعطوا إلى أقصى حدود العطاء تروا خيرات الله كيف تغدق عليكم بأكيال جيدة ملبدة مهزوزة فائضة!.

سادساً: غرض الكنيسة نشر بشارة الإنجيل. وقد تلقت هذا الأمر من المسيح "اذهبوا إلى العالم أجمع واكرزوا بالإنجيل وتلمذوا الجميع وعمدوهم". فمهمة الكنيسة الرئيسية هي تبشير الهالكين، بالمسيح. إن العالم يصرخ اليوم صراخ الاستغاثة طالباً من الكنيسة أن تسرع لنجدته. إنه لغارق في المشكلات الاجتماعية والاقتصادية والأخلاقية؛ وإنه لمنغمس في أمواج المخازي والجرائم. ما أحوج عالمنا إلى المسيح؟ ومهمة الكنيسة أن تمد يدها للانقاذ. "ستنالون قوة متى حلّ الروح القدس عليكم وتكونون لي شهوداً"[٢٠٥]. فبقوة الروح القدس تستطيع أن تتآزر مع باقي المسيحيين لربح الناس للمسيح. في عالمنا الزاخر

---

[٢٠٤] - ملاخي ٣: ١٠
[٢٠٥] - أعمال ١: ٨

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

بالسكان ما يزال ٦٥% بحاجة إلى سماع إنجيل يسوع المسيح. لقد فشلنا في تأدية رسالة الإنجيل للعالم المحتاج إليه إذ ما تزال ألف لغة ولهجة لم ينقل بعدُ إليها الكتاب المقدس.

إن الكنيسة الأولى لم تكن تملك من وسائل البث مثلما نملك اليوم: من كتب مقدسة، ومعاهدة اللاهوت، ومطبوعات، وطائرات، واذاعات، الخ الخ... ومع ذلك استطاعت خلال قرن واحد أن تنشر الإنجيل إلى أرجاء العالم المعروف آنذاك، وذلك لأنها كانت تستخدم أعظم وسيلة ناجعة ألا وهي الروح القدس. أما اليوم، ومع كثرة الوسائل، فقد أهملنا أهمية الروح القدس، ومضينا نعمل معتمدين على قوتنا وذكائنا ولذلك مُنيت جهودنا بالفشل. ما أكثر عبدة الأصنام في بلادنا التي تتسمى "مسيحية"! يعبدون الأصنام على هياكل الدنيوية والمادية والأنانية. ولكن اليوم، كما في الماضي، يأمر المسيح أبناء الكنيسة بقوله "اذهبوا". ها إن الساعة متناهية، والعالم يتخبط في مهاوي اليأس ولا من مغيث ينقذه ولا من رجاء ينعشه سوى إنجيل المسيح، لأنه وحده يستطيع أن يمنح الرجاء الحقيقي والخلاص الأكيد.

يجب علينا أن نستخدم كل المواهب والوسائل لنربح الناس للمسيح لأن هذه هي مهمة الكنيسة العظمى. نستطيع أن نبشر، بالتعليم أو المحاضرات أو الإذاعة أو زيارة السجون أو عيادة المرضى الخ. قد تختلف الوسائل والأساليب ولكن يجب أن تُستعمل كلها لربح العالم للمسيح. وليس يكفي أن نقتاد شخصاً إلى قبول المسيح مخلصاً، بل يجب أن نساعده للانضمام إلى الكنيسة لينمو في النعمة ومعرفة المسيح.

وأخيراً بالكنيسة يتاح لنا أروع مجال لممارسة محبة القريب. فنحن في الواقع أوصياء على أخوتنا.

وقد ضرب لنا يسوع مثل السامري الصالح ليغرس في عقولنا ونفوسنا تعليمه عن محبة القريب. فكل من يحمل اسم المسيح لا يجوز له أن يتجاهل حاجات الآخرين، لمجرد كونها لا تمس مصلحته الشخصية. إن صادف المسيحي صبياً صغيراً جالساً على قارعة الطريق يتضور جوعاً فهل يمرّ به شأن الكثيرين من الناس دون أن يعبأ به؟ كلا، إن هذه اللامبالاة، التي لا يزخر بأمثلتها المجتمع، لا تليق مطلقاً بالمسيحي.

وحين نبسط يد المساعدة للجياع والفقراء والمرضى والسجناء والمظلومين، لنتذكر كلمات يسوع: "الحق أقول لكم بما أنكم لم تفعلوه بأحد هؤلاء الأصاغر فبي لم تفعلوا"[٢٠٦].

ويكفي أن نتطلع إلى ما أنشأته الكنيسة من مستشفيات، وملاجئ للأيتام، ومآوي للعجزة، حتى نتبين كيف أنها تمسكت بقوة وإخلاص بمبدأ محبة القريب. إن الكنائس تستطيع بتضامنها أن تقوم بدور فعال في تقويم أي اعوجاج في المجتمع الإنساني، وفي رفع

[٢٠٦] - متى ٢٥: ٤٥

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

مستوى المعيشة وتحسين أوضاع الشعب. يجب أن يظل مثل السامري الصالح مثلاً ينسج على منواله كل مسيحي حقيقي.

وبسبب ما نحن عليه من ضعف بشري ونقص نحتاج إلى التآزر بعضنا مع بعض لنظل سائرين على الطريق السوي. فالطريق الطويل الموحش يغدو أقل وحشة للمسافر إذا شاركه فيه رفاق يسعون إلى نفس الهدف. والحمل الثقيل يخف عبئه إذا تقاسمت حمله جماعة متضامنة. هذه المشاركة اللازمة تتوفر في الكنيسة. وفي الكنيسة يجد المسيحي بيته الروحي وملجأ للوقاية ومجالاً واسعاً لبذل شتى أنواع النشاط الإنساني. عرف يسوع أننا بحاجة إلى مجتمع نحيا فيه ونعمل ونجد تعزية وتشجيعاً. وهذا المجتمع الذي يدعونا يسوع للانضمام إليه هو الكنيسة.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

الفصل السادس عشر

واجبات المسيحي الاجتماعية

"كما تريدون أن يفعل الناس بكم افعلوا أنتم أيضاً بهم هكذا"

(لوقا ٦: ٣١)

منذ أن عزمت على اتباع يسوع وبدأت بدراسة الكتاب المقدس أصبحتَ تواجه عدداً من المسائل والواجبات الاجتماعية. لقد تمت المصالحة بينك وبين الله وغفرت خطاياك وانفتحت أمام ناظريك آفاق جديدة للحياة، بل إن العالم كله بالنسبة لك قد تغير، وصرت تنظر إلى الناس نظرة المسيح إليهم. وتبدل هدفك ومثلك الأعلى ومطامحك. تلاشت الأحقاد وزالت الأنانية التي كانت بارزة في كثير من نواحي حياتك.

كثيرون ما عرفوا الحياة المسيحية إلا من ناحيتها السلبية فأعرضوا عنها ورفضوها مفترين عليها أنها تطفئ جذوة الفرح في قلب الإنسان. كلا إن المسيحية الحقَّة لا تطفئ الفرح ولا تنضب معين الهناء في حياة الإنسان. وإنما هي تشجب وتنبذ الملذات الأثيمة الصادرة عن محبة الذات والمرهقة للمسيحي.

إن قبول المسيح والاستسلام له كلياً والانقياد لمشيئة الله تؤدي بنا إلى مصدر السعادة الحقيقية والفرح الحقيقي ألا وهو الشركة مع المسيح. أما الإنسان الذي لم يختبر الولادة الجديدة فقد يبدو له هذا القول غريباً جداً. وأما الذي اختبر فعلاً الشركة اليومية مع المسيح فيعلم أن هذه الشركة تسمو جداً على جميع أفراح العالم ومباهجه.

يقول المرنم "يروون من دسم بيتك ومن نهر نعمك تسقيهم"[٢٠٧]. ويقول أيضاً. "لا يمنع خيراً عن السالكين بالكمال"[٢٠٨]. ويقول بولس في هذا الصدد "الله ... يمحنا كل شيء بغنىً للتمتع"[٢٠٩].

وكوننا في شركة يومية مع المسيح لا يمنعنا أن نحيا حياة واقعية. فالمسيح لا يطلب من الإنسان نبذ الاهتمامات والمطامح الشرعية.

يعلمنا الكتاب المقدس أن المسيح قريب الرجوع ومع ذلك يحثنا على القيام بأعمالنا اليومية إلى أن يجيء.

---

[٢٠٧] - مزمور ٣٦: ٨
[٢٠٨] - مزمور ٨٦: ١١
[٢٠٩] - ١ تيموثاوس ٦: ١٧

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

كان الناس في أيام نوح يأكلون ويشربون ويزوجون ويتزوجون ولم يكن في ذلك أي خطأ، لكنهم أخطأوا بتوغلهم المفرط في هذه الأمور. وكان في أيام لوط بيع وشراء وتخطيط وبناء ولم يكن في ذلك خطأ، وإنما كان الخطأ في تنفيذ هذه الأمور بطرق آثمة. كان الخطأ الأساسي أن الناس جعلوا تلك الأمور موضوع اهتمامهم الأوحد، وكان شاغلهم الوحيد تحصيل الملذات وتوسيع المقتنيات وتجميع المكاسب المادية. وإذ انغمسوا في تلك المشاغل لم يعد لهم متسع للتفكير في الله. لذلك غضب الله عليهم وأحاقت بهم دينونته.

إن الكتاب المقدس يحثنا على النظر إلى أمور هذه الدنيا على ضوء العالم الروحي، ويحضنا على أداء واجباتنا اليومية وأعمالنا بإتقان وإخلاص. وهل ننسى ما ورد في الكتاب عن بعض أصحاب الحرف وذوي المراتب؟ أما يذكر بالحسن بصلئيل الذي كان حاذقاً في شغل الخشب والمعادن والأحجار، ويذكر يعقوب الراعي وأولاده، ويوسف رئيس الوزراء. ويذكر لنا أيضاً دانيال الوزير. ويخبرنا أن يسوع ويوسف كانا نجارين. كما أنه يخبرنا عن وزير ملكة الحبشة، وعن ليديا بائعة الأرجوان، ولوقا الطبيب، وبولس وأكيلا وبريسكلا الذين كانوا من صانعي الخيام.

لا يتطلب المثل الأعلى المسيحي من الإنسان أن ينبذ شؤون هذه الحياة بل أن يطلب إرشاد الله وقيادته ليتمكن من إنجاز عمله اليومي على أكمل وجه، وأن يخضع الكل للمسيح في كل الأوقات والظروف. عندئذ سنرى كيف يقدم لنا المسيح في حياتنا اليومية مساعدة إيجابية ويوفر لنا أسباب الفرح الحقيقي، ويساعدنا في مواجهة المشاكل الاجتماعية التي تجابهنا وتلقينا في ارتباك واضطراب. إن الطريقة التي بها نعالج واجباتنا اليومية ومشاكلنا الاجتماعية هي التي ستثبت للعالم أن المسيح يحيا فينا ونحن فيه.

قال أحدهم: "لا شك أن الناس الذين يرونك ذاهباً إلى الكنيسة صباح الأحد يخمنون أنك مسيحي؛ ولكن ماذا يخمن أولئك الذين تعاشرهم وتتصل بهم في بحر الأسبوع، في المكتب والمخزن والشارع وفي غير ذلك من الأماكن"؟ مما لا شك فيه أن الاعتراف بالإيمان المسيحي أمر له قيمته. كذلك المشاركة في برامج النشاط المختلفة ضمن الكنيسة جزء لا يتجزأ من الحياة المسيحية. ولكن أمور الحياة العادية، كتحصيل المعيشة والاهتمام بالعائلة الخ، تعمل معاً لاختبار إيماننا المسيحي. ماذا يقول عنا أولئك الذين نتصل بهم في بحر الأسبوع؟ هل يلاحظ زملاؤنا في العمل أننا من أتباع يسوع؟ وهل يستطيع معارفنا أن يميزوا فينا شيئاً لم يروه ولا يرونه في أولئك الذين لا يعرفون المسيح؟ إن أصدق محكّ للخلق المسيحي هو الحياة اليومية.

إن عقيدتنا المسيحية تُختبر بعدة طرق: بما نقوله وما نحجم عن قوله، بما نعمله وما نمسك عن عمله. إن المسيحية وإن لم تكن، بالدرجة الأولى، ديانة مظاهر خارجية، إلا أنها تتجلى

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

في حياة الفرد اليومية: في حديثه وعاداته وتسلياته وأهدافه ونشاطه إلى غير ذلك. فهل حديثنا يكرم المسيح ويمجده؟ هل يرضى المسيح عن عاداتنا؟ وهل هو حاضر في أوقات فراغنا وتسلياتنا؟ وهل نجرؤ، ونحن جلوس إلى مائدة مطعم، على إحناء الرأس وأداء الشكر لله؟ وهل الطريقة التي بها نزاول أعمالنا تثبت أن اهتمامنا ليس مركزاً على خيرات العالم بل على الأشياء السماوية؟ وهل يرى زملاؤنا ورفقاؤنا طموحاً فينا يتنافى والمثل الأعلى المسيحي؟ ثم ما هي نظرتنا إلى مشكلة العرق؟ والمشكلة الجنسية؟ ومشاكل العمال وأرباب العمل؟ وما هو موقفنا من التسامح؟ إن المبدأ الذي يجب أن يسود علاقاتنا بالعالم وبالآخرين هو المبدأ الذهني "كما تريدون أن يفعل الناس بكم أفعلوا أنتم أيضاً بهم هكذا"[٢١٠].

أما علمنا المسيح أن نحمل بشارة التجديد بيد وكأس الماء البارد باليد الأخرى؟ فعلى المسيحي أن يعنى أكثر من أي سواه بالمشاكل والمظالم الاجتماعية. لقد ساهمت الكنيسة، على مر العصور، مساهمة جبارة فعّالة في رفع المستوى الاجتماعي وتحسينه، وقامت بما عجزت عنه المنظمات الأخرى: ساهمت في إلغاء الرق ومنع تشغيل الأولاد ورفع منزلة المرأة الخ. وأجريت في نواحي أخرى إصلاحات مماثلة يرجع الفضل في تحقيقها إلى التعاليم السامية التي نادى بها يسوع المسيح. فينبغي على المسيحي أن يأخذ مكانه في المجتمع ليناصر الحق والعدل والشرف بجرأة وشجاعة.

أولاً: يجب أن يكون المسيحي مواطناً صالحاً. يعلمنا الكتاب المقدس أن نخلص الولاء لوطننا. لكن الحب والولاء للوطن لا يمنعنا من انتقاد القوانين الظالمة. نعلم أن "الله لا يحابي"، فينبغي أن نقتدي بالله ولا نحابي أحداً.

يعلمنا الكتاب المقدس أيضاً الخضوع للسلطات. عندما سئل يسوع "أيجوز أن تعطى جزية لقيصر أم لا" أجاب: "أعطوا ما لقيصر لقيصر وما لله لله"[٢١١]. إن الحكومة بحاجة إلى المال للقيام بمهمتها والحفاظ على القانون وتوفير الأمن. ومن يراوغ في دفع الضريبة فهو طفيلي ولص. ولن يرضى المسيحي الحقيقي أن يُلصَق به هذا الشين. علينا إذاً أن ندفع الضرائب، وعلينا فوق ذلك أن نعمل جهدنا ونسعى لمصلحة الوطن وازدهاره. يجب أن نتبرع بسخاء للمؤسسات الخيرية ونساهم جهدنا في مساعدة المياتم والمستشفيات والسجون والمؤسسات الاجتماعية لأن الرب يسوع أوصانا "تحب قريبك كنفسك"[٢١٢]. وعلينا أن نحترم المسؤولين ونقدم لهم التأييد والتعاون " لتخضع كل نفس للسلاطين... لأنه ليس سلطان إلا من الله والسلاطين الكائنة هي مرتبة من الله"[٢١٣].

---

[٢١٠] - لوقا ٦: ٣١
[٢١١] - مرقس ١٢: ١٧
[٢١٢] - متى ٢٢: ٣٩
[٢١٣] - رومية ١٣: ١

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

ثانياً: على المسيحي أن يمتاز بحسن الضيافة[٢١٤]: يطلب منا الكتاب المقدس أن نفتح بيوتنا للجميع حتى يشعر كل من يدخل إليها بحضور المسيح فيها. فينبغي علينا أن نشاطر الآخرين ما أنعم الله به علينا. وحين نفعل ذلك يباركنا الله ويجعل بيوتنا زاهرة.

ثالثاً: ينبغي أن نقف من القضايا الجنسية موقفاً مسيحياً. الكتاب المقدس لا يذكر، في أي من تعاليمه، أن الجنس، بحد ذاته، خطية. وإنما إساءة استعمال الجنس هي الخطيئة. إن الاتصال الجنسي، الذي هو أساس كل حياة خلقت على هذه الأرض، من شأنه أن يكون أعظم الاختبارات الإنسانية من حيث الروعة والمغزى والارضاء. ولكن الإنسان، بسبب ما في طبيعته من فساد، حوّل إلى عمل مشين دنيء رجس عاطفة الحب المتبادلة بين شخصين التي يجب أن تكون، بحسب قصد الله، أكثر العواطف إشراقاً وكمالاً. ومتى خلا الاتصال الجنسي من الحب المتبادل والاحترام غدا فعلاً حيوانياً يحذرنا منه الكتاب بعبارات صريحة حازمة.

والكتاب المقدس يعالج المشكلة الجنسية بكلام صريح دون خوف ولا مواربة، دون حياء مصطنع ولا تهرب. أما فكرة تجاهل الجنس، التي ترتدي طابع الخبث والتكتم والارتباك، فهي فكرة من صنع الانسان. ولا شك أنها من عمل الشيطان بالأصل، وهي مسؤولة إلى حد بعيد عن التعاسة وعدم التفاهم المسيطرين في حياة كثير من الأزواج والزوجات.

والحضارة الحديثة في معالجتها موضوع الجنس قد ركزت اهتمامها على الناحية الحسية من الاتصال الجنسي وأهملت الناحية الروحية التي يجب أن يتم فيها ذلك الفعل العظيم المعبر عن أعظم أنواع الحب الإنساني.

وحوادث الطلاق شهادة عملية على أن الرجال والنساء يعجزون عن التوصل إلى تلك العلاقة الدائمة الجمال إذا كان الزواج غير مرسَّخ على أساس مكين من القيم الروحية. إن الحياة الجنسية راسخة في صلب كياننا. إذا أحسن استعمالها أصبح البيت جنة، وإذا أسيء استعمالها غدا البيت جحيماً.

يشعر المسيحيون بالاستياء البالغ والخجل تجاه القضايا الجنسية كما تروّج لها المجلات والكتب الخلاعية ومؤسسات الإعلان ودور الملاهي، ونرى المسيحيين يخجلون من الانحطاط الذي آل إليه الناس في تشويه حرمة ما قدسه الله، وانتهاكه، وجعله أساساً لكل حياة.

---

[٢١٤] - ١ تيموثاوس ٣: ٢

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

ينجم عن ذلك أن الذي ينظر إلى الجنس نظرة مسيحية سينظر بالتالي إلى الزواج نظرة مسيحية أيضاً. يجب على المسيحي، قبل زواجه، أن يفكر ملياً في أن لزواجه نتائج وأصداء في هذه الحياة وفي الأبدية.

إن كثيرين يتزوجون وهم ما يزالون مكبلين بقيود العالم والشهوة وإبليس. فإذا تزوج الواحد منهم فتاة على شاكلته أفغريب أن يقصّر زواجهما، وهما شخصان ميتان روحياً، عن تحقيق حب حقيقي دائم؟ أغريب أن ينتهي معهما الأمر بالطلاق؟ إن الزواج لرباط مقدس يتيح لشخصين أن يتساعدا لتحقيق هدفهما الروحي. يقول الكتاب المقدس أن الزواج أمر جيد وضعه الله لأنه يعرف حاجة الرجل إلى معين وحاجة المرأة إلى من يحميها. لذلك يطلب الله من الأزواج والزوجات ألا ينسوا هذا الغرض الأساسي من الزواج. فدور المرأة هو أن تحب وتساعد زوجها وتؤيده بكل وسيلة ممكنة. ودور الرجل أن يحب ويحمي ويعول زوجته وأولاده الذين تنجبهم له، لكي يملأ سلام الله البيت ويسوده الانسجام والتوافق.

لذلك كانت الزيجات، التي تعقد بناء على تفهم واضح لشرائع الله وقصده من الزواج، لا تحتاج إلى محاكم الطلاق. أما الزيجات التي قصرت عن تحقيق هذا الشرط، وهي عديدة، فينبغي لإصلاحها أن يبدأ الزوجان بتعلم ما يطلبه ويتوقعه الله من الزوج والزوجة؛ ومن ثم يصليان إلى الله ليمنحهما المعونة والإرشاد كي يتمكنا من اتباع وصاياه.

رابعاً: يجب أن نتخذ موقفاً مسيحياً في علاقاتنا المهنية. يوصينا الكتاب المقدس قائلاً: "وكل ما فعلتم فاعملوا من القلب كما للرب ليس للناس عالمين أنكم من الرب ستأخذون جزاء الميراث، لأنكم تخدمون الرب المسيح، وأما الظالم فسينال ما ظلم به وليس محاباة"[٢١٥]. لو كان أرباب العمل والعمال يعطون للمسيح أن يسيطر على علاقاتهم جميعها لزالت أسباب الاضطراب وتلاشت الخلافات والمناقشات العقيمة التي يهدف فيها كل فريق إلى انتقاص حقوق الآخر. عندئذ كنا نرى أرباب العمل يعاملون مستخدميهم بسماحة أخلاق، والمستخدمين يسعون بدورهم أن يحسنوا إنتاجهم ويتقنوا عملهم لأنهم لا يشتغلون لأجل الأجور فقط لكنهم يشتغلون لله.

يعلمنا الكتاب المقدس أن كل عمل شريف هو جدير بالكرامة والاعتبار. لذلك مهما كان نوع العمل الذي يقوم به المسيحي فيجب أن يؤديه على أحسن وجه وبكل إخلاص. يجب أن يُعرف المسيحي في المصنع أو المتجر أو المزرعة بأنه يشتغل بعدل ونزاهة وأنه لا يسعى لمصلحة شخصية على حساب الآخرين.

وبالمقابل يجب على أرباب العمل المسيحيين أن يعاملوا مستخدميهم بسخاء واحترام فيكونون بذلك قدوة لزملائهم.

---

[٢١٥] - كولوسي ٣: ٢٣- ٢٥

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

سادساً: المسيحي ينظر إلى مشكلة العرق كما ينظر إليها المسيح. إن الحل الجذري الوحيد لهذه المشكلة العرقية نجده عند أقدام الصليب حيث تجمعنا كلنا المحبة الأخوية. وكلما اقتربت مختلف العروق من الصليب، اقتربت بعضها من بعض، لأنه في المسيح ليس يوناني ويهودي، ليس عبد ولا حر ليس له ذكر ولا أنثى، ليس غني ولا فقير، بل الكل واحد في المسيح. عندما يفتح المسيح أبصارنا الروحية لا نعود نرى الفوارق اللونية أو العرقية أو الطبقية، بل نرى كائنات إنسانية لها نفس الرغبات والطموح والأهداف والمخاوف، وهكذا لا نعود نرى الناس إلا بمنظار المسيح.

سابعاً: يجب أن نتخذ موقفاً مسيحياً في المسائل الاقتصادية. قال يسوع إن حياة الإنسان لا تقوم على وفرة غناه. نِعمَ المال خادماً، وبئس المال سيداً! إن مكانة المال هي في المحفظة والمصرف، لا في القلب. لا شك أن للغنى مكانته وقوته، لكنه لا ينبغي أن يتسلم الصولجان أو يحتل العرش في حياة المسيحي. ما أفظع الطمع! إنه يقيد المتعبد له ثم يقضي عليه، إنه يقسي القلب ويقتل الهمم النبيلة ويدمر الحياة في الإنسان. فلنحذر الطمع على اختلاف أشكاله وذلك بالسهر والصلاة وضبط النفس، فالحياة لا تقوم على جمع المال واقتناء البيوت وتكديس الثروة.

عندما طلب أحدهم من يسوع أن يتدخل لحل النزاع القائم بينه وبين أخيه على الميراث، ضرب يسوع مثلاً رائعاً في كيفية تطبيق الرسالة السماوية على المسائل الأرضية. رجل غني أخصبت حقوله وامتلأت أهراؤه بالخيرات، ولم يقتنع بذلك بل طمع في مزيد من الثروة ووسائل الترف والمجد الشخصي. كان هذا الرجل- على ما يبدو- ذكياً مقتدراً مقتصداً أمنياً نزيهاً في معاملاته، إلا أنه ذهب ضحية الطمع. كان يقيس نجاحه بالحقول المخصبة والعنابر الملأى بالغلال، ويعلل نفسه بأباطيل هذه الحياة. قلبه مقيد بحب الغنى، وهمُّه مركز في ذاته ولم يكن يحسب حساباً لله. لكن الله نطق بالكلمة الفاصلة تلاشت في لحظة واحدة الخطط التي أنفق السنوات يحكيها. وفرت الثروة من بين أصابيعه التي أثلجتها برودة الموت، فتقاسمها الآخرون وبذّروها. أما هو فكان عليه أن يمثل أمام دينونة الله صفر اليدين.

كل منا أتى إلى العالم خالي اليدين، وواضح أننا سنغادره صفر اليدين أيضاً، وليس لنا أن نملك، خلال هذه الحياة، شيئاً: إن الله هو الذي يملك كل شيء وعلى كل شيء، ولسنا سوى وكلاء على ممتلكاته في هذه الفترة القصيرة التي نقضيها على هذه الأرض. وكل ما نراه حولنا من الممتلكات هو عاريّة ائتمننا الله عليها. فإذا أغفلنا هذه الحقيقة وقعنا أسرى البخل والطمع. عندما نمسك بيدنا شيئاً ونقول هذا يخصني، عندما ننظر بعين الحسد إلى ما للقريب ونصمم على إحرازه بأية وسيلة ممكنة يغرب عن بالنا أننا لن نستطيع أن نحمل معنا شيئاً يوم نمثل أمام الديان العادل لنعطي حساباً عن أنفسنا. إن الكتاب المقدس لا يعتبر

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

امتلاك الخيرات الأرضية خطيئة، بل يعلمنا أن الله يريدنا أن "نشغل" ونشتغل، على أحسن وجه، الوزنات والمؤهلات والفرص التي تتيحها لنا الحياة.

هناك طريقان لإحراز المال: طريق صائب وطريق خاطئ. لكن، كثير من المسيحيين أساؤوا فهم ذلك واتخذوا من فقرهم ذريعة للكبرياء الروحية واستكانوا للخمول قائلين "لتكن مشيئة الله" بينما أولادهم تنقصهم ضروريات الحياة.

أورد يسوع مثلاً عن رجل كان على أهبة السفر إلى مكان بعيد فأودع كلاً من خدمه مبالغ معينة من المال. استطاع الأول والثاني تشغيل المال المسلم إليهما، ولما رجع السيد أعادا إليه ماله مع الأرباح، فامتدحهما على ذكائهما وتفكيرهما السليم. لكنه أدان الخادم الرعديد العديم الذكاء والتدبير الذي لم يهتد بتفكيره إلى شيء سوى تخبئة المال لحفظه من اللصوص.

فاجتهد إذن في تحصيل المال وفق ناموس الله، وأنفقه أيضاً وفق وصاياه. كن أميناً في دفع عشورك للرب لأن هذا واجب وصواب. ولكي تستطيع أن تحل المشاكل المادية التي تواجهك ينبغي أن تفتح الكتاب المقدس لتعرف ماذا يقول يسوع عن المال وكيفية إحرازه وانفاقه وتوزيعه. فإذا واجهتك إحدى هذه المشاكل فاسترشد بمثل السؤال التالي تطرحه على نفسك: "ماذا يفعل يسوع في هذا الموقف"؟.

ثامناً: يهتم المسيحي بالإنسانية المتألمة. المناطق الفقيرة المعوزة تحظى بعطفه وتشغل باله.

يخبرنا الكتاب المقدس أن الشعب كان يستمع إلى يسوع بلذة وفرح. وحيثما توجه الرب يسوع كان يبرئ المرضى ويعزي الحزانى ويغمر قلب المنكسرين عزاء وتشجيعاً. وهكذا يجب على المسيحي أن يساهم في إنشاء المشاريع الخيرية للمرضى والأيتام والعجزة الخ، وذلك للتخفيف من شقاء الإنسانية المتألمة. الكتاب المقدس لا يتضمن أية دعوة إلى الانعزالية، بل يعلمنا أن نتآزر جميعاً لمساعدة القريب.

من المؤكد أن شعار المسيحي هو "محبة وخدمة" محبة المسيح وخدمة المسيح، محبة القريب وخدمة القريب. قال يسوع: "إن كنتم تحبونني فاحفظوا وصاياي[٢١٦]. المحبة والخدمة متلازمتان، فكيف نستطيع أن نحب الآخرين ولا نخدمهم؟ وكيف نستطيع أن نخدم الناس إذا كنا لا نحبهم؟

تاسعاً: للمسيحي التزامات خاصة نحو باقي المسيحيين. يجب أن تكون لهم في نفسه منزلة خاصة. "نحن نعلم أننا قد انتقلنا من الموت إلى الحياة لأننا نحب الأخوة. من لا يحب أخاه

[٢١٦] - يوحنا ١٤: ١٥

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

يبق في الموت[٢١٧]. علينا أن نحب أعداءنا، حتى أولئك الذين يضطهدوننا ويقولون عنا كل كلمة شريرة كاذبين. ولكن القسم الأكبر من محبتنا يجب أن يكون وقفاً على أخوتنا المسيحيين. وقد قال لن يسوع: "هذه هي وصيتي أن تحبوا بعضكم بعضاً"[٢١٨]. "بالمحبة اخدموا بعضكم بعضاً"[٢١٩].

يجب أن يكون الواحد منا قدوة للآخر. كتب بولس بالوحي الإلهي: " كن قدوة للمؤمنين في الكلام في التصرف في المحبة في الروح في الإيمان في الطهارة"[٢٢٠]. وليس ذلك اقتراحاً بل أمرٌ ملزم، ليس توصيةً بل واجب يلقى على عاتقنا.

ويعلمنا الكتاب المقدس أيضاً أن نسامح بعضنا بعضاً "كونوا لطفاء بعضكم نحو بعض شفوقين متسامحين كما سامحكم الله أيضاً في المسيح"[٢٢١]. ويؤكد لنا يسوع: "إن غفرتم للناس زلاتهم يغفر لكم أيضاً أبوكم السماوي. وإن لم تغفروا للناس زلاتهم لا يغفر لكم أبوكم أيضاً زلاتكم[٢٢٢]وقال: "متى وقفتم تصلون فاغفروا إن كان لكم على أحد شيء لكي يغفر لكم أيضاً أبوكم الذي في السماوات زلاتكم"[٢٢٣].

يعلمنا الكتاب المقدس أن لا ندين بعضنا بعضاً وأن لا يضع الواحد منا حجر عثرة للآخر. ويعلمنا أيضاً: "المحبة فلتكن رياء. كونوا... وادين بعضكم بعضاً بالمحبة الأخوية مقدمين بعضكم بعضاً في الكرامة"[٢٢٤].

يجب علينا كمسيحيين أن نحمل بعضنا أثقال بعض. هناك واجبات شخصية خاصة بالفرد كأن يكون مستقيماً ويسعد زوجته ويربي أولاده في خوف الله. وهناك أثقال يمكن أن نتعاون على حملها كالأحزان والهموم والمصائب والانفراد والصعوبات الروحية والمسؤوليات. ليس لنا أن نقلق بشأن أعبائنا بل يجب أن نلقيها على الله وننظر إليه بثقة تامة منتظرين منه العون والقوة.

يجب أيضاً أن نكون أسخياء فنعتني بالأرامل واليتامى ونساعد الفقراء في المجتمع المسيحي. يأمرنا الكتاب المقدس بأن نكون "مشتركين في احتياجات القديسين عاكفين على إضافة الغرباء"[٢٢٥]. ويؤكد لنا يسوع معلناً: الحق أقول لكم بما أنكم فعلتموه بأحد أخوتي

---

[٢١٧]- ١ يوحنا ٣: ١٤
[٢١٨] - يوحنا ١٥: ١٢
[٢١٩] - غلاطية ٥: ١٣
[٢٢٠] - ١ تيموثاوس ٤: ١٢
[٢٢١] - أفسس ٤: ٣٢
[٢٢٢] - متى ٦: ١٤- ١٥
[٢٢٣] - مرقس ١١: ٢٥
[٢٢٤] - رومية ١٢: ١٠
[٢٢٥] - رومية ١٢: ١٣

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

هؤلاء الأصاغر فبي فعلتم"[٢٢٦]. ويقول أيضاً: "مغبوط هو العطاء أكثر من الأخذ[٢٢٧]. "المعطي المسرور يحبه الله"[٢٢٨].

وأخيراً يجب على المسيحي أن يتميز بالتفكير الواسع المتسامح. إن قوة اقتناعنا بفكرة ما تدفعنا إلى الظن بأننا وحدنا على حق والآخرون جميعاً على خطأ. لا شك أن هذا الموقف سليم لا غبار عليه إذا كان اقتناعنا مرتكزاً على أوامر الكتاب المقدس، لا على أفكارنا الخاصة. ولكن المناقشات العديدة والاختلافات التي وقعت وتقع في الكنيسة إنما نجمت في الواقع عن تلك الاقتناعات العميقة التي أبداها أصحاب الفرَق المغلقة الخاصة بتفسير بعض النقاط التافهة وزعمهم أنهم وحدهم قد أوتوا الحقيقة ناصعة لا تشوبها شائبة.

إن من واجبنا أن نأسف على الشر والأعمال الشريرة ونقف منهما موقف الاستنكار والرفض وعدم التحمل؛ وهذا بالطبع موقف مشرف مرغوب فيه. ولكن هذا الموقف كثيراً ما ينقلب إلى عدم تحمل للخطأة أنفسهم فيصبح آنئذ موقفاً مغلوطاً يدعو للأسف.

إن يسوع لم يكن يخشى الاجتماع بأي من الناس. ومن المآخذ التي أخذها عليه الكتبة والفريسيون أنه كان يعاشر الجميع ويساعدهم ويتحدث إليهم ويسائلهم. لا فرق عنده أنهم من العشارين أو اللصوص أو الأساتذة أو الأغنياء أو الفقراء، أو الزواني. كان يسوع شفوقاً بالجميع على السواء.

كان المسيح ذا قلب مفتوح وفكر واسع عميق بصورة لم يماثله فيها مخلوق على هذه البسيطة. وكان اقتناعه قوياً ثابتاً لا يمكن زعزعته، لذلك كان بوسعه أن يختلط مع الآخرين متأكداً أن هذا الاقتناع لن يتلوث أو يتغير أو يتزعزع.

أما نحن فيمنعنا الخوف من الاصغاء والاستماع إلى وجهة نظر الآخرين وذلك لأننا نخشى أن تكون أفكارنا غير منيعة بسهل اقتحامها. أما يسوع فلم يكن عنده مثل هذا الخوف ولم يكن يحتاج أن يضع من حوله سياجاً يحميه. لقد كان يعرف كيف بين التسامح وسعة التفكير وبين المسايرة والمجاراة في الرأي.

لقد قدم لنا يسوع في مثل السامري الصالح أروع مثل يتألق فيه الحق مقترناً بالرحمة. وختمه بقوله: "اذهب أنت أيضاً واصنع هكذا"[٢٢٩].

هذا بعض ما يتوجب على المسيحي. إنه لا يستطيع أن ينعزل داخل شرنقة ليحيا حياة منعزلة، لأنه عضو في المجتمع. إن تعاليم المسيح تتناول بالتفصيل والدقة والشمول موقفنا

---

[٢٢٦] ـ ٢٥: ٤٠
[٢٢٧] ـ أعمال ٢٠: ٣٥
[٢٢٨] ـ ٢ كورنثوس ٩: ٧
[٢٢٩] ـ لوقا ١٠: ٣٧

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

من الآخرين. فلندرس الكتاب المقدس ولنقرأه ثم لنحي بموجبه. آنذاك فقط نستطيع أن نوضح للعالم المضطرب قوة المسيح الحي فينا.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

الفصل السابع عشر

مستقبل المسيحي

"أنا أمضي لأعد مكاناً. وإن مضيت وأعددت لكم مكاناً آتي أيضاً وآخذكم إليَّ حتى حيث أكون أنا تكونون أنتم أيضاً".

(يوحنا ١٤: ٢- ٣)

إن كل ما في العالم يؤكد لنا أننا نحيا اليوم في فترة حاسمة هائلة. يتنبأ البعض بنكبات داهمة فظيعة، ويقول آخرون أن الجنس البشر منجرف نحو الفناء. كثيرون يعتقدون أن حضارتنا أمست على شفير الاضمحلال. هناك كتب عديدة محشوة بالتنبؤات المريعة في المستقبل، وهناك أيضاً الصحف والمجلات تعلن في افتتاحياتها عن خطورة الساعة التي نحن فيها. "عن العلم قد أورثنا القدرة على تدمير أنفسنا" هذا ما قاله أحد العلماء. ويذكر وليام فوجت (William Vogt) في كتابه (طريق البقاء) "أننا نحيا في عصر حاسم خطير يتوجب علينا فيه تقرير المصير، عصر الاختيار بين الصالح والطالح، بين الخطأ والصواب، بين الخير والشر، بين الموت والحياة. فإذا أخطأنا الاختيار فمن المحتمل أن نكون نحن آخر جيل بشري يحيا على هذه البسيطة".

ويضيف البروفسور سوروكين "أننا نحيا في إحدى أفظع الأزمات التي عرفها التاريخ، إذ لسنا نواجه الحرب والجوع والأوباء والثورات فحسب، لكننا نواجه حشداً هائلاً من النكبات المروعة يزحف على عالمنا برمته. فالقيم متزعزعة والمقاييس محطمة وكأن الإنسانية نفسها أمست مشوهة الصورة.

إن الأزمة تشمل كل مكان في العالم، وتحيق بثقافتنا ومجتمعنا من كل جانب. فهي تتجلى في الفنون الجميلة والعلوم والفلسفة والدين والخلاق والقانون، وتطرقت إلى أعماق المؤسسات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، بل تغلغلت طريقة التفكير والحياة. ونرى أنفسنا مسوقين إلى الاعتقاد بأن عواقب هذه الأزمة ستكون اشد هولاً وأوسع نطاقاً بكثير مما عرفته عصور التاريخ".

عندما نتصفح المجلات والصحف يهولنا فيها وصف التجارب الذرية والهيدروجينية والنووية. ونندهش إذ نرى أن الأدب أصبح يستعمل الآن تعابير الكتاب المقدس. يقول الدكتور ويلبر سميث (Wilbur Smith) "إن أفلاطون وسنيكا وأرسطو وباقي الفلاسفة العظماء لم ينقبوا فعلاً في أعماق المستقبل ولم يحاولوا بر أغواره". أما الكتاب المقدس فهو الكتاب الوحيد الذي يتفرد ببحث شؤون الآخرة. فأسفار الكتاب، ابتداءً من سفر التكوين

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

حتى سفر الرؤيا، تذكر الأحداث التي ستتم عند بلوغ التاريخ أوجه. لقد كان قادة الكنائس لسنوات خلت يخشون المغالاة في مناقشة أحداث المستقبل، أما الكنيسة فقد بدأت تنظر اليوم نظرة جديدة إلى ما ورد في الكتاب المقدس بهذا الشأن.

إن الذين يجهلون الكتاب المقدس يسرعون، والهلع ينهشهم، إلى الأنبياء الكذبة والعرافين والمتصلين بالأرواح والمبصّرين بالفنجان وسواهم من أصحاب الخزعبلات، وينفقون مبالغ طائلة من المال في سبيل معرفة ما يخبئه لهم المستقبل فلا تجدي مساعيهم نفعاً. أما الكتاب المقدس فيزيح ستار الغموض حول هذا الموضوع الخطير فهو ينبئنا بأن لعالمنا الحالي نهاية، ويؤكد لنا أن التاريخ البشري سيبلغ ذروته عند مجيء يسوع المسيح ثانية، ويشير إلى أروع تتويج لم تعرف له العصور مثيلاً، تتويج المسيح ملك الملوك ورب الأرباب.

إنني أعرف ان هذا الموضوع مثار نقاش، وكثيراً ما يساء فهمه. ومن المؤسف أن كثيرين من الغلاة قد جابوا البلاد في السنوات الأخيرة يحددون تآريخ وأوقاتاً فأصابوا تلك الحقيقة المجيدة بالتشويش والتعقيد.

إن الدكتور س. لويس (lewis) العلامة البريطاني المشهور والأستاذ في جامعة أكسفورد يعلن بصراحة قائلاً: "يبدو لي من المستحيل المحافظة على الإيمان بلاهوت المسيح وحقيقة الإعلان المسيحي إذا كنا نحاول أن نهمل أو نحذف الوعد بمجيء المسيح ثانية".

هذا ويقبل الدكتور لويس حرفياً تعريف بولس للرجاء المسيحي، كما أنه يذعن للكتاب المقدس مؤمناً بأنه يحتوي على كلمة الله والحق. ويخلص العلامة، في تلخيص اعتقاده الراسخ حول هذا الموضوع، إلى القول بأن ثمة ثلاثة أسباب لموقف السخرية الذي يقفه الناس من فكرة عودة المسيح إلى الأرض.

أولاً: يدّعي كثيرون من "المسيحيين بالاسم" أن تعليم المجيء الثاني هو تعليم زائف لأن مجيء المسيح لم يحدث حين تنبأت عنه الكنيسة الأولى. ويرد بولس لويس على ذلك بقوله: صحيح أن المسيحيين الأوائل كانوا ينتظرون مجيء الرب في أيامهم؛ ولكن ثمة تنبؤات أخرى يوردها الكتاب، ينبغي بالضرورة أن تسبق عودة المسيح.

ثانياً: يشير الدكتور لويس إلى أن التعليم الكتابي عن مجيء المسيح الثاني يفسد على ملايين الناس خططهم وأحلامهم فهم يريدون أن يأكلوا ويشربوا وينغمسوا في الملذات دون أن يعكر انغماسهم هذا معكر. هذا هو السبب الذي دفع معاصري نوح إلى السخرية منه وإلى عدم الإيمان بالطوفان. لم يشاؤوا أن يحدث أي شيء من شأنه أن يفسد خططهم الأنانية المتعلقة بالمستقبل. أما يؤكد لنا الكتاب المقدس "أنه سيأتي في آخر الأيام قوم مستهزئون

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

سالكين بحسب شهوات أنفسهم وقائلين أين هو موعد مجيئه لأنه من حين رقد الآباء كل شيء باقٍ هكذا منذ ابتداء الخليقة" (٢ بطرس ٣: ٣: - ٤)؟

ولو أن الرب يسوع حدد، عند انطلاقه إلى السماء، موعد رجوعه إلى الأرض لضاعت كل الغاية التي يهدف إليها في تحذيره وفي وعده بالرجاء. بما أننا لا نعرف موعد رجوعه إلى الأرض يجب أن نكون مستعدين لاستقباله في كل حين.

كان مودي الواعظ الشهير يقول "إنني لا ألقي أية عظة دون أن أفكر أن الرب يمكن أن يجيء قبل أن ألقي العظة التالية". ويقول الدكتور كامبل مورغان: " إنني لا أباشر عملي اليومي صباحاً دون أن أفكر في أنه يمكن أن يقاطعني الرب ويوقف عملي لكي يتمم عمله الخاص. لست أنتظر الموت لكنني الرب".

هكذا ينبغي أن يحيا المسيحي في توقع دائم لعودة المسيح. ولو كنا نحيا كل يوم كأنه اليوم الأخير السابق للدينونة الأخيرة لكان فرق عظيم في حياتنا كلها! ولكننا لا نريد أن نفكر في ذلك ولا نود أن تجيء أبواق الله فتعترض خططنا المنظمة ومشاريعنا المدروسة الطويلة الأمد. أننا منغمسون في شؤوننا الصغرى الخاصة بحيث لا نستطيع احتمال فكرة تفسد علينا خططنا وتدابيرنا. كثيرون يقولون: "إن نهاية العالم لم تأت بعد فلماذا نفكر بها. ألا يحتمل أن يتأخر مجيئها ألف عام مثلاً"؟! قد يكون ذلك، كما أنه قد يحدث بالعكس. أما أنا فحاشا لي أن أتنبأ عن موعد نهاية العالم. من المؤسف أن كثيرين من الناس ذوي النية الطيبة قد فعلوا ذلك، فأساؤوا خدمة القضية المسيحية. وكثيرون من الرواد والغلاة المسيحيين تنبأوا بتلك النهاية فجعلوا الإيمان المسيحي موضوع هزء وسخرية.

وإذا بحثنا في تاريخ الأديان رأينا أن كثيرين من الأنبياء الكذبة قد خلقوا هستيريا في نفوس الجماهير. وإليكم مثلاً على ذلك:

في عام ١٨٤٣ تنبأ وليام ميللر بأن نهاية العالم ستكون في تمام منتصف ليلة ٢١ آذار من تلك السنة. وفي متصف الليلة المحددة أعلن ذلك المدعي أن الأبواق ستصّوت في دويّ هائل والسموات ستنشق وسيظهر المسيح ثانية. وتجمع الذين صدقوا نبوة ميللر بدلاً من أن يصدقوا الكتاب المقدس، تجمعوا ليلتئذ وانتظروا على غير طائل. وعند الفجر انسحبوا يجرون أذيال القنوط والخجل. ما كانوا ليقفوا مثل هذا الموقف العلني المضحك لو أنهم تذكروا قول يسوع: "اسهروا إذاً لأنكم لا تعلمون متى يأتي رب البيت أمساء أم نصف الليل أم صياح الديك أم صباحاً. لئلا يأتي بغتة فيجدكم نياماً. وما أقوله لكم أقوله للجميع اسهروا"[٢٣٠].

[٢٣٠] - مرقس ١٣:٣٥-٣٧

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

ويقول واحد: "هل لك برهان به تثبت لنا حقيقة رجوع المسيح ثانية؟ هل لك برهان يثبت أنه ينبغي أن نعيش في يقظة دائمة بانتظار ذلك اليوم المجيد"؟ - نعم أن الكتاب المقدس هو البرهان، وكفى به دليلاً وبرهاناً. فيه يرد ذكر المجيء الثاني مراراً كثيرة. هل عرفت أن الكتاب المقدس يذكر رجوب الرب أو يشير إليه ثلاثمئة وثماني عشرة مرة؟ هل عرفت أن هذا هو موضوع اسفار الأنبياء في العهد القديم، وموضوع الرسالتين إلى تسالونيكي، وموضوع إصحاحات بكاملها من الإنجيل (متى ٢٤؛ مرقس١٣؛ لوقا ٢١)؟

يشدد الكتاب المقدس كثيراً على حقيقة مجيء المسيح ثانية. نقرأ في أشعياء (٦٦: ١٥) "هوذا الرب بالنار يأتي ومركباته كزوبعة ليردّ بحموٍّ غضبه وزجره بلهيب نار".

ويقول أرميا أن أورشليم، عند مجيء الرب ثانية، ستدعى مجد الله وتجتمع فيها باسمه باقي الأمم.

ويتحدث حزقيال عن أورشليم التي سيعاد مجدها ويعاد بناء هيكلها. وعن الأرض التي ستحيا ويغمرها الرجاء والخير.

ويذكر دانيال كيف أبصر في رؤيا المسيح قادماً كالملك والديّان.

ويقول هوشع أن في الأيام الأخيرة عندما يجيء الرب سوف يقبله بنو إسرائيل ملكاً ورباً.

ويصف يوئيل جيوش العالم متأهبة للعراك ضد جنود السماء ويظهر عاموس عرش داود مثبتاً في أورشليم من جديد.

ويقدم عوبدياً تحذيرات خطيرة تتعلق بمجيء ملك الملوك.

ويعلن ميخا زوال الحروب عندما يطبع البشر سيوفهم سككاً ورماحهم مناجل.

ويذكر ناحوم أن الجبال تميد تحت قدمي المسيح وأن الأرض تشتعل من حضوره.

ويصور لنا حبقوق مجيء الملك الذي يقيس مملكته الجديدة بصولجانه بينما تنحني أمامه الشوامخ.

ويكتب لنا صفنيا الأغنية الجديدة التي سوف يعلمها المسيح لشعبه المختار.

أما حجي فيخبرنا أن كل الأشياء ستزلزل، ولا يبقى إلا ما هو من الله.

ويرسم لنا زكريا صورة قدم الرب مرتكزة من جديد على جبل الزيتون.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

ويختم ملاخي نبوات العهد القديم مشبّهاً هذا المجيء بنار الصائغ وأشنان القصار وبشمس العدالة تسطع فتملأ الأرض من مجده.

أما في أسفار العهد الجديد فيشبه البشير متى مجيء الرب يسوع بمجيء العريس ليأخذ عروسه. ويشبّه مرقس برب بيت غاب في رحلة طويلة بعد أن أسلم عبيده مهمات معينة ريثما يعود. أما لوقا فيصور يسوع إنساناً كريم المحتد سافر لبعض أشغاله إلى بلد بعيد وترك أمواله في أيدي عبيده ليشغلوها ويتجروا بها ريثما يجيء. ويقتبس يوحنا قول المسيح "أنا أمضي لأعد لكم مكاناً وسوف آتي أيضاً وآخذكم إليّ".

ويبدو لنا يسوع في الرسالة إلى أهل رومية منتصراً يضع جميع الأعداء تحت قدميه. ويخبرنا بولس الرسول في رسالته الأولى إلى أهل كورنثوس أن الرب يسوع سيأتي ليقيم الأموات. وأما الرسالة الثانية إلى أهل كورنثوس فتتحدث عن البيت السماوي الذي سنمتلكه بعد أن يفنى بيتنا الأرضي.

والرسالة إلى أهل كولوسي (٣: ٤) تقول "متى أظهر المسيح حياتنا فحينئذ تُظهَرون أنتم أيضاً معه في المجد".

ويحثنا بولس في الرسالة الأولى إلى أهل تسالونيكي على انتظار مجيء ابن الله الذي سيأتي من السماء. أما في الرسالة الثانية فيرسم لنا صورة مجيدة عن مجيء الرب مع قديسيه. ونجد في الرسالة إلى تيموثاوس ما يفيد أن الرب سيجازي كل الذين "يحبون ظهوره". أما الرسالة إلى تيطس فتتحدث عن "الرجاء المبارك".

والرسالة إلى العبرانيين تتحدث عن مجيئه مرة ثانية "هكذا المسيح أيضاً.. سيظهر ثانية بلا خطية"[٢٣١]. ويطلب يعقوب من المؤمنين أن يصبروا إلى مجيء الرب. ويذكر بطرس أن يوم الرب يجيء كلص في الليل. ويقدم يوحنا الوعد العظيم "الآن نحن أولاد الله ولم يُظهَر بعد ماذا سنكون، ولكن نعلم أنه إذا أُظهر نكون مثله لأننا سنراه كما هو[٢٣٢].

أما يهوذا فيقول: "هوذا قد جاء الرب في ربوات من قديسيه". وأخيراً نرى أن كتاب رؤيا يوحنا اللاهوتي قد خُصص برمته لعقيدة مجيء يسوع المسيح ثانية.

حقيقة مجيدة ورجاء مبارك ووعد صادق! وهل لعالمنا الذي يحيط به التشاؤم والحزن أروع وأمجد من هذا الرجوع المبارك الذي نتوقعه؟

---

[٢٣١] - عبرانيين ٩: ٢٨
[٢٣٢] - ١ يوحنا ٣: ٢

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

عندما يسأل الناس "إلى أين المصير" يعطيهم الكتاب المقدس الجواب المباشر الأكيد مؤكداً أن ختام كل شيء سيكون مجيء المسيح ومجازاته لمختاري الله.

أما تحديد موعد هذا المجيء فأمر لا يهمنا كثيراً. ولكن الأمر البالغ الأهمية هو أن نكون مستعدين في كل لحظة لهذا المجيء. وهذا ما بينه يسوع للتلاميذ حينما قال لهم: "ليس لكم أن تعرفوا الأزمنة والأوقات التي جعلها الآب في سلطانه"[٢٣٣].

إلا أن يسوع قال أيضاً أن ثمة علامات تدل على اقتراب ظهوره الثاني: "متى ابتدأت هذه تكون فانتصبوا وارفعوا رؤوسكم لأن نجاتكم تقترب. وقال لهم مثلاً: "انظروا إلى شجرة التين وكل الأشجار. متى أفرخت تنظرون وتعلمون من أنفسكم أن الصيف قد قرب. هكذا أنتم أيضاً متى رأيتم هذه الأشياء صائرة فاعلموا أن ملكوت الله قريب"[٢٣٤].

أما العلامات التي أخبرنا عنها يسوع فهي هذه: "تكون علامات في الشمس والقمر والنجوم. وعلى الأرض كربُ أممٍ بحيرةٍ. البحر والأمواج تضج. والناس يُغشى عليهم من خوف وانتظار ما يأتي على المسكونة لأن قوات السماوات تتزعزع"[٢٣٥].

إن الزمن بحسب مقياس الملائكة يختلف كثيراً عن الزمن بحسب مقياس التقويم البشري فقد تبدو لنا السنوات السبعون التي نحياها على هذه الأرض فترة طويلة بالنسبة لفترة بقائنا عليها. ولكن مئات الأيام وألوف الأعوام التي تبدو لنا أمداً طويلاً أن هي في حساب الله إلا يوم واحد.

إن الذين يمنعون قراءة الكتاب المقدس وينظرون إلى الأحداث الجارية اليوم يشعرون بأننا نحيا في الأيام الأخيرة وأننا دخلنا الحقبة الأخيرة. ونحن الآن في الفصل الختامي من المأساة الكبرى التي بدأت في جنة عدن منذ آلاف السنين.

إن ما نراه اليوم من أحداث ينطبق على الصورة التي رسمها يسوع عندما قال: " كما كانت أيام نوح كذلك يكون أيضاً مجيء ابن الإنسان. لأنه كما كانوا في الأيام التي قبل الطوفان يأكلون ويشربون ويتزوجون ويزوجون إلى اليوم الذي دخل فيه نوح الفلك ولم يعلموا حتى جاء الطوفان وأخذ الجميع. كذلك يكون أيضاً مجيء ابن الإنسان. حينئذ يكون اثنان في الحقل. يؤخذ الواحد ويترك الآخر. اثنتان تطحنان على الرحى. تؤخذ الواحدة وتترك الأخرى. اسهروا إذن لأنكم لا تعلمون في أية ساعة يأتي ربكم"[٢٣٦].

---

٢٣٣ ـ أعمال ١: ٧
٢٣٤ ـ لوقا ٢١: ٢٨-٣٢
٢٣٥ ـ لوقا ٢١: ٢٥-٢٦
٢٣٦ ـ متى ٢٥: ٣٧-٥٢.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

وازدياد المعرفة هو من العلامات التي تشير إلى دنو النهاية. يذكر لنا سفر دانيال (١٢: ٤) "كثيرون يركضون جيئة وذهاباً". فهذا القول يكفينا ويغنينا عن مزيد من الجهد لنقتنع بأنه ينطبق تمام الانطباق على ما نراه حولنا من نمو خارق في المعرفة، وفي التنقلات ووسائل المواصلات. إن التاريخ لم يعرف مثل هذه النجاحات السريعة المتلاحقة.

يؤكد رجال الطب وعلماء النفس أن جسم الإنسان لن يستطيع أن يتحمل مثل هذا القدر من التوتر الناجم عن زيادة السرعة والضغط؛ ومع ذلك نحن منجرفون إلى الأمام دون أن نحسب لأي شيء حساباً.

منذ سنوات سخر بعض العقليين مما ورد في رسالة بطرس الثانية، لكن نجاح العلماء في التوصل إلى القنبلة الهيدروجينية وما يحتمل التوصل إليه على ضوء الأبحاث الجارية، كل ذلك قد قلب موقف أولئك العقليين من شك وإلحاد إلى إعجاب بدقة تنبؤات الكتاب المقدس:

"ولكن سيأتي كلص في الليل يوم الرب الذي فيه تزول السماوات بضجيج وتنحل العناصر محترقة وتحترق الأرض والمصنوعات التي فيها. فبما أن هذه كلها تنحل أي أناس يجب أن تكونوا أنتم في سيرة مقدسة وتقوى منتظرين وطالبين سرعة مجيء يوم الرب الذي به تنحل السماوات ملتهبة والعناصر محترقة تذوب[٢٣٧].

لن أحاول تحديد أوقات تقريبية أو محددة لمجيء المسيح الثاني، ولكنني أقول بكل تأكيد أن هذا الوقت الذي نعيش فيه حافل بالدلائل على قرب ذلك المجيء الآن أكثر من أي وقت مضى.

أليست الحروب التي تندلع ألسنتها في شتى البلاد والجوع والأوبئة المتفشية علامات؟

فماذا ينبغي أن يكون موقف المسيحي من ذلك اليوم الفريد بين الأيام؟ يجب أن يكون موقف المسيحي موقف الترقب والسهر إذ أن يسوع أوصانا "اسهروا إذاً لأنكم لا تعلمون في أية ساعة يأتي ربكم"[٢٣٨]. وهذا الرجاء المبارك من شأنه أن يحمل جميع المؤمنين على التكريس التام لخدمة الله. قال يسوع: "تاجروا حتى آتي"[٢٣٩]. وقال أيضاً: " كونوا أنتم إذاً مستعدين لأنكم في ساعة لا تظنون يأتي ابن الإنسان"[٢٤٠].

إن التاريخ برمته يتجه نحو ذلك اليوم الذي هو أوج التاريخ، يوم يطأ المسيح بقدميه جميع أعدائه، ويتوج بالانتصار والمجد.

---

[٢٣٧]- ٢ بطرس ٣: ١٠ -١٢

[٢٣٨] - متى ٢٤: ٤٣

[٢٣٩] - لوقا ١٩: ١٣

[٢٤٠] - لوقا ١٢: ٤٠

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

في ذلك اليوم تقف الحروب والخصومات، ولا يبقى أثر للخطيئة والعوز، ولا يعود أحد يعرف الحزن أو الألم. ويتحول عبدة الأوثان عن أصنامهم، وكل إنسان يعرف الله. ويلبس كل ما في الطبيعة طابع جنة عدن الفائق الجمال. وتعيش وحوش الأرض معاً في وئام وإخاء.

وتمتلئ الأرض من معرفة الرب ومحبته. وفي ذلك اليوم تستجاب أخيراً صلاتنا التي طالما طلبناها بشوق وإلحاح "ليأت ملكوتك".

هذا هو الرجاء المسيحي.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

الفصل الثامن عشر

وأخيراً ... السلام

"ذو الرأي الممكَّن تحفظه سالماً سالماً لأنه عليك متوكل"

(أشعياء ٢٦: ٣)

تعرف الآن ما معنى أن يكون المرء في سلام مع الله، وأن يكون مسيحياً. كما تعرف ما هو الثمن الذي ينبغي أن يدفعه الإنسان ليحصل على السعادة والسلام. وكثيرون من الناس يودون أن يدفعوا مبالغ طائلة مقابل الحصول على السلام. ملايين من الناس يبحثون عنه. وكلما أوشكو أن يبلغوا السلام الذي لك مع الله في المسيح يتدخل إبليس فيبعدهم عنه ويعمي بصائرهم. أما أنت فقد وجدت السلام وتمتلكه إلى البد وبذلك أدركت سر الحياة.

لا شك أن ثمة أشياء كثيرة يعسر عليك فهمها، وثمة أسرار ومسائل كثيرة تحيرك، ولكن في أعماق نفسك تسيطر الراحة ويسود السلام الذي يملأ حياتك بالثقة والطمأنينة. كذلك من المؤكد أنك وجدت في المثل الأعلى المسيحي مزايا ستّان بينها وبين المفاهيم الفلسفية!

وفي ما يلي ذكر لبعض هذه المزايا.

أولاً: التبني. إنك حالما تقبل المسيح مخلصاً لك تصبح ابناً في عائلة الله، ويصبح لك ما للأمراء من امتيازات ومسؤوليات وتبعاً لذلك يجري في عروقك الدم الملكي لأنك أصبحت عضواً في عائلة ملك الملوك ورب الأرباب.

ثانياً: التمتع بالإرث. بولادتك الجديدة أصبحت وارثاً لله، وارثاً مع المسيح. فأنت إذاً وارث لكل شيء.

ثالثا": السلام. لا يمكن الحصول على السلام الحقيقي إلا بعد أن تنال العفو الإلهي وتتصالح مع الله وتحصل على التوافق الداخلي مع نفسك ومع قريبك ومع الله. "ليس سلام قال إلهي للأشرار"[٢٤١]. ولكن المسيح إذ سفك دمه على الصليب حقق السلام بيننا وبين الله. وصار هو نفسه سلامنا. إننا حين يدخل المسيح إلى قلوبنا يطهرها من كل خطية، ويصبح بإمكاننا أن نتطلع إلى الآخرين بوجه طافح بالثقة لأننا تخلصنا من كل شعور بالدينونة وعدم الجدارة. وينطبق علينا عندئذ القول: "إذا أرضت الرب طُرقُ إنسان جعل أعداءه أيضاً

[٢٤١] - أشعياء ٥٧: ٢١

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

يسالمونه[٢٤٢]. وفضلاً عن ذلك نستطيع في ساعة الموت أن تقف أمام الله بقلوب يملأها الطمأنينة والسلام.

رابعاً: الحياة الروحية. "أتيت لتكون لهم حياة وليكون لهم أفضل"[٢٤٣]. وقال بولس بالوحي "إن كان أحد بالمسيح فهو خليقة جديدة. الأشياء العتيقة قد مضت. هو ذا الكل قد صار جديداً[٢٤٤].

خامساً: فرح الشركة مع الله بالمسيح. إن يسوع المسيح هو الصديق الوحيد الذي يعرف ويفهم كل أفكارنا ويحس بكل مشاعرنا. والذي له شركة مع المسيح لا يمكن أن يشعر بالوحدة، والذي يحل المسيح في قلبه في المكانة اللائقة به لا يمكن أن يستولي عليه شعور بالانفصال عن الله.

سادساً: اتباع المسيح يكسب الإنسان قوة جديدة. لا يستطيع الإنسان بقواه أن يصل إلى المستوى الخلقي الذي يحدده لنفسه، فكيف يبلغ المستوى الذي يحدده له الله؟ كانت الشريعة الموسوية تمثل الحد الأدنى للسلوك المرضي أمام الله. لكنك مع ذلك أضعف من أن تصل، بدون معونة إلهية، حتى إلى هذا الحد الأدنى.

ما زال الإنسان على مر الأعوام والعصور يتخذ قراراته الواحد تلو الآخر وهو يرجو أن تتوفر لديه القوة اللازمة لتنفيذها ولكن جل ما استطاع التوصل إليه لم يكن إلا إصلاحاً موقتاً جزئياً. أما التغير الجذري الشامل الكامل فهو عاجز عن تحقيقه.

إن الولادة الجديدة في المسيح هي السبيل الوحيد لا إلى تغيير نمط الحياة فحسب بل إلى خلق شخصية جديدة. فهي التي جعلت من شاول الطرسوسي بولس الرسول. لقد دخل المسيح إلى حياته فقلبها رأساً على عقب. وهكذا انقلب العدو اللدود المدمر إلى رسول وأي رسول!

ليس فلسفة بشرية تستطيع أن تحدث مثل هذه التغيرات أو تمنح مثل هذه القوة التي هي في متناول يدك في جميع الأوقات. قال الله "لا تخف لأني معك. لا تتلفت لأني إلهك. قد أيدتك وأعنتك وعضدتك بيمين بري"[٢٤٥]. فمهما كانت الظروف أو الحاجة أو الواجب أو الثمن أو الضحية التي تواجهك فستجد قوته ملك يمينك ساعة تطلبها.

سابعاً: يكسب المسيحي مزايا جسدية بفضل حياته المسيحية. إن الخطيئة وعدم الثقة بالنفس يتلفان قوى العقل والجسد. وشعورنا بعدم الطهارة الجسدية وبالفساد الجسدي، وشعور

---

[٢٤٢] - أمثال ١٦: ٧
[٢٤٣] - يوحنا ١٠: ٤٠
[٢٤٤] - ٢ كورنثوس ٥: ١٧
[٢٤٥] - أشعياء ٤١: ١٠

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

الكراهية للآخرين، وإحساسنا بعد كفاءتنا وفشلنا وعدم قدرتنا على الوصول إلى الأهداف التي نطمح إليها؛ كل هذه تشكل الأسباب الحقيقية لما يصيبنا من أمراض جسدية وعلل عقلية. وشعور الإنسان الطبيعي بخطيئته وذنوبه يصيره عاجزاً عن إتمام واجباته.

إن السلام مع الله، وسلام الله، وفرح الشركة مع المسيح إذا ما امتلأ بها قلب الإنسان كان لها أثرها الواضح على صحة الجسم والعقل، وعلى حفظ قواهما وتنميتهما. وهكذا يقدم المسيح أجزل الفائدة للجسم والعقل والروح، بالإضافة إلى القوة والسلام الداخل وفرح الشركة معه. هذه المزايا والبركات جميعاً هي نتائج الولادة الثانية.

وأخيراً ثمة بعض امتيازات يتمتع بها المسيحي الحقيقي. ومنها امتلاك الحكمة والإرشاد الإلهيين بصورة دائمة حسب قول الكتاب "إن كان أحدكم تعوزه حكمة فليطلب من الله الذي يعطي الجميع بسخاء ولا يعير فسيعطى له"[٢٤٦]. ويتمتع المسيحي أيضاً بثقة تامة أن كل الأشياء تعمل معاً لخير المؤمن في النهاية. ولذلك فهو ينظر إلى العالم فيكتشف فيه أموراً تخفى على سواه.

يرى بوضوح مقاصد الله والغاية التي تسير نحوها جميع الأشياء. وبالرغم من حرب الإنسان ضد أخيه، وبالرغم من قوى الطبيعة المدمرة التي يبدو أنها تمسكنا بين براثنها، بالرغم من ذلك فإنه يرى بيقين تام أن الله ما يزال مستوياً على العرش، وهو الآمر الناهي في السماوات والأرض. ويرى الشيطان ملجوماً لا يستطيع أن يمارس تأثيره الشرير إلا بإذن منه تعالى وخلال المدة التي يحددها له.

وتبين الأسفار المقدسة أن خطة الله الشاملة لا تهتم فقط بكل أحقاب التاريخ وكل أمم الأرض بل بكل فرد من الأفراد. وآخر جزء من هذه الخطة الكونية الشاملة هو عودة الرب يسوع المسيح، وتثبيت دعائم ملكه.

إن الحياة كما يراها المسيحي، تستند على خطة محدودة وإلى يقين ثابت، وهو أن الله سينتصر في النهاية على كل إثم وظلم.

ونحن إذ نخلص إلى القول إن الحياة المسيحية تتفوق على كل أنواع الحياة الأخرى، لا يسعنا التغاضي عن المزايا العظمى التي يجنيها المسيحي، لا في هذه الحياة الدنيا فحسب بل في الأبدية أيضاً. كان أيوب يتساءل قائلاً: " إن مات رجل أفيحيا" (بعد موته؟)[٢٤٧] ثم يعود فيجيب "أما أنا فقد علمت أن وليّي حيّ"[٢٤٨].

---

[٢٤٦] - يعقوب ١: ٥
[٢٤٧] - أيوب ١٤: ١٤
[٢٤٨] - أيوب ١٩: ٢٥

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

يا للمستقبل الرائع والرجاء المجيد والحياة الدافقة مياهها أبداً! إنني لا أقبل عن حالي التي أنا فيها بديلاً مهما كانت المغريات. أفضّل على كل شيء أن أظل ابن الملك الأعظم ووارثاً مع المسيح، وعضواً في العائلة الملكية السماوية.

إنني أعرف من أنا، وسليل من أنا، ولماذا أنا هنا، وأين سأمضي. وفوق ذلك كله إنني أتمتع بالسلام الحقيقي- سلام الله الذي يملأ قلبي ويغمر روحي حتى الفيضان.

كانت العاصفة تزأر والبحر الصاخب يقذف الصخور بأمواجه العاتية. كانت البروق تلمع والرعود تقصف والرياح تزمجر... لكن العصفور الصغير كان نائماً في فجوة الصخر وقد ستر رأسه بجناحيه، آمناً مطمئناً. هذا هو السلام.. السلام هو أن نقدر على النوم في قلب العاصفة.

في المسيح لنا الراحة والطمأنينة والسلام مهما كان يحيط بنا في هذه الحياة من حيرة وتشويش ومشاكل معقدة. العاصفة تزأر وتهيج لكن قلوبنا هادئة ومطمئنة.

لقد وجدنا السلام ... أخيراً!

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

السلام مع الله

١ بِرُّ سَلامٌ مع سُرورْ أوصافُ مُلْكِ الباري

تَبقى إلى دهرِ الدُّهورْ للمؤمنِ المختارِ

قرار

هذا سلامُ المؤمنين من ربّهم حلوٌ ثمينْ

سَلامٌ سلامٌ سلامٌ كلَّ حينْ

٢ لا تقدرُ الدُّنيا تنيل هذا السلام الأسمى

كلاّ ولا عنّا تُزيلْ تلك العطايا العظمى

٣ هذا سلامٌ لي شراهْ ربُّ الفِدَى بالصَّلبِ

كالنَّهرِ يَجري في صفاهْ يروي ظماءَ القلبِ

٤ أَلأَمنُ فيهِ والهجوعْ هذا السّلامُ الباقي

فإنما المُعطي يسوعْ باقٍ على الميثاقِ

٥ إن تطمُ حولي النَّائبات كاللُّجِ وَسْطَ البَحرِ

يدمْ سلامي في ثباتْ أساسهُ في الصَّخرِ

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

الخدمة العربية للكرازة بالإنجيل هي هيئة إرسالية شغفها نشر كلمة الله في العالم العربي عبر الإنترنت وعبر وسائل إلكترونية أخرى. وتقوم بتوزيع الكتاب المقدس مجاناً للجالية العربية في أميركا الشمالية والقطر العربي وبلدان العالم. بالإضافة إلى مجموعة من الأقراص المضغوطة التي تحتوي على كتب روحية، عظات، تراتيل والكتاب المقدس.
لمزيد من المعلومات الرجاء الإتصال بنا.

يحفظكم الله ويملأ حياتكم بالصحة والسعادة والسلام.

أسرة الخدمة العربية للكرزة بالإنجيل

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com